كلية العلوم الاجتماعية قسم الفلسفة

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في العلوم موسومة ب:

الإسلام والغرب: إشكالية التمثلات الدينية

" مرادألفريدهوفمان أنموذجا"

اعداد الطالب:
عبدوس سيدي محمد

اشراف الأستاذ:
د/ بوعرفة عبد القادر

لجنة المناقشة

الزاوي حسين	أستاذ	جامعة وهران2	رئيسا
بوعرفة عبد القادر	أستاذ	جامعةوهران2	مقررا
أحمد إبراهيم	أستاذ	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
قسول ثابت	أستاذ	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
بلبولة مصطفى	أستاذ	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
أنور حمادة	أستاذ محاضر- أ-	جامعة وهران2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2020- 2021

مقدمة

مما لاشك فيه أن علاقة الإسلام بالغرب تمتد لأكثر من أربعة عشر قرنا، عاشا مع بعضهما في حالة عداء ومواجهة أكثر من توافق وانسجام كل منهما يخاف الآخر ويرتاب منه، ولكن في الفترة المعاصرة زادت حدة هذه المواجهة وتصاعدت بالخصوص مع أفول نجم الاتحاد السوفياتي العدو الإيديولوجي والملقب بالخطر الأحمر عندما انبرت أقلام غربية تُحذر من الخطر القادم المسمى بالخطر الأخضر وهو الإسلام، ولا ريب أن هدف هذه المواجهة هو هيمنة الغرب على الإسلام والسيطرة عليه حتى لا يُضاهيه حضاريا والخشية من عودته إلى عصره الذهبي المشرق.

وإن المسلمين الذين ينحدرون من الشرق والذين هاجروا إلى الغرب ومازالوا يهاجرون لأسباب عديدة، منها ما هو اقتصادي ومنها ما هو اجتماعي سياسي أفضى إلى تواجد هؤلاء بنسبة مهولة وأثار هذا العامل قلقا كبيرا في المجتمع الغربي.

فهؤلاء المسلمون بمختلف انتماءاتهم الاثنية، حملوا معهم إلى الغرب ثقافتهم وتراثهم وأثروا بصورة أو بأخرى على المجتمع الغربي كما أنهم تأثروا به، بيد أن الدول الغربية لم تعر الاهتمام لهذه الظاهرة وربما فوتت الفرصة في أول وهلة لبحث هذه المسائل الثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية المشتركة بطريقة جدية.

ولعل السبب يرجع إلى أن الغرب اعتقد أن هؤلاء الناس سيفضلون طريقة العيش الغربية العلمانية على تقاليدهم وجذورهم الدينية والثقافية ويتخلون عنها بمرور الوقت ليندمجوا في المجتمع الغربي أو أنهم سيشدون الرحال إلى أوطانهم لما يُحسّنون وضعيتهم المادية.

غير أنه اتضح جليا اليوم بأن هذا الاعتقاد كان مجرد توهم والدليل على ذلك التطور العكسي منذ فترات طويلة في الكثير من المناطق الغربية وهو العودة إلى الإسلام، وبالخصوص بعد مُجريات 11 أيلول 2001م حيث تولّد الاهتمام بالدراسة والبحث بموضوع الإسلام والغرب وقضايا الحوار والصدام والتأمل من جديد لوجود الإسلام والمسلمين في الغرب وتشخيص وضعيتهم

ويمكن أن نبلور إشكالية البحث في القضية الآتية: الإسلام في الغرب يجب أن يكون إسلاما متميزا عن غيره بناءً على الواقع الغربي، وتنحل هذه الإشكالية إلى قضيتين رئيستين، فإما أن تتجه نحو إثبات صدقها من خلال اعتقاد شريحة اجتماعية كبرى في الغرب بضرورة تشكيل إسلام غربي متميز، يتسم بالبعد الحداثي، النّير، مخالفا للإسلام التقليدي الذي لا يترجم مقاصده الحقيقية. هذا الإسلام الجديد له هوية وتمثل خاص غير منعزل عن العالم، ويحضُّ على التعارف مع الآخر ولا ينظر إليه (الإسلام الجديد) خصما متخلفا أو منغلقا، يكشف عن الوجه الحقيقي للإسلام كأمة وتاريخ وحضارة، ويدعو إلى التعايش بين شتى الطوائف والديانات والحضارات.

وإما تتجه نحو إثبات أن الإسلام وحدة لا تتجزأ ولا يوجد إسلام أوروبي أو غربي مقابلا لإسلام محلي أو تقليدي، حيث إن هذا التوجه بالغرب سيسيء إلى الإسلام، وسيحدث خللا في الوعي الديني للمسلمين ويُقزم الدين ويختزله في ممارسة فردية منعزلة عن البعد الكلي للإسلام.

ومن خلال ما سبق نُوزع الإشكالية إلى مجموع الأسئلة التالية:

- ما المقصود بالإسلام؟ هل الإسلام واحدٌ أم متعددٌ؟ وما المقصود بالغرب؟ هل الغرب الجغرافي أم المسيحي أم الاقتصادي؟
- هل يمكن قيام إسلام أوروبي دون أن يهدد ذلك ثوابت المسلمين الدينية؟ وإلى أي مدى يتسامح المجتمع الغربي مولد الديمقراطية والمنادي بحرية المعتقد مع هؤلاء؟ ثم كيف نعي الأنا ضمن معادلة يتصارع فيها الأنا والآخر؟ وكيف يرى الآخر الأنا؟ وكيف تكونت هذه الرؤيا لديه؟ وكيف يمكن التوفيق بين التدين ومتطلبات الحياة والفكر في حضارة مادية لا تنفك عن التغيير، وبمعنى آخر كيف نُزاوج بين مجتمع متدين يطالب في الآن ذاته بقيم ليبيرالية ممثلة في الحرية والعدالة والتطور والرفاهية؟
- ما هي تمثلات هوفمان الدينية ؟ هل تتطابق مع الإسلام التقليدي؟ أم له تمثل خاص؟ ماطبيعة تدينه؟ وكيف تمثّل علاقة الأنا بالآخر؟

- وما هي الإحداثيات أو الاحتمالات المستقبلية التي يُمكن أن تؤول إليها العلاقة بين الإسلام والغرب؟. وماهي إيجابيات وسلبيات التفاعل بين الأنا والآخر؟ ثم كيف يكون مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب؟ وكيف يوفق المسلمون المستوطنون الغرب بين الثوابت والمتغيرات؟ أي كيف نضع فقه عصري يتساوق ووضعية المسلمين في الغرب، مما يتيح لهم تفاعل أفضل واندماج أحسن؟ وإذا كانت الإسلاموفوبيا عائق لرأب الصدع بين الإسلام والغرب، فهل من سبيل لتلافيها؟
- هل يمكن تهذيب الدين عبر الأجيال القادمة؟ مثلا هل يمكن الاستغناء عن الآذان في البلدان غير الإسلامية، الآذان الذي يعد طقسا يوميا في الدول الإسلامية؟ هل يجوز للمسلم تناول لحوم الذبائح التي يذبحها غير المسلم؟ وكيف يتم التعامل مع قواعد السلوك الاجتماعي المحكومة افي المجتمع الغربي الحر الذي لا يلتزم فيه إلا القلائل بقيمهم الدينية؟
- كيف يمكن إيصال المعتقد الإسلامي إلى الجيل الشاب الذي يحيا وسط المجتمع العلماني الذي تكاد تنعدم فيه القيم الدينية؟ وكيف يتصرف المجتمع الغربي إزاء هذه الظواهر؟ هل يتفهم منارة الجامع العالية التي تشرف على البنايات الأخرى في الحي السكني، وهل يشكل هذا أثرا ثقافيا أم تهديدا لثقافته؟ وهل يؤدي المسلمون فروضهم الدينية فقط، أم يلقون مواعظ سياسية هناك؟ وهل ارتداء المرأة للحجاب دليلا على الإيمان الفردي أم إنها ترتديه كرمز سياسي؟ وإلى أي مدى يتسامح المجتمع الغربي مولد الديمقراطية والمنادي بحرية المعتقد مع هؤلاء؟

و لقد تم اختيار موضوع البحث بناء على مبررين اثنين:

الأول: مبررات شخصية تتمثل في:

- الانتساب إلى الإسلام والاهتمام بقضايا المسلمين.
- الاغتمام والتلهف على ما آل إليه وضع الإسلام والمسلمين في العالم في الفترة المعاصرة والراهنة.

- الرغبة في استقصاء أحوال المسلمين في الغرب والتطلع إلى مشكلاتهم واستشراف مستقبلهم.

الثاني: مبررات موضوعية:

- العداء الغربي ضد الإسلام والمسلمين، والصور النمطية التي تبثها وسائل الإعلام الغربية والسياسيون خاصة بعد أحداث أيلول 2001م مما سيفضي إلى تعبئة العالم بتمثلات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين.
- المساهمة في إثراء إشكالية التمثلات الدينية في الغرب.
- الرهان على أن هناك إسلاما ذي طراز أوروبي وأمريكي على غرار إسلام إفريقي وإسلام آسيوي.
- إدراك تمثلات أحد المسلمين الغربيين وكيف كان الأنموذج في خدمة الإسلام والذود عنه بدحض الخرافات والأباطيل التي كانت ولازالت تشوب العقل الغربي عن الإسلام والمسلمين.

ويرتبط البحث بحقل خاص وبحدود زمانية ومكانية هي:

- الحقل: تنتمي الدراسة إلى حقل الفلسفة الأنثروبولوجية التي تُسلط الضوء على ثمثلات(تشخيص راهن المسلمين بالغرب) المسلمين الغربيين وتداعياتها.
- الزمان: الفترة المعاصرة والراهنة، وخاصة في فترة ما بعد الحرب الباردة، ذلك أن هذه المرحلة شهدت صراعا صادما بين الإسلام والغرب، وقبلها كان الصراع تاريخيا بين الشرق والغرب.
- المكان: الغرب كمساحة جغرافية مسيحية؛ تضم أوروبا وأمريكا الشمالية.

وإن الباحث لابد له من منهج ينير له طريقه، وييسر له عمله، والمضي في البحث دون منهج كمثل الرجل الذي يسير في الليل دون سراج ينير له الطريق ويكشف له المخاطر وذلك على حد تعبير الفيلسوف الفرنسي ديكارت Descartes (1569-1650) في كتابه مقال في المنهج.

وعملية تحديد المنهج أو اختياره المناسب للموضوع المدروس ليس بالعمل الهيّن، إذ إن هذا الأمر طرح مشكلة معقدة منذ عصر النهضة إلى غاية يومنا هذا .

وهناك من يعتقد أن المنهج قد يحدد بغض الطرف عن الموضوع وحيثياته، وبالطبع التحديد هنا يضحى ذي طابع عقلي ذاتي وعشوائي، كما يرى آخرون أن المنهج يكون له علاقة بين الذات الدارسة والموضوع المدروس، وهنا انتخاب المنهج واختياره يقترب من الموضوعية.

ويمكن أن نصوغ ذلك حسب تعبير أندريه لالاند فنقول: الاختيار الأول يكون قبليا أما الاختيار الثاني فيكون بعديا[1] .

وفيما يتعلق ببحثنا، سوف نعمل على استعمال الكيفيتين معا، إذ سوف نضع قبليا المناهج التي نعتقد أنها ستكون موافقة للموضوع، ولقد ارتأينا أن نستخدم المنهج المقارن والتحليلي والنقدي .

ويمكن لنا أن نستعين في أثناء مباشرة بحثنا بمناهج غير التي أشرنا إليها من قبل، كالمنهج الوصفي وربما سوف نلجأ إلى منهج آخر حيث الأمر يرجع إلى غنى المادة المعرفية لموضوع بحثنا وتعدد أبعادها ومشاربها، إذ نلتمس فيها البعد التاريخي، والاقتصادي والفلسفي والديني.

وقد تم اعتماد المنهج الوصفي في الفصل الأول لوصف وضبط المفاهيم المحورية المرتبطة بموضوع البحث إلى جانب المنهج التحليلي والنقدي في تحليل الإسلام الأوروبي ووضعه تحت ميزان النقد وتحليل التمثلات الدينية عند هوفمان ونقدها في الفصل الثاني إلى جانب المنهج المقارن عندما نلجأ أحيانا إلى مقارنة بعض تمثلات هوفمان مع مفكر إسلامي غربي آخر أو مقارنتها مع تمثلات المسلمين الأصل، وفي الفصل الثالث أيضا نعتمد منهج التحليل والنقد لتحليل مستقبل العلاقة بين الغرب والشرق من خلال هوفمان وأعلام مسلمين غربيين مشهورين، ثم نلجأ إلى نقدهم وتقييمهم.

[1]- أندريه لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات ،بيروت، ط2،2001، ص 804.

مما لاشك فيه أن أهم الصعوبات التي تواجه باحث يهتم بموضوع راهني يهم العام والخاص هو مشكلة الترجمة وكلنا على علم بأن مجمل ما دوّن حول موضوع الإسلام والغرب كان باللغة الإنجليزية والألمانية، ذلك أن المثقفون الألمان والمستشرقون اهتموا بهذا الموضوع أيما اهتمام، ونحن نميل أكثر إلى اللغة الفرنسية، وبالطبع المصادر والمراجع بهذه اللغة شحيحة.

هذا من وجهة، ومن وجهة أخرى جدلية الإسلام والغرب ومستقبلها تُعد موضوعا فضفاضا ومتعددا وذا أبعاد مختلفة، والخوض فيها من باب المجازفة والمقاربة ولا يمكن التحكم فيها وضبطها أو تفسيرها تفسيرا دقيقا وبالخصوص إذا ارتبط الأمر بإشكالية التمثلات الدينية؛ ناهيك عن أن الوقائع في تغير مستمر وتطور دائم وبالأخص بعد مُجريات 11 أيلول 2001م، إضافة إلى ذلك قلة المراجع التي تُعنى بمستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب.

ونأمل في هذه الدراسة إدراك الوعي الديني وقياسه عند المسلمين المستوطنين في الديار الغربية وتداعياته على مستقبلهم بصفة خاصة ومستقبل الإسلام بصفة عامة في الغرب، ومدى استرشاد هؤلاء بتاريخهم الإسلامي الذي عاشت في كنفه طوائف وديانات وثقافات وحضارات وألسن مختلفة في سلام ووئام وتآزر واستكشاف الوجه الحقيقي للإسلام أمة وحضارة وتاريخا.

وإمكانية تمثل إسلام معتدل، حداثي، نيّر، ومتسامح، يرسم صورة صحية عن الإسلام لا هو بإسلام متشدد ومتطرف ولا هو بإسلام منحرف فاسق، بل إسلام لا يَأْلُ جهدا في رأب الصدع بينه وبين الغرب.

واستشراف إسلام ذو جودة عالية يُحسن التعامل مع مجتمع غربي؛ يُقدم نظام قيم وحضارة مختلفة بفرض نفسه بقوة عليه، الأمر الذي بث في نفسية المسلمين الرعب بصورة بالغة و في الوقت نفسه كيفية فتح طرق للنقاش والاستشراف مع العلم أن الغرب والإسلام بإمكانهما النقاش والحوار بكل موضوعية حول الأوضاع التي آلا إليها والبحث عن حلول تبني التعايش والسلام بينهما.

لا يختلف اثنان، عن أن البحث الرشيد لا يستقيم إلا ضمن خطة يتأطر فيها مساره ويضيء بها سبيله. ولقد تضمن موضوع بحثي على مقدمة، و ثلاثة فصول وخاتمة، وفق الخطة التالية :

المقدمة :أتناول فيها التعريف بمشروع البحث، مبتدئا بالحقل المعرفي الذي يتأطر فيه، ثم أبرز الإشكالية وما تفرزه من مشكلات ورهانات وأسئلة فرعية، بعد ذلك أتعرض إلى الدراسات السابقة للموضوع مشيرا بعد ذلك إلى الصعوبات التي تقف حجر عثرة لموضوع البحث ثم يليها آفاق البحث وأخيرا الخطة.

وتم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول:

– الفصل الأول عنواناه بالإسلام الأوروبي والمبحث الأول الإسلام الأوروبي من خلال قسمين، الأول الإسلام والغرب.. مقاربات مفاهيمية نعرض فيه بالدراسة والتحليل إلى المفاهيم المحورية التي يدور حولها موضوع البحث: الإسلام والغرب، ذلك أننا حاولنا بقدر الإمكان الحفر والتنقيب في هذه المصطلحات إيمانا منا بأنها تحمل من الغموض والألغاز والشكوك وعدم الاتفاق، أكثر مما تحمل من الوضوح واليقين والاتفاق، كما أنني سوف أحدد مالذي يعنيني في موضوع بحثي، هل الغرب الجغرافي أم الغرب الفكري الثقافي أم الغرب السياسي؟ والثاني الإسلام الأوروبي، ثم الإشارة إلى إشكالية الأنا والآخر في المبحث الثاني من خلال تحليل علاقة الأنا بالآخر؛ وإبراز كيفية وعي الأنا للآخر وكيفية رؤية الآخر للأنا ودوره في تشكيل الصورة النمطية عن الأنا ثم النظر في إشكالية التدين في أوروبا في المبحث الثالث.

– الفصل الثاني، التمثلات الدينية عند هوفمان، يتناول بالتحليل والنقد التمثلات الدينية من منظر هوفمان، ثم إلى التدين وجدلية النظري والعملي في المبحث الثاني، وكذا التفاعل بين الأنا والآخر في المبحث الثالث.

– الفصل الثالث، مستقبل الإسلام بين الغرب والشرق، نتناول فيه بالتحليل والنقد إيجابيات وسلبيات التفاعل بين الأنا والآخر في المبحث الأول، ونهتم بمستقبل العلاقة بين الأنا والآخر في المبحث الثاني، على أن نثير قضية الثابت والمتحول ومستقبل الإسلام في المبحث الثالث.

أما الخاتمة فنتطرق فيها لأهم النتائج و الخلاصات التي توصلنا في دراستنا.

وهناك دراسات وأبحاث جمة انتدب العديد من المفكرين أنفسهم لها، ذلك أن موضوع الإسلام والغرب موضوع راهني يهم الغرب والمسلمين والعالم برمته، ومن أهمها دراسة المفكر هشام جعيط بعنوان: أوروبا والإسلام، صدام الثقافة والحداثة، وللمؤلف أبو الأعلى المودودي دراسة موسومة: نحن والحضارة الغربية. وللمؤلف محمد أركون: الأنسنة والغرب. ودراسة هاليداي فريد الموسومة: الإسلام والغرب خرافة المواجهة. ولأولفييه روا بحث عنوانه: نحو إسلام أوروبي، وخصصنا له في دراستنا مبحث لتحليله وتقييمه، وكلها دراسات لم تخصص في بحثها أنموذجا معينا، ذلك أنها دراسات عامة وشاملة. أما في بحثنا هذا فنريد تسليط الضوء على شخصية مشهورة وتجربة غنية استرعت كثيرا الأنظار هي شخصية الألماني " ألفريد مراد هوفمان".

ونجد دراسات تناولت تجربة هوفمان الإيمانية يتصدرها عمل الدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المعطي في كتابه: استدراكات مراد هوفمان على الإسلام: عرض وتقويم، منشورات مكتبة وهبة، القاهرة الطبعة الأولى 2005م، وكما هو جلي من خلال العنوان فهو يعرض لكتاب مراد هوفمان الإسلام عام م2000 التي صدرت طبعته الأولى سنة 2005م ، من تعريب الأستاذ عادل المعلم، إلا أن هذا الكتاب يختص بدراسة مؤلف واحد من مؤلفات هوفمان، ويبدو أن انتقاده لهوفمان لم يلتزم بالموضوعية المطلوبة، وأفردنا له في بحثنا ورقة لأجل تقييمه، وإبراز بعض عيوبه.

أما العمل الثاني فهو من إعداد الدكتور أحمد عبد الرحمن موسوم: جاذبية الإسلام الروحية: لماذا أسلم هؤلاء؟ محمد أسد، مريم جميلة، مراد هوفمان، منشورات مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى 2009م، غير أن هذه الدراسة يحاول فيها صاحبها البحث عن أسباب تحول المفكرين الغربيين إلى الإسلام ليصل إلى أن جاذبية الإسلام الروحية والعقلية هي السبب الأساس لاعتناق هؤلاء الإسلام، والكتاب عبارة عن عرض لسيرة وحياة هؤلاء المهتدين إلى الإسلام دون تحليل وتقويم.

والدراسة الأخيرة بعنوان الإسلام.. مستقبل أوروبا، بحث أجراه ياسر حسين، دار الأمين للنشر، الهرم، الطبعة الأولى 1997م، يجلي فيه الكاتب مشاهير اعتنقوا الإسلام؛ باعوا حضارتهم الزائفة، ويمموا وجههم شطر الإسلام، وكان من بينهم الدكتور مراد هوفمان، والدراسة استعراضية لمواقف هؤلاء المتحولين للإسلام، يغيب فيها النقد والتقويم.

الفصل الأول:

الإسلام الأوروبي

- المبحث الأول: الإسلام الأوروبي
- المبحث الثاني: الأنا والآخر
- المبحث الثالث: التدين في أوروبا

الفصل الأول: الإسلام الأوروبي
توطئة

يلوح بأن مصطلح الإسلام الأوروبي غير مستساغ لدى الكثيرين، فهو يحمل في طياته مفارقة وتناقضات عديدة، ذلك أن وجود الإسلام في أوروبا؛ يعتبره الأوروبيون تهديدا لهم، كما أن ليس هناك ما يجمع بين الإسلام وأوروبا، وفي الآن ذاته يرفضه المسلمون لاعتقادهم بأن الإسلام واحدا وليس متعددا، وأيّ سعي إلى إسلام على الذوق الأوروبي سوف يكون مصيره الفشل والخذلان، ناهيك عن الخطر الذي يحدّق بمبادئ الإسلام وثوابته.

ومهما يكن من أمر، يعتقد الكثير من المفكرين والباحثين بأن تعبير الإسلام الأوروبي بات ضرورة ملحة يفرضها الواقع الذي يعيشه المسلمون في أوروبا، وهو بمثابة صمام أمان إزاء المشاكل التي يشهدها المسرح الاجتماعي والثقافي والسياسي الجديد. ولمعالجة مفاصل الإسلام الأوروبي لا بد من التساؤل أولا: هل يمكن قيام إسلام أوروبي دون أن يهدد ذلك ثوابت المسلمين الدينية؟ وإلى أي مدى يتسامح المجتمع الغربي مولد الديمقراطية والمنادي بحرية المعتقد مع هؤلاء؟ ثم ثانيا كيف نعي الأنا ضمن معادلة يتصارع فيها الأنا والآخر؟ وكيف يرى الآخر الأنا؟ وكيف تكونت هذه الرؤيا لديه؟ وأخيرا كيفية التوفيق بين التدين ومتطلبات الحياة والفكر في حضارة مادية لا تنفك عن التغيير، بمعنى آخر كيف نُزاوج بين مجتمع متدين يطالب في الآن ذاته بقيم ليبيرالية ممثلة في الحرية والعدالة والتطور والرفاهية؟

المبحث الأول: الإسلام الأوروبي

* * * * *

أولا: الإسلام والغرب.. مقاربات مفاهيمية

قبل الغوص في تحليل هذا الموضوع، يتعين علينا كضرورة منهجية الوقوف عند بعض المفاهيم الجوهرية لهذا البحث، وتتمثل في الإسلام والغرب، وعليه ما المقصود بالإسلام؟ هل الإسلام واحدٌ أم متعددٌ؟ وما المقصود بالغرب؟ هل الغرب الجغرافي أم المسيحي أم الاقتصادي؟

1- الإسلام: المفهوم والاسقاطات

يعتقد الكثير بأن مصطلح الإسلام سهل وبديهي، يدركه الخاص والعام، ولا يثير أية إشكاليات أو معضلات، ولو تأملنا في المعاجم والموسوعات لوجدنا بأن تعريف الإسلام بسيط وبديهي، وجل هذه المعاجم تتفق على مفهوم واحد عن الإسلام، بيد أن تفكيك المصطلح ومعاودة قراءته قراءة نقدية يفضي إلى تصورات وتمثلات متشعبة، تصل إلى حد التناقض.

فالإسلام في المعجم الوسيط يعني إظهار الخضوع والقبول لما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم. وأنه الدين الذي جاء به محمد[1]. أما القاموس الفرنسي هاشاتHACHETTE فيعرف الإسلام بأنه دين المسلمين، أسسه النبي العربي محمد ويرتكز على الوحي[2].

ولقد جعل الفقهاء للإسلام ثلاثة ديار: دار الحرب ودار الإسلام وبينهما دارٌ وسطٌ هي دار العهد، أما دار الإسلام هي الدولة التي تحكم بسلطان المسلمين، في حين دار الحرب هي التي لا يكون فيها السلطان للحاكم المسلم، ولا يكون عهد بينهم وبين المسلمين. وأخيرا دار العهد هي التي لا تخضع خضوعا كاملا للمسلمين، وليس للمسلمين فيها حكم، ولكن لها عهد محترم(عقد ابتداء)[3].

وقدم الدكتور جوناثن لاينزJonathan Lyons(1951)، محاضرة في أستراليا بعنوان: الإسلام من خلال وجهة نظر غربية، مستهلا محاضرته بسرد تاريخي، من

---

[1]- **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، المجلد1، ط4، 2004، ص 446.

[2]- **Dictionnaire Hachette**, Hachette livre, paris, France, édition2009, p 840.

[3]- أبوزهرة محمد، **العلاقات الدولية في الإسلام**، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون ذكر الطبعة ،1995، ص ص 56- 58

ذلك أن أوروبا قديما كانت تسم الإسلام بالدين البربري، ثم انتقل الحال إلى الموازنة بين الإسلام والنصرانية، إذ كانوا يصرحون بأن النصرانية دين الحب والسلام بينما الإسلام دين كراهة وعنف، أما في الفترة المعاصرة حسب المُحاضر فاستقرت كتابات الغربيين حول الإسلام على ثلاثة نقاط وهي:

أ- أن الإسلام ضد المدنية والعلم

ب- الإسلام يحتقر المرأة

ج- الإسلام دين عنف.

و نظرة الغرب للإسلام هذه هي التي حالت دون التعامل الموضوعي مع الإسلام في الغرب[1].

فنجد من بين المفكرين المهتمين بالدراسات الإسلامية، الذين قاموا بمقاربة نقدية تهدف إلى تفكيك مصطلح الإسلام، كي يتعرفوا على أبعاده الحقيقية محمد أركون، حيث يُزيح المفهوم التقليدي الشائع للإسلام[2] ويحاول أن يُقدم مفهوما إجرائيا وحركيا، يرفض من خلاله الاستعمال المتداول لمصطلح الإسلام، معتمدا على وضع المفهوم التقليدي في ميزان النقد للكشف عن صلاحيته ومشروعيته.

وينطلق أركون من أن المفهوم الشائع يتمأسس على مقاربة مثالية ولاهوتية، وهي معرفة تبجيلية ترضى بما هو تقليدي وسائد، وتتوافق مع الخطاب الإسلامي الممثل في الحركات الأصولية الحالية، وحسب تصور هؤلاء، فالإسلام يشمل كل ما جاء به القرآن، وبالكيفية التي بيّنه بها الحديث النبوي، وما تركه السلف الصالح من تفسيرات وشروحات.

ويلجأ محمد أركون إلى مقاربة تاريخية في تمثله للإسلام، فهو حسبه غير محدد بشكل نهائي ومغلق، إنه مفهوم مفتوح لا يكتمل أبدا، ويجب إعادة صياغته وتحديده وتعريفه داخل كل سياق ثقافي واجتماعي، وفي كل حقبة زمنية محددة. لهذا فهو يتساءل: عن أي إسلام نتحدث: هل هو إسلام العصر الكلاسيكي، أم إسلام عصر الانحطاط؟

---

[1]- يوسف النملة، **كيف ينظر الغرب إلى الإسلام**، أطلع عليه يوم: 24/ 2020/04على: 7س و15 د، من الموقع التالي: https://yousefalnamlah.wordpress.com/2012/10/02

[2]- أركون محمد، **الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة**، تر هاشم صالح، دار الساقي، ط 2، ص 10.

يهدف محمد أركون من عملية مراجعة وتفحص مصطلح الإسلام إلى:

أ- تأصيل الإسلام في التاريخية بدلا من أن يبقى مفهوما مثاليا مجردا خارج الزمان والتاريخ.

ب- تنظيف - والتعبير لأركون- مفهوم الإسلام من كل التراكمات والإضافات الحشوية وأنواع الخلط التي لحقت به على مر القرون.

ج- إزالة البداهة العفوية عن مفهوم الإسلام الذي نعتقد أننا نفهم ما هو بمجرد أن نلفظ كلمة إسلام[1].

ثم ينتقد أركون الخطابات التي تجعل كلمة إسلام تصدق على كل البيئات الاجتماعية التي تواجد فيها الإسلام، فتلك المجتمعات فهمت القرآن بطريقة ما، ثم حولته إلى عقيدة ذاتية لها وانغلقت داخلها، واعتبرت كل التأويلات الأخرى منحرفة، لهذا فكل بيئة وكل فرقة تُمثل نمطا مميزا ومختلفا من الإسلام؛ فكلمة إسلام تحتضن داخلها إسلامات كثيرة ومتنوعة غير قابلة للتعميم، فالشيعة يقولون هم الإسلام الصحيح، والسنة على خلافهم ينسبونه إليهم، والخوارج بالمثل. فأيّهم نصدق؟[2].

وينتقد أركون أيضا وسائل الإعلام الغربية التي تتوسل بكل الطرق لتشويه صورة الإسلام، ونعته بأبشع الصفات، وتحاول احتكاره لصالحها وحدها، وتنفي كل الحقائق الأخرى عن الإسلام، لكي تخلع الموضوعية على ذاتها في أعين الجماهير الغربية « **وحوّلته وسائل الإعلام الغربية إلى "بعبع" مخيف لم يتغير بمقدار شعرة منذ محمد وحتى اليوم**»[3].

وينتقد أركون أيضا المستشرقين الذين انزلقوا في فخ التنميط والتعميم، بعقليتهم الضيقة والمتطرفة التي لا تعترف إلا بالعوامل المادية البحتة في التاريخ، وتقصي العوامل الروحية « **وعلى ذلك الخلط الفظيع والكارثي الذي تمارسه الأدبيات الاستشراقية المسيّسة والرائجة حاليا عن الإسلام (أو ما تدعوه بالإسلام دون أي تمييز أو تمحيص. هل هو الإسلام الروحي، أم الفلسفي، أم الإسلام الضيق والمختزل**

[1]- أركون محمد، **الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة**، (م س)، ص 11.

[2]- أركون محمد، **قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم؟**، تر: هاشم صالح، دار الطليعة بيروت، 1999، ص 117.

[3]- المرجع نفسه، ص 175.

للحركات المتطرفة الحالية؟ لا يوجد أي جواب ولا تمييز كله إسلام). وقد انتشرت هذه الأدبيات السياسوية كثيرا في السنوات الأخيرة في فرنسا وإنكلترا وأمريكا وعموم الغرب بسبب عودة الإسلام إلى الساحة كقوة سياسية يُحسب لها حساب»[1].

بعد تفكيك مصطلح الإسلام وتحليله، يخلص أركون إلى أن الإسلام يحوي تصورين: الأول مثالي ومتعالي، ستاتيكي، جامد، وهو غير مقبول، والثاني اجتماعي تاريخي، دينامي متطور، يتقولب على حسب المجتمعات والسياسات والإيديولوجيات.

2- الغرب: الرؤية والتداعيات

إذا كان مصطلح الإسلام يبدو في أول وهلة بسيطا وبديهيا، وفي العمق يثير المفارقات والصعوبات، فإن مصطلح الغرب هو الآخر يُظهر البساطة والوضوح، ويُخفي الالتباس والغموض وعليه ما هو الغرب؟ هل هو مجرد فكرة خيالية؟ أم حقيقة ملموسة تشكلت عبر التاريخ، وساهمت في تشكيلها عوامل اجتماعية وفكرية وجغرافية وسياسية؟

إن مفهوم الغرب ليس بسيطا ولا كليا، إنه يحيل إلى تعددية، يقول جيل دولوز: **«لا وجود لمفهوم بسيط. كل مفهوم يملك مكوّنات، ويكون محددا بها. للمفهوم رقم. إنه تعددية، حتى وإن لم تكن كلّ تعددية مفهومية، لا وجود لمفهوم أحادي المكوِّن »**[2].

ونفهم من هذا القول بأن تعددية مفهوم الغرب، تتوزع على التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة والدين والإيديولوجيا وتحيل هذه التعددية أحيانا إلى المسيحية أو إلى الحروب الصليبية، وأحيانا أخرى تُحيل إلى المركزية الحضارية الغربية لهذا يتعين علينا التحلي بنوع من الحذر في التعاطي مع المفهوم.

2-1 الغرب الجغرافي

يعتبر الجابري بأن مصطلحَ الغرب مفهوم جغرافي نسبي ومتحرك، فالمكان الواحد يكون غربا بالنسبة لمكان معين ويكون شرقا بالنسبة لمكان آخر[3].

---

[1]- أركون محمد، قضايا في نقد العقل الديني، (م س)، ص 120.

[2]- جيل دولوز، فليكس غتاري، **ماهي الفلسفة**، تر:مطاع صفدي، مركزالانماء القومي، بيروت، ط 1، 1997، ص 39.

[3]- 3- محمد عابد الجابري، **"الغرب والإسلام" .. بأي معنى؟**، أطلع عليه يوم: 2019/09/16، على: 8سا و20 د، من الموقع التالي: http://www.aljabriabed.net/sensoccidentislam.htm

ونفهم من هذا بأن كلمة غرب لا تدل على موقع أو مكان بعينه، بل على الجهة، كأن نقول تقع اليابان غرب ساحل كاليفورنيا، أو نقول إن الجزائر تقع جغرافيا في الشمال الغربي من قارة إفريقيا.

وهكذا يغدو مصطلح الغرب أمرا نسبيا، مثلما يصدق ذلك على الشرق والشمال والجنوب، وهناك من يعتقد بأن المفهوم انحرف عن معناه الجغرافي إلى معنى بديل هو السياسي والثقافي والاقتصادي، غير متعلق بمنطقة جغرافية محددة، ويستدلون على هذا بأن اليابان تصنف مع الغرب وهي بلد يقع في أقصى الشرق، مما يعني أن المعنى الجغرافي لم يعد يتمتع بمكانته، بيد أن هذا غير صحيح، فاليابان تنتمي لدول الشرق وأركون اقترح التسمية ولا يُوافقه الكثير.

ويرى جاك أتاليJacques Attali(1943) أن المفهوم الجغرافي هو الأكثر معقولية وصلاحية يقول: «**والمقاربة الأكثر واقعية له تتمثل في اعتباره مساحة جغرافية متجانسة تضم أوروبا وأمريكا الشمالية حول قيم التقدم والفردية وحصيلتهما السوق والديمقراطية**»[1].

ويعجب جورج قرم من الخطابات الغربية التي أسقطت على مصطلح جغرافي زخم من الوظائف العقائدية والأسطورية، يقول:« **قد نعجب للاستخدام الكثيف لمفهوم الغرب في كل أنواع الخطاب التاريخي والفلسفي التي نطق بها الأوروبيون خلال القرن المنصرم. إذ من شأن هذه الخطب أن تسقط على هذا المفهوم الجغرافي، بعدا جغراسيا وانفعاليا عاطفيا على السواء**»[2]

2-2 الغرب جغرافية ثقافية

يبدو العامل الثقافي الأهم والأخطر، فهو سبب نشوب الصراعات والحروب عبر التاريخ. وأكبر هذه الصراعات كانت بين الغرب والشرق، المسيحية والإسلام؛ وقتئذ بدأ الغرب ينظر إلى نفسه كأنا مفارق تتمايز عن الآخر المُغاير ضمن ظاهرة التمركز حول الذات (المركزية الأوربية)، وتشكل الغرب من خلفية يونانية رومانية، وعمد إلى عزل وإقصاء الآخر الشرقي جغرافيا وعرقيا وعقليا وحضاريا، يقول جورج قرم:

[1]- أتالي جاك، **معجم القرن الحادي والعشرين**، تر: يوسف ضومط، دار الجيل للنشر والطباعة، القاهرة، ط1، 2001، ص 149.
[2]- قرم جورج، **تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب**، تر: رلا دبيان، دار الفارابي بيروت- لبنان، ط1، 2011، ص 38.

«ومن المفترض بالمفهوم(الغرب)أن يجسد اليوم...القوة المنقطعة النظير، الحضارة والتقدم، العلم الظافر والعقلانية، الحداثة، الفردانية، الديمقراطية، دولة القانون وحرية الإنسان، الإنسانوية، الكونية...غزو الفضاء، تحرير المرأة، حقوق الطفولة، الحرية، الازدهار...، وما من لفظ أمكن له اكتساب هذا الكم من الدلالات والإسنادات الرمزية والانفعالية والقوية، التي كان لها أن أصطنعت بوحي من التضاد...والتناقض مع المدلولات الشرقية. فلكي يقوى الغرب على الوجود لا بد له من شقيق غريم لدود أو على الأقل خطير مثير للقلق، ينبغي له الاحتراس منه»[1].

ونفهم من هذا القول أن الغرب اليوم غدا يوظف قيمه الثقافية كقيم كونية بديلة ومشروعة في الظاهر، بيد أنه في الحقيقة يتم توظيف الثقافة والقيم كآلية للسيطرة والهيمنة والاستعلاء على المجتمعات الأخرى، فأفق المثاقفة التي باتت تسعى إليها الإنسانية تبخر ضمن منطق الصدام والهيمنة، فالغرب لا يعترف بسنة الاختلاف الثقافي.

والاختلاف الثقافي حق ثابت وسلوك حميد، والتثاقف يلعب دورا طلائعيا في إثراء الثقافات والحضارات، غير أن هذا الاختلاف شهد مع الغرب انزياحا واعوجاجا، وغدا خلافا يُفضي إلى الصدام والحروب؛ يتقصد تدمير الآخر وبسط النفوذ عليه، والاستعمار الذي كرسه الغرب ضد الشعوب الضعيفة بحجة تحديثها وتنويرها لأقوى باعث على ذلك.

ولعل صدام الحضارات الذي لفظه مثقفوا الغرب هو مجرد افتعال وتكتيك يُواري وراءه الغرب رغبته في الغزو والنهب والسيطرة، يُماثل ما تُرتبه العولمة من طمس للهوية الثقافية والحضارية تحت شعار التنمية والتطور لشعوب العالم« **فالعولمة إلى جانب أنها تعكس مظهرا أساسيا من مظاهر التطور الحضاري الذي يشهده عصرنا، هي أيضا إيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته»**[2].

وإن العولمة لباس صمم لمقاس واحد وفرض على الجميع دون مراعاة أصالة الشعوب وثقافاتها الخاصة، فلكل مجتمع نمط متميز يتجسد في الدين والأخلاق

[1]- قرم جورح، تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب، (م س)، ص ص 54- 55.
[2]- هارون فرغلي، **الإرهاب العولمي وانهيار الامبراطورية الأمريكية**، دار الوافي للنشر، القاهرة، ط1، 2006، ص 75.

والمقومات، لكن مشروع العولمة يرى في كل هذا نوعا من التعصب أو النموذج البدائي الذي ينبغي التخلي عنه من أجل تحقيق الرقي.

وكل هذا يدعو إلى إحداث نموذج سياسي يتوافق مع هذه الخصائص، وليس دمقرطة العالم تحت شعارات زائفة كحقوق الإنسان واحترام الحريات، حتى أصبح التدخل سافرا في شؤون الدول، والمتأمل فيما يحدث في العالم يرى ذلك بصورة واضحة، فوسائل الإعلام لا تتوقف عن اطلاعنا على التحرشات التي تمارسها القوى العظمى على الدول المستضعفة.

فنلاحظ اليوم أن العلاقات الدولية تشهد أزمة أخلاقية فإذا كانت الديمقراطية هي سيادة الشعب فهذا ليس معناه فرض النمط الغربي الذي يقدس المادة ويحتقر كل ما هو روحي، ولم يثبت التاريخ يوما أن الغرب أخرج دولة من ضعف إلى قوة بعد دمقرطتها، بل العكس هو الذي حدث، لذا وجب على كل أمة أن تنتهج نظاما وفق ثوابتها ومبادئها مع مراعاة الواقع الجديد دون التبعية المطلقة، هكذا فقط يمكن لها أن تستمر وتبقى ثابتة وقوية في ظل عالم لا يرحم الضعفاء.

ويُعبئ الغرب جماهير واسعة على المسرح العالمي بشكل تبسطي بأن ثقافته هي البديلة عن الثقافات الأخرى، فالثقافة الغربية هي الجوهر وهي المعيار، إنها البراديغم الذي يجب على الكل الاحتذاء به، وعلى الخصوص الشعوب الإسلامية، يقول سمير أمين:« **والخطاب شبه العلمي للمركزية الأوروبية و"الاستشراق" السيئ. وهو خطاب مبني على أن الغرب وحده هو القادر على اختراع الحداثة، في حين تنغلق الشعوب الإسلامية في إطار" تقاليد" جامدة لا تسمح لها بفهم وتقدير حجم التغيرات الضرورية**»[1]

3-2 الغرب الاقتصادي

ويعتقد بعض المفكرين بأن مصطلح الغرب تطور وتحول بعد ضمور البعد الجغرافي، إلى مفهوم ثقافي وحضاري يُترجم أبعادا أخرى فرضتها الحياة الاجتماعية بمجالاتها المتنوعة، ودليلهم على هذا أنه يمكن وسم نظم اقتصادية بالرغم من تواجدها في الشرق أنها غربية؛ لأنها تُهيمن على العالم اقتصاديا.

[1]- أمين سمير، **ما بعد الرأسمالية المتهالكة**، تر: فهيمة شرف الدين وسناء أبوشقرا، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 2003، ص 253.

وتحول الغرب إلى مجتمع استهلاكي بامتياز، لهذا يعيد محمد أركون النظر في مصطلح الغرب، مؤكدا فيه على البعد الاقتصادي، معتبرا إياه المحدد الأول لمفهوم الغرب« **ما هو الغرب بالضبط؟ أقترح لتعريفه الشيء التالي: الغرب هو كتلة الدول السبع الكبار التي تلتقي سنويا، وبانتظام منذ عام 1989. وهي مجموعة جغرافية سياسية، وجغرافية اقتصادية، وجغرافية مصرفية مؤلّفة من الدول التالية: الولايات المتحدة، اليابان، كندا، فرنسا، ايطاليا، انكلترا، ألمانيا. وتعتبر كتلة السبع الكبار التي تهيمن على العالم عن الإرادة الجغرافية الاستراتيجية الجديدة في تطوير المبادئ السياسية والاقتصادية التي تؤسس الديمقراطية الليبيرالية والتبادل التجاري الحر. إن قبول اليابان في هذا المنتدى الغربي يُبيّن لنا كيف أن المعايير الثقافية والفلسفية ليست مأخوذة فعلا بعين الاعتبار، وإنما المهم هو القوة الاقتصادية والتكنولوجية والمالية**»[1].

فالإسلام والغرب ليسا إلا إنتاجين إنسانين لعب فيهما الخيال وعلاقات القوة والهيمنة الدور الكبير يقول إدوارد سعيد: « **إن البشر هم الذين يصنعون تاريخهم وأن ما يستطيعون أن يعرفوه محدود بما صنعوه...البشر هم الذين صنعوا ويصنعون المحليات والمناطق والقطاعات الجغرافية من أمثال الشرق والغرب فكل منهما كيان جغرافي ثقافي، ناهيك بكونه كيانا تاريخيا**»[2].

بيد أن المفكر هشام جعيّط يرى أن أوروبا ذات أصل جغرافي بحت والإسلام ذو أصل ديني بحت[3]، لكن يمكن دراستهما من خلال اعتبار« **أوروبا كثقافة تاريخية وحضارة كبرى، نجد مثيلها في الإسلام الكبير، جماعة وحضارة ...أي أوروبا والإسلام ... حضارتان تاريخيتان حيّتان، لهما منحى شمولي. تعرضتا لتحولات وانكسارات، لها مركز وأطراف: تلك هي الصفات التي ترسم وجه الشبه بين المصائر وتبرر الجهد المبذول في عملية المقارنة**»[4].

ويبدو لنا بأن هذه النظرة الاجتهادية التي وضع ملامحها هشام جعيّط تتماشى مع دراستنا، ويمكنها تبرير المقارنة بين ثنائية: الإسلام والغرب.

---

[1]– أركون محمد، قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الاسلام اليوم؟، (م س)، ص 203.

[2]– إدوارد سعيد، **الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق**، تر: محمد عناني، رؤية للتوزيع والنشر، ط 1، 2006، ص 48.

[3]– جعَيط هشام، **أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة**، بيروت لبنان، ط 2، 2001. ص 5.

[4]– المرجع نفسه، ص 6.

ثانيا: الإسلام الأوروبي

يعتقد بعض المفكرين بأن الإسلام الأوروبي حلم كبيرٌ يُغازله المسلمون، يروم إلى تغيير أوروبا، ولكن هل **باستطاعة أوروبا أن تجعل** من الإسلام كيانا ديموقراطيا تعدديا يعترف بحقوق الإنسان وبالمساواة بين الرجل والمرأة والمساواة بين كل الأديان، أم العكس أن الإسلام سينجح في أسلمة أوروبا ويخضعها لقوانينه؟

1- أطروحة أوليفييه روا

تتمحور أطروحة أوليفييه رواOlivier Roy (1949) حول سؤال جوهري هو :هل يتساوق الإسلام مع العلمانية؟

ولمعالجة هذا السؤال يروم أولفييه روا إلى بيان التنوع العميق للإسلام المعاصر **« ليس على أساس المذاهب والمدارات الجغرافية، بل من خلال ممارسة الفاعلين الذين أتوا جديدا أو (استصلحوه)من دون أن يعرفوه دائما»**[1]

ونفهم من هذا تحول الدين عند المسلمين من عنصر معرفي إلى عنصر تطبيقي (ممارسة) وعندها يغلب التدين على الدين، وعلى ذلك لم تعد المعرفة عنصرا خلاصا. هنا تغدو التجربة الدينية متفوقة على المعرفة الدينية، كأن نجد مسلمين أصوليّي المعرفة لكنهم ليبيراليو التجربة، ولعل هذا ما وسمه أوليفييه روا بالجهل المقدس. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن جل الفاعلين الإسلامين يجهلون الإسلام كمعتقد وبعد معرفي، ويعتقدون أنهم يعرفونه معرفة موضوعية به.

ويراهن أوليفييه روا على أن المجتمعات الإسلامية صنعت أنماطا من الدّنيوية الخاصة بها مؤكدا على أن الأصولية الإسلامية شاركت في إدراج العصرنة إلى الدول الإسلامية من خلال استتباع سياسات عملية تطبيقية وليس من خلال سجال عقلي وفلسفي لقضايا الديمقراطية والعلمانية، وإمكانات تجسيدها في نسيج الإسلام[2].

[1]- أوليفييه روا، **نحو إسلام أوروبي**، تر: خليل أحمد خليل، دار المعارف الحكمية، ط1، 2011، ص 16.

[2]- المرجع نفسه ص 22.

ويعتبر أوليفييه روا أنه لا شيء في آلية العمل السياسي إسلامي في ذاته، فالديني حسبه يتحدد من خلال السياسي وليس العكس، ذلك أنه ينطلق من مسلمة مفادها: ليس لأي عقيدة دينية من تأثير مباشر في السياسي، والعقيدة لا تتحرك إلا إذا حُددت بإيديولوجيا سياسية، كمثال الحكم أو الثورة في إيران.

وينطلق أوليفييه روا من فرضية أساس هي أن فكرة الأمة، والموقف منها، النظر إليها، والسلوكات الواقعية اتجاهها، هي المعيار الأساس لتصنيف الناشطين الإسلامين الجدد ويقسمهم إلى ثلاثة أصناف[1]:

-الحركات الإسلاموية المعتدلة التي تسخر الدولة المنتمية إليها فضاءً لأنشطتها السياسية. ترفض هذه الحركات العنف وتمارس أنشطتها بأساليب سياسية كالدعاية، الاعلام، الانتخابات.

ومعنى هذا إن تمفصل السياسي عن الديني يفضي إلى العلمانية ويتماهى معها عن طريق أدلجة المشهد السياسي، منطلقا من مرجعية يتقاسمها الجميع هي الإسلام المعاد صياغته بتخوم إيديولوجيا سياسية.

-الأصولية الجديدة التي ظلت متشبثة بفكرة الأمة الإسلامية والتي ترفع راية الجهاد، رافضة الكيانات السياسية القائمة بحجة بعدها عن الإسلام، وهذه الحركة تشارك في عملية التمازج الثقافي ولكن عن طريق الفرد الإنسان لا الدولة[2].

-الإسلام الأقلياتي ويصدق على المسلمين المهاجرين إلى أوروبا، وهؤلاء أزمعوا الاستيطان في بلدان المهجر، يبتغون إقامة هوية دينية في مجتمعات علمانية وذات أصول مسيحية، ويطالبون بأن يعاملوا كمواطنين، ما يجعل هدفهم صعبا ومركبا؛ والسؤال الذي يطرحه المؤلف هو كيفية صوغ إسلام في إطار فضاء ثقافي يجهله ويتجاهله وإن كان يتساهل معه[3].

يعتقد أوليفييه روا أنه على المستوى النظري الإسلام الأوروبي يفتح باب الاجتهاد عن طريق التأويل للقبض على مقاصد القرآن، بغية إيجاد منافذ دينية

[1]- أوليفييه روا، نحو إسلام أوروبي، (م س)، ص 24.

[2]- المرجع نفسه ص 59.

[3]- المرجع نفسه ص 84.

للمعضلات التي يواجهها المسلمون عندما يحيون كأقلية في بلد يسلك نظام علماني كمشكلة الحجاب، الاختلاط، الحلال والحرام في الطعام[1].

الإسلام الأوروبي لم يعد ينبني على مسلمات فقهية أو مقاربة حقوقية جديدة، وإنما هو عبارة عن براكسيس في سياق خاص، فالمسلم الأوروبي لا يخضع لقانون إسلامي، ولا لضغط رأي عام إسلامي يفرض عليه ممارسات دينية معينة، ليمارس الدين طبقا لقناعته الفردية، فالهجرة أرغمت المسلم على تصور الدين باعتباره خيارا حرا، وعملا إراديا، ينأى عن أي ضغط خارجي[2].

إن أغلبية المسلمين الذين استوطنوا أوروبا بصورة قطعية هم أبناء مهاجرين أو مستوطنين سابقين، انفصلوا عن ثقافة وعادات وتقاليد ولغة مسقط الرأس. وأضحوا يتحدثون لغة بلد المهجر ويتعلمون بها، أما لغة مسقط الرأس فإن تعلموها تصبح لغة ثانية الغرض منها الصلاة وقراءة القرآن، وليس كلغة ثقافة واستخدام يومي.

ويُلح جل الوعاظ والأئمة على موضوعات أخلاقية وروحية في أفق التفتح الشخصي وطلب الكمال والكرامة كالصبر، المعاناة، مقاومة الإغواء وذلك أن التخلي عن المحرمات والمحظورات يناسب النّمو الروحي والتدرب الأخلاقي، وليس خضوعا لضغوط قانونية أو اجتماعية[3].

إن الإسلام المعاش في أوروبا يظل يمارس كتجربة شخصية على غرار العودة إلى الذات، تقوم على ممارسة الأخلاق والعبادات الإسلامية، وعلى الامتثال للقوانين الأوروبية وأنظمتها، ولا يتسنى له إن يعاش كشريعة أو نظام حقوقي أو سياسي[4].

ما ذكرناه سالفا يفضي حسب أوليفييه روا إلى تواجد إسلام أوروبي يرتكز على التفرد في الاعتقاد الديني والممارسة الدينية، ويتأتى من مواءمة طبيعية لأقلية مسلمة، مع مجتمع أوروبي غير مسلم، ينهض على مرجعية وقوانين علمانية، وهذا بدوره يولد من الناحية العملية علمانية لدى هذه الأقلية لا تقوم على تمفصل الدين عن الدولة أو

[1]- أوليفييه روا، نحو إسلام أوروبي، (م س)، ص 85.

[2]- المرجع نفسه، ص 104.

[3]- المرجع نفسه، ص 105.

[4]- المرجع نفسه، ص 109.

السياسة فحسب، وإنما في إقامة الدين على حرية فردية يخضع لقناعات وممارسات هذا الفرد أو ذاك، بعيدا عن أية معايير قانونية أو اجتماعية.

وإن أول ملاحظة تستوقفني في أطروحة أوليفييه روا هي السؤال الاستشكالي الذي تصدر بحثه وهو: هل يتوافق الإسلام مع العلمانية؟، ما معنى هذا السؤال في العمق؟ أو ما الشيء المضمر الذي يتوارى داخل السؤال؟

نفهم من هذا الطرح وكأن العلمانية هي أروع وأجمل نظام تمخض عن الحضارة الغربية، أي إن العلمانية تتصدر قمة الجبل والإسلام يتواجد في أسفل هذا الجبل، وإذا أراد الإسلام الصعود إلى هذه القمة يتعين عليه التوافق والانسجام مع العلمانية، وذلك بالتخلي والتنازل عن العديد من مبادئه التي تتناقض وتتعارض مع العلمانية.

أما تأكيده إن لا شيء في العمل السياسي إسلامي في ذاته، وأن السياسي هو الذي يحدد الديني، مما يعني بأن الإسلام يتوافق مع القيم العلمانية والليبرالية، أعتقد أنه يُجانب الصواب، لأن أطروحة المؤلف عصية عن التعميم، ذلك إن أوليفييه روا تتبع نشاط بعض الحركات الأصولية الإسلامية والأحزاب السياسية، وجعل منها مصداقا لأطروحته، وكان حرّيٌ به أن يُحدد ويُدقق في أحكامه، كأن يقول إن الحركات الإسلامية السياسية التي استدل بها على أطروحته تتساوق وتتلاءم بأسلوبها ومنهجها مع قيم ومبادئ العلمانية، وليس الإسلام قاطبة، مما يدل على أن المُؤلف لا يميز بين نشاط المسلمين وسلوكياتهم في الواقع ونظام الإسلام بمبادئه الخالدة.

أما انتهاج الحركات الأصولية والأحزاب السياسية أسلوب ومبادئ العلمانية له ما يُبرره، حتى وإن لم تكن مُخلصة لمبادئ الإسلام. فنمط التعامل الأوروبي حيال المسلمين، من تمييز وتحيز وتصاعد في موجة الكراهة كلها عوامل تفرض عليهم استخدام المرونة والانسجام مع قيم العلمانية للظفر بحقوقهم المهضومة.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية الواقع المرير دفع بنخبة من المفكرين والمثقفين المسلمين في أوروبا، أمثال الدكتور مالك شبل وطارق رمضان ويوسف صديق إلى التفكير في طرح فكر تجديدي للدين يُيسر على المسلمين الأوروبيين التأقلم مع وضعهم.

2- أطروحة طارق رمضان

تتمحور أطروحة طارق رمضان في ما يأتي: أن هناك خوفا متبادلا بين الطرفين(الأوروبي والإسلامي)، بالنسبة للأوروبيين يتساءلون حول مآل هذا الرسوخ الطويل للإسلام في أوروبا، والخشية من أسلمة أوروبا، أما بالنسبة للمسلمين فخوفهم الأساس يتمثل في احتمال خسارة دينهم وثقافتهم وهويتهم المتميزة، خوف يستولي عليهم من أن يستعمروا ثقافيا أو يهضموا بالكلية. ويعتبر رمضان بأن هذه هي الحقائق الجوهرية للإسلام الأوروبي في يومنا هذا، بيد أنه عند معالجتنا لها ينبغي تسليط الضوء على العناصر الآتية لأهميتها لأي نقاش حول الإسلام الأوروبي:

-الإسلام دين أنزله الله تعالى إلى العالمين ليكون أسلوب حياة وليس مجرد سمة ثقافية، وتغييب هذا البعد عن النقاش سيجعل كل الجوانب الأخرى للإسلام في أوروبا بدون نجاعة وقيمة.

-التركيز في تحليل الإسلام والمسلمين في أوروبا على نظرة المسلمين لأنفسهم، وفهمهم للإسلام، وليس على نظرة الأوروبيين لهم[1].

2-1 الإسلام الأوروبي: دين أم ثقافة

من وجهة نظر طارق رمضان أن شريحة كبيرة من المسلمين، من بينهم علماء ومؤمنين بسطاء يعارضون فكرة الإسلام الأوروبي مختلف عن الإسلام الموحد الأصل، معتقدين بأن هذه التسمية محاولة لتفتيت الإسلام ومسخه، وسعي خطير لإصلاحه.

ومن جهة أخرى يؤكد السوسيولوجيون بأن ليس هناك إسلاما واحدا، إذ هناك عدة أشكال للإسلام تختلف باختلاف التأويلات أو المجتمعات، ومن الضروري التعامل مع هذا التنوع بطريقة دقيقة وجادة.

ويحاول طارق رمضان تهذيب هاتين المقاربتين المناقضتين مقرا بأن الإسلام دين عالمي واحد ومتنوع في الآن ذاته[2] على مستوى العقيدة التي تعتبر

[1]- طارق رمضان وآخرون، **الإسلام الدين الثاني في أروربا**، تر: أحمد الشيمي، القاهرة، ط 1، 2016، ص 334.

[2]- Ramadan tariq, **Mon intime conviction**, Edition Archipoche, France,2011,p 75.

جوهر الإيمان، وعلى مستوى تطبيقها في العبادات الإسلام واحد يُوحد جميع الفرق سنة وشيعة تحت قاعدة الوحي القرآني والسنة النبوية اللذان يحددان المبادئ العامة للدين الإسلامي في الشرق والغرب، الشمال والجنوب بصيغة واضحة وصريحة، وهذه المبادئ هي التي تغدي مجتمع الإيمان أو ما يسمى بالأمة[1].

فالإسلام دين متنوع من زاويتين: الأولى توجد من خلال القراءات والتأويلات التي تفسر اختلاف التقاليد والميول وتشعب المدارس الفقهية مثلما نألف ذلك بين السنة والشيعة سواء كانوا علماء أو مسلمين عاديين.

أما الثانية تتمظهر من خلال طبيعة الثقافات والعرف والعادات؛ فمسلمو إفريقيا أو آسيا لطالما احتفظوا بالكثير من أنماط حياتهم وعاداتهم ولكن الجميع عليه احترام ومراعاة العقيدة، لأن المبادئ والعبادات يتعين على كل المسلمين بمختلف ثقافتهم وبلدانهم أو انتماءاتهم السياسية أن يلتزموا بها لأنها مبادئ ثابتة وعامة، وأي مسلم يسعه فعل ما يشاء مادام لا يخالف ركنا منصوصٌ عليه شرعا، ولكي يقلع المسلم عن فعل شيء، يلزم وجود نص صريح وصحيح ينص على عدم جواز هذا الفعل[2].

وطبيعة الإسلام الأوروبي لا يخرج عن هذا السياق، فالإسلام الأوروبي إذا راعى واحترم المبادئ العامة للعقيدة والعبادات، وتولى في الوقت نفسه ثقافته الغربية بتنوعها واختلافها لا يطرح ذلك أية مشكلة، فالأوروبيون المسلمون يكون إسلامهم تاما بالنسبة إلى مبادئ الدين، ويكونون في الوقت نفسه أوروبيون بالتمام نسبة إلى ثقافتهم الأوروبية والغربية.

لا يتعلق الأمر بالنسبة لطارق رمضان إلى خلق إسلام جديد، ولكن يعود الأمر إلى تصالح الإسلام مع ديناميكيته وإبداعاته وإيمانه الأصيل، ويتحتم على المسلمين أن يربطوا كل شيء صالح في المجتمعات الأوروبية بمعتقدهم من منطق الإخلاص لله، وفي الوقت نفسه النظر إلى الأشياء الطالحة بأنها سلوكات قابلة للنقاش وللنقد، من منطلق أن كل الثقافات، عربية، آسيوية، غربية تقتضي فكرا نقديا، ونقدا ذاتيا مستمرا

[1]- Mon intime conviction, p 76.

[2]- Ibid, p 77.

من أجل تطوير العادات والأعراف في ضوء المبادئ الدينية، لأن ما هو معروف أن المبادئ تتآكل وتتلاشى إذا طغت عليها العادات والأعراف[1].

ويتعين على مسلمي الغرب أو أوروبا للوصول إلى هذا الهدف، حسب طارق رمضان القيام بعمل مزدوج وذلك بتفكيك وإعادة بناء من خلال التركيز على التمييز بين ما هو ديني وما هو ثقافي، واستبعاد تلك النظرة التي تصور الإسلام كأنه وافد من الباكستان أو الترك أو العرب وبالمرة ليس هناك دينٌ بدون ثقافة، وليس هناك ثقافةٌ لا تقوم على الدين، ولكن الدين ليس الثقافة، وعملية التمييز بينهما ليست بالأمر السهل والهين، ذلك إن الاغتراب هو الذي يجعل التمايز ضروري وفي الآن ذاته صعب وسهل(مفارقة).

ومن ناحية أخرى ينكفئ المسلمون المهاجرون على دينهم وثقافتهم ومجتمعاتهم بغية تحصين هويتهم من خطر الضياع في البيئة الأجنبية، ويقاومون هذا الخطر المحتمل بواسطة نمط حياتهم الذي عرفوه في بلدانهم الأصلية، فيخلطون دائما بين الدين والثقافة والعادات[2].

أما من ناحية ثانية، فالجيل الثاني والأجيال اللاحقة، لا يمكن أن يكونوا راضين عن هذا الموقف، كونهم أكثر تعلما، فيتساءلون عن ملامح ثقافة البلد الأصل، كما أنهم يُمتصون بصفة طبيعية من طرف لغة وثقافة البلد الذي يحيون فيه (بلد المهجر)، وهذه المرحلة الانتقالية تُشكل أزمة طبيعية بين الأجيال، ولكن أيضا مع المجتمع المحيط بهم يقطعون مع العادات الثقافية السلبية لوالديهم وينظرون إليها على أنها مشكلة وليست إسلامية دوما. ويقبلون القيم الإيجابية للثقافة الغربية، بشرط أن تبقى كل هذه العادات الثقافية (غربية، وغير غربية) منسجمة مع مبادئ الإسلام [3].

2-2 الإسلام والعلمانية

في خضم العلمانية التي تتربع على عرش الحضارة الغربية، يجب تحليل الإسلام والمسلمين في أوروبا انطلاقا من التركيز على نظرة المسلمين لأنفسهم، وفهمهم

[1]- Mon intime conviction, p 78.

[2]- Ibid., p 79.

[3]- Ibid., p 80

للإسلام، وليس على نظرة الأوروبيين لهم، وتصنيفهم للمسلمين، ويعتقد طارق رمضان بأن هذا الفكر غائب اليوم على مسرح الإسلام الأوروبي.

ومن أجل إصلاح هذا النقص، وسد هذه الفجوة، ينطلق طارق رمضان من مسلمة مؤداها أن المسلمين اليوم لا يعرفون تاريخهم، ولا يدركون إلا القليل منه عن مرجعياتهم، ويقعون في الهامش عند إدارة النقاش، والذي يناقش على الهامش لن يكسب أبدا النقاش.

ومعنى هذا إن المسلمين لا يقفون على أرض صلبة في حديثهم مع الآخرين، لعدم وعيهم بمبادئهم، مما يفضي إلى عدم فهمهم لأنفسهم، ووعيهم للبيئة التي يتموقعون فيها، وهذا بدوره يولد لديهم خوفا من الآخر ومن المجتمع الذي يتواجدون فيه.

ومن الجلي أن المسلمين اليوم لا يميزون في حديثهم وفهمهم وفتواهم بين المنهج المستخدم في العبادات والمنهج المستعمل في المعاملات، فيصطبغ منهج مبادئ المعاملات بمنهج مبادئ العبادات، وهنا يقع الالتباس والفوضى والخلط، وبالتالي سوف ينعكس هذا الأمر سلبا على واقع وحياة المسلمين[1].

وعندما نوجه الحديث إلى العبادات، فعلى المسلم الالتزام بالنص، فإن رغب أحدهم في الصلاة على سبيل المثال، فعليه اتباع نص يصف كيفية الصلاة، مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[2]، وفي هذا المقام يكف المرء عن استخدام فهمه واجتهاده[3].

أما في مجال المعاملات فالوضع كله مختلف ومفارق، والمبدأ الأول الذي ينطلق منه المسلم مؤداه أن الأصل في الأشياء الإباحة، فالمسلم يفعل ما يشاء مادام لا يتعارض هذا الفعل مع نص يحظره[4].

ففي مجال العبادات ينبغي توفر شرط يبيح فعل الشيء، أما في مجال المعاملات لزم وجود شرط يُحرمه، وإذا انعدم هذا الشرط فهو مباح وجائز.

---

[1]- Ramadan tariq, conférence3, **quelle laïcité pour le monde musulman**, Mitidja impression, Alger, 2015, p93.

[2]- حديث رقم 6857 – من كتاب صحيح البخاري – كتاب أخبار الآحاد.

[3]- quelle laïcité pour le monde musulman, p 93. «priez comme vous m'avez vu prier».

[4]- Ibid., p93. «l'origine des choses est la permission tout est permis sauf ce qui est explicitement interdit»

معنى هذا أنه بإمكان المسلمين في أي زمان ومكان الأخذ من كل الثقافات عامة، والثقافة الأوروبية خاصة والنهل منها، ما لم تتعارض مع أصل أو نص في الكتاب والسنة. والتاريخ الإسلامي يشهد على أن المسلمينَ أخذوا من سائر الثقافات كل شيء إيجابي وصالح لا يتعارض مع مبادئهم الدينية، فالجاحظ في مؤلفه البيان والتبيين عرض أدب العرب وأدب الفرس، وحكم الهند ونصائح اليهودية والمسيحية، لأنه رأى أنها لا تخالف المبادئ الإسلامية.

إذن المصادر التي يرجع إليها المسلم واحدة، بيد أن هناكَ منهجيتين، منهجية العبادات، ومنهجية المعاملات، ولا يلزم أن تسري الأولى على الثانية، ذلك أن فقه المعاملات فيه إبداع واجتهاد وفكر وينفتح على كل مجالات الحياة، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، فنية، وليس الفكر الإسلامي فكرا لاهوتيا، إنه فكر ينم عن قانون إسلامي يجسده المسلمون لا يفتأ يعزز علاقة الإخلاص لله وأوامره. وداخل حقل هذا القانون(الشريعة) لا يهدف الفقيه أو المجتهد إلى معرفة الحدود، الحلال والحرام فحسب، بل يفسح المجال للعقلنة والاجتهاد للفصل بين ما يسمى الدوغمائية والعقلانية[1].

ويميز طارق رمضان بين لائكية sécularisation وعلمانية laïcité. الأولى تعني صيرورة تاريخية تفصل بين الديني والسياسي. ولها ثلاثة مستويات : أ- من الناحية المؤسساتية، فصل الكنيسة عن الدولة ب- من الناحية الفلسفية، تمييز الدوغمائية عن العقلانية ج- من الناحية اللاهوتية، الاختلاف بين الدين والمجتمع. بيد إن الكثير من يعتقد أنها الفصل المباشر بين الدين والسياسة.

والجدير بالذكر أن التاريخ الإسلامي حسب طارق رمضان وُجد فيه النوع الثاني من اللائكية، حيث ميز الكثير من المفكرين بين العقلاني والدوغمائي، فالدوغمائية هي التي تفرض الفكرة بدون مناقشتها واختبارها وهذه هي سمات العقلانية. ويضيف رمضان أنه لو أخبرنا شخص يدرك جيدا تاريخ الغرب سوف يندهش من الحداثة الإسلامية وقتئذ. ويستشهد رمضان بالشافعي وتلميذه ابن حنبل في القرن الثامن، عندما اختلفا ولم يتفقا، حيث قال الأول للثاني: أنت تقول هذا، وأنا أقول هكذا. ونحن اليوم لا

[1]- quelle laïcité pour le monde musulman, p94.

نتناقش، وإن لم أتفق معك سوف تسمني بالكفر، والعلمانية هي إضفاء الطابع المؤسساتي لهذه الصيرورة التاريخية.

فالشريعة ليست قانونَ عقوبات يطبقه المسلمون، بل هي الطريق إلى المصدر، وذلك من خلال إعادة قراءة المصادر الإسلامية في السياق الأوروبي الجديد، وهذا هو التجديد والوعي الإسلامي المطلوب، ولا يتأتى ذلك بتغيير النصوص، وإنما معاودة القراءة بمنظور جديد، وبناء رؤية جديدة تتناسب مع أي نسق جديد، شرط عدم التناقض مع المصادر[1].

ويقترح طارق رمضان علينا أربعة مصادر أساس يمكن استخلاصها من التاريخ الإسلامي، وهي حسبه مبادئ خالدة:

أ- دولة الحق المتجسدة في دولة المدينة، نستخلص منها القوانين التي تنظم علاقاتنا.

ب- المساواة في المواطنة، وينبغي للمسلمين الاشتغال بجدية حول مفهوم أهل الذمة، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا[2]

ت- نظام الانتخاب أو المبايعة، وهذا البعد معروف في الإسلام.

ث – مبدأ التناوب على السلطة، وهناك نصوص تُؤكد هذا المبدأ، وعلى الخصوص قول أبي بكر:" أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني"، وهذا يعني إذا لم أكن كُفْؤًا، يجب أن أُستبدل بخليفة آخر.[3]

ونفهم من هذا أن لدينا مبادئ ومرجعيات، ومن خلالها يتعين علينا اقتراح النماذج التي تتوافق مع المجتمع الذي نحيا فيه. فنتناقش حول المبادئ، ولا يفرض أحد نموذجا بعينه، ونترك المجتمعات تختار النموذج الذي يلائمها. إن نموذج فرنسا لا يصلح لأمريكا وبريطانيا، والعكس صحيح.

---

[1]- quelle laïcité pour le monde musulman, p86.

[2] - «ils ont ce que nous avons et et il leur incombe ce qui nous incombe»

[3]- Ibid, p 98.

ما يقلق طارق رمضان أن العالم الإسلامي يلعب دوما دور الضحية، ويفكر بأن ما آل إليه من انكسار وتخلف هو خطأ الغرب، وعلى حد تعبيره ما نحن عليه نستحقه ونحن مسؤولون عليه أمام التاريخ.

لهذا يتعين على المسلمين قاطبة أن يتخلوا عن أنانية الاستهلاك، ويُسهموا بوعي أخلاقي وروحي ومادي سعيا وراء تطوير مبادئهم العالمية أينما كانوا، وليكونوا شهداء على الناس كما جاء في القرآن الكريم، وذلك بالخروج من قوقعة القيتوهات ghettos، وضرب عرض الحائط ما يُلفقه الإعلام الغربي عن الإسلام والمسلمين، وعدم الخلط بين المبادئ والنماذج، بالحفاظ على المبادئ والبحث عن النماذج المناسبة[1].

أما في مجال علاقة الدين بالسياسة، فهناك اعتقاد سائد مؤداه أن هناك تماهي بين الدين والسياسة في الإسلام، بيد أنه حسب طارق رمضان هذا مجانب للحقيقة والصواب، وحجته في ذلك أن علماء الفقه في القرون الأولى من الإسلام أنشأوا فوارق واضحة بين المصطلحين[2]. فكانوا في ميدان العبادات يرجعون إلى القرآن والسنة، أما في ميدان الحياة الاجتماعية لم يتقيدوا بالمصدرين الأساسين القرآن والسنة، واستخلصوا حلولا وأفكارا انطلاقا من عقلانيتهم وذكائهم الإنساني على ضوء المبادئ العامة للدين. ونجد كل الكتابات الفقهية الأولى في القوانين والفقه تُميز بين باب العبادات والمعاملات لأن ماهيتهما ومنهجهما مختلفان. وهذا ما هو غائب ومستبعد اليوم عند الفقهاء والقضاة والمستشارين القانونيين، حيث لم يصلوا بتفكيرهم حتى عتبة التمييز بين المصطلحين في التسيير السياسي الراهن[3].

إذن الإسلام أقر تمييزا واضحا بين مجال عقيدة دوغمائية تفرض الرأي والعقلانية المفاوضة، بين الدين والسياسة، كما هو محدد اليوم كمرجعية للعالم الغربي.

3-2 الاندماج

اقترح طارق رمضان تصورات جديدة تُمكن المسلمين في أوروبا والغرب على الاندماج الايجابي في البلدان التي يقيمون فيها، وينطلق من مسلمة مفادها أن مصطلح

[1]- quelle laïcité pour le monde musulman, p 101.

[2]- ramadan tariq, **Islam la réforme radicale** : Ethique et libération, dition Archipoche, paris 2015, p 446.

[3]- Ibid, p 447.

الشريعة مفهوم وثيق الصلة بقضية اندماج المسلمين في المجتمعات الأوروبية، والشريعة ليست مجرد قانون عقوبات وحدود يسعى المسلمون إلى تجسيده في الواقع، ولكنه تصور عالمي لحيثيات دوام الإخلاص لله، تُساعد المسلمين في استخلاص معنى عالمي يُغيّر رؤية المسلمين للغرب.

لا شك أن هناك مستويات متنوعة للاندماج، كالاندماج السياسي والاجتماعي، وهذين النوعين موجودين في أوروبا. والشكل الذي يعنينا هو الاندماج الديني والفلسفي[1]، فالمسلمون إن استوعبوا مصطلح الشريعة على أنها نظرة عالمية بربط كل شيء صالح في أوروبا بعقيدتهم في دوام الإخلاص لله، واعتبار هذا الجانب عنصرا لا ينفصل من شرعتهم يُسارعون في الاندماج، ولا ينتظرونه من الآخرين، وعلى سبيل المثال إذا اطَّلع مسلم ما على الدساتير الأوروبية ووجد بنودا كثيرة تتفق مع منظوره للعدل، فلا يكفي أن يحترمها لأنها فقط عنصر من دستور وقع معه عقدا أخلاقيا يضمن له المواطنة الأوروبية، "**فالأمر يتجاوز ذلك: إنني أُكن لها توقيرا لأنها تلبي حاجة ماسة لوعيي الديني، وبذلك تستحيل جزءا من قيمي المحببة، فعلى هذا المنوال أندمج اجتماعيا**"[2]

أما الاندماج الديني والفلسفي ينبني على أن العديد من القيم الأوروبية، التي تنتمي إلى نسيج الإسلام أو تتوافق معه، فمبادئ العدل والمساواة مبادئ إسلامية محضة، وأيضا القيم المثلى التي نجدها عند الأوروبيين، يقول طارق رمضان: « **وهنا يسأل المسلمون:" كيف تقول إن ما لدينا حتى الآن كالخلفية الثقافية والقانونية في أوروبا، إسلامي بالفعل؟" أقول لهم: نعم، فكل شيء أوروبي من هذا القبيل ينتمي إلى المسلمين، وهذه ليست حقيقة جديدة كل الجدة**»[3]

ونفهم من هذا أن القيم الصالحة والمثلى المبثوثة في ثنايا الحضارة الغربية، قيم عالمية تتقاطع مع القيم الإسلامية العالمية ولا تناقضها، وهي تساعد المسلمين في

[1]- طارق رمضان وآخرون، الإسلام الدين الثاني في أوروبا، (م س)، ص 339.

[2]- المرجع نفسه، ص 340.

[3]- المرجع نفسه، ص 340.

أوروبا على تنمية ثقافة أوروبية إسلامية، وبإمكانها إن تتطور وتفضي إلى بناء هوية مشتركة بين الطرفين.

ويعتبر الدكتور محمد طيبي أن جهود طارق رمضان تمثل علامة بارزة في معالم الإسلام الأوروبي، لكنها إن لم تُحدث تغييرا نوعيا يدفع بالأنتلجنسيا المسلمة إلى التنظيم الاستراتيجي الحقيقي الذي يخترق المؤسسات، فستغدو مجرّد خطابات تسعى لتيسير الطريق نحو الموت.[1]

من جانبي أُثمن أطروحة طارق رمضان حول الفصل بين العبادات والمعاملات، ذلك أن الخلط بين فقه العبادات وفقه المعاملات يُفضي إلى عرقلة الإصلاح ويختزل الإخلاص لرسالة السلف والإسلام في قراءة جامدة للنصوص، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يُعد الإصلاح نتيجة جوهرية للفكر الإسلامي المعاصر والراهن، ويساهم أيضا في قراءة النصوص وفهمها وتطبيقها وفقا لروح العصر والسياق التاريخي الجديد؛ ورؤية طارق رمضان تعزز الحوار بين المسلمين وغير المسلمين وتُؤسس لإتيقا التواصل في الفضاء العمومي للمجتمع الغربي.

كما أعتقد أن أطروحة طارق رمضان من الناحية النظرية غاية في الإبداع والتجديد، إلا أنها تصطدم بالواقع ومجال تطبيقها، فمثلا عندما يؤكد أن الإسلام الأوروبي إذا راعى واحترم المبادئ العامة للعقيدة والعبادات، وتولى في الوقت نفسه ثقافته الغربية بتنوعها واختلافها لا يطرح ذلك أية مشكلة، فهذا كلام جميل وطيب، لكنه لم يُوضح لنا الكيفية التي نجسد بها هذا المقترح، كما أنه لم يقترح لنا حلولا ناجعة من خلالها يتعامل المسلمون مع المضايقات التي يواجهونها في أوروبا مثل، اللباس، الأعياد، الزواج المثلي.

لا نوافق طارق رمضان في تصريحه أثناء المناظرة التي أجراها مع نيكولا ساركوزي (Nicolas Sarkozy) (1955) عام 2003 في قضية العقوبات البدنية وتأييده وقف تطبيقها كخطوة نحو إلغائها، من ناحية أولى كونها مبادئ دينية ثابتة، ومن ناحية ثانية لم يذكر لنا المبررات والمسوغات التي تُجيز إلغاءها.

[1]– الطيبي محمد، وآخرون، **الإسلام الأوروبي**، مركز المسبار، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2010، ص66.

وبيّن لنا طارق رمضان أن الغربَ سوف يندهش من الحداثة الإسلامية، كونها كانت السباقة في إبداع النوع الثاني من اللائكية وهو تمييز الدوغمائية عن العقلانية، ويستشهد رمضان بالشافعي وتلميذه ابن حنبل حيث أنهما أسسا لإيتيقا المناقشة والحوار في القرن الثامن الميلادي، وذلك عندما اختلفا ولم يتفقا حول مشكلة راودتهما وقتئذ ووجدا لها حلين مختلفين.

أعتقد بأن هذا الحدث موجود في تصور طارق رمضان فقط، ولم يشير إليه أحد من قبل، كما أن هذا السلوك الذي أشار إليه طارق رمضان ينتمي إلى فقه الاختلاف في الاجتهاد وليس إلى الضرب الثاني من ضروب اللائكية.

فنجد في تاريخنا الإسلامي ما يصطدم مع تصور طارق رمضان، وبالضبط عندما تعرض الإمام ابن حنبل في محنة القول بخلق القرآن للتعذيب والتنكيل، نهاية القرن الثامن الميلادي، وكانت المعتزلة وراء هذه المحنة، ولاقت الدعم من الدولة بكافة أجهزتها ورجالها وقوتها، ولم ينته الأمر عند التبني والاعتناق، بل امتد إلى إجبار الناس على تبني ذلك بالقوة. والمعتزلة هي حاملة لواء الحداثة ورمز للعقلانية والانفتاح في فكرنا الإسلامي كما يعتقد البعض.

كما أعتقد أن هذا الحدث(النوع الثاني من اللائكية) لا يهم اليوم المسلم الأوروبي، فالمهم بالنسبة إليه هو إيجاد حلول ناجعة إزاء مجتمع يرفضه ولا يستسيغه.

وعلى صعيد آخر هناك من يرى أن الإسلام الأوروبي لا يعدو أن يكون حلما لامعنى له، ومجرد مشروع لا محل له من الواقعية، يقول الدكتور بومدين بوزيد: **«رؤية من يرى استحالة ذلك كلية، على اعتبار أن الإسلام يطرح نفسه كبديل للأديان لا يعترف بالآخرين من غير ديانته إلا كذميين، أي كمواطنين من الدرجة الثانية، وبالتالي فإن المسلمين في أوروبا سيزدادون تطرفا وعدوانية ضد الشعوب المستقبلة لهم، ومن ثم قد يكون حلمهم بإرجاع الأندلس الضائعة. كما أن فكرة الجهاد التي يتبنونها تقف وراء تشدّد الجماعات التي نشطت أكثر في أوروبا، كرد فعل ضد التمييز والغيتو" أحياء الضواحي"»**[1]

[1]– بوزيد، بومدين، وآخرون، الإسلام الأوروبي، (م س)، ص 117.

وحسب تصوري إن الإسلام الأوروبي ممكن التحقق، إذا تحصّن المجتمع الأوروبي بالنقاش الموضوعي حول الأوضاع التي يحياها المسلمون وبلدانه، بغية البحث عن حلول ترضي كلا الطرفين من أجل عيش حقيقي آمن ومشترك.

وإن جل المسلمين القاطنين بأوروبا يتوجسون ويقلقون على حقوقهم، والحركات الإسلامية السياسية تسعى جاهدة لتحقيقها رويدا رويدا، والدول الأوروبية عليها مناقشة هذه الحقوق بعقلانية ومعرفة معمقة بالإسلام، والأخذ بعين الاعتبار الاختلافات الثقافية للطرفين، وبذل أقصى الجهود ليصبح المسلمون مواطنون جيّدون، وذلك بفك العزلة عنهم، ومعرفة عيوب الاندماج، والعدول عن كل أشكال التهميش والجور والكراهة والاحتقار، عن طريق تطوير تحصليهم الدراسي، وفرص الشغل.

وينبغي على المجتمع الأوروبي أن يُدرك بأن المسلمين أصبحوا ضرورة ملحة في نسيج مجتمعهم، وقد يُساهمون في الحفاظ على المجتمع الأوروبي ورقيه، وعلى المسلمين التخلي عن فكرة الشعور بالنقص، والفهم المسيّس للإسلام، ونبذ العنف واعتبار أوروبا بلدهم ووطنهم.

المبحث الثاني: الأنا والآخر

****

تعد إشكالية الأنا والآخر من أهم إشكاليات الاجتماع الإنساني المعاصر وأكثرها تعقيدا. وهي معضلة منذ عصور خلت، وتفاقمت حدتها مع بروز الاستشراق، وتصاعدت بأكثر مع ظهور الاستشراق الجديد، الذي عنى بثنائية الغرب والإسلام مناط بحثنا.

وكان هدف الاستشراق في شطر كبير منه هو معاداة الشرق بغية السيطرة عليه وتقسيمه، حيث نجح الاستشراق إلى حد كبير في مشروعه التسلطي باستعمار الدول العربية بخاصة والإسلامية بعامة فباتت علاقة الاستعمار بالاستشراق أمرا واقعا، بيد إنه من الإجحاف ربط الاستشراق كله بالاستعمار.

والحديث عن الاستشراق يعني وعي الأنا نفسه بمراحل تاريخية ولت ثم وصلت اللحظة الراهنة وعليه: كيف نعي الأنا ضمن معادلة يتواجد فيها الأنا والآخر؟ وكيف رأى الآخر الأنا؟ وكيف تكونت هذه الرؤيا لديه؟ وما الرؤيا التي تخفيها هذه الرؤيا؟ وكيف تمثّل الغرب الإسلام؟ وهل له رؤيا بأسرار مبيتة؟

أولا: أطروحة محمد عابد الجابري

من وجهة نظر الجابري إن الأنا تتحدد دوما عبر الآخر، ذلك إن استشراف الأنا لمستقبله لابد للآخر أن يدخل كمحدد من محدداته، والتفكير في المستقبل القادم لا ينفك من أن يستعيد الماضي مستحضرا ما جاد به التراث(الأجداد)، وما كان من دور للطرف الذي كان يشكل الآخر بالنسبة لهم.

أما معطيات حاضر الإسلام فتتحد في جزء كبير منها بآخر هو الغرب الذي يطمح لتحقيق مصالحه بتنوع مجالاتها بوصفها مشروعا مستقبليا، إذا كان تفكير المسلمين في مستقبلهم يتطلب منهم استعادة الماضي، فهذا ينسحب أيضا على الغرب الآخر الذي يزاحم الأنا المسلم في مستقبله.

والغرب اليوم يردد مقولة مفادها بأن الخطر الذي سيجابههم في مستقبلهم هو الإسلام (الخطر الأخضر) ضبط المصطلح إثر أفول الخطر الشيوعي (الخطر الأحمر) حيث الغرب هتف منذ عقود ثلاثة بالقومية العربية؛ ولهذا فمن حق المسلم أن يستعمل

بدوره كلمة "مسيحية" غربية اسما للآخر الذي اصطدم مستقبله الماضي (وكذا يحدث له الأمر نفسه مع المستقبل العربي والإسلامي) وسيصطدم مستقبله الآتي مع المستقبل العربي (الإسلام).[1]

ويعتقد الجابري أن الغرب ينظر إلى نفسه على أنه وحده "الأنا"، أما باقي العالم ومن ضمنه الإسلام فمجرد "آخر" أدنى منه وجامد هذا الآخر ليس ندا، بل موضوعا له يتأطر ضمن ظاهرة التمركز حول الذات (المركزية الأوربية).[2]

فالغرب يعي ذاته عبر الآخر لكن من أجل سلبه لأناه وعزله وإقصائه حيث استعان لإنجاز ذلك بالاستشراق[3].

وعمد المستشرقون في تشييدهم للأنا الغرب إلى عزل وإقصاء الآخر–الإسلام – جغرافيا وعرقيا وعقليا وحضاريا؛ أما الإسلام لا يلغي الآخر لأنه يعترف باليهودية والمسيحية كديانتين سماويتين عكس الغرب يُلغيه إلغاءً تاما مما يدل على العداء الذي يكنّه الغرب في ذاكرته وواقعه للإسلام باعتباره آخر نافسه على ماضيه ولو تحول الغرب إلى علماني وبراغماتي فهو لن يتسامح مع الإسلام الذي تفوق على المسيحية، وما ردود أفعال السّاسة والصحفيين في الغرب إلا أنموذجا لذلك[4].

ولما يفكر الغرب في مستقبله مع الإسلام يجعله موضوعا ويُلغيه، أما استحضار المسلمين للغرب في مشاريعهم المستقبلية يظهر بوجهين: وجه يتخذ من الغرب خصما يجب أن يخشاه، ووجه يجعل منه أنموذجا يتعين علينا اتباعه علميا وتقنيا لأجل نهضتنا: " **إنه الآخر الذي تشعر الأنا أنه يلغيها، ولكنه في الوقت نفسه « المثال» الذي لا تستطيع «الأنا» أن تفكر في مستقبلها بدون الارتباط به نوعا من الارتباط**"[5]

أما الحل الذي يقترحه الجابري في علاقة الأنا بالآخر هو الأخذ بعين الاعتبار كل العلاقات المعقدة التي تربط بين الغرب والإسلام ماضيا وحاضرا ومستقبلا، ثقافيا

---

[1]– الجابري محمد عابد، **مسألة الهوية العروبة الإسلام...الغرب**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 4، 2012. ص94

[2]– المرجع نفسه، ص 125.

[3]– المرجع نفسه ص 128.

[4]– المرجع نفسه ص 136.

[5]– المرجع نفسه ص 140.

وسياسيا ودينيا لوقف زحف الامبريالية العالمية على التاريخ وشحن هذه العلاقة بالمعرفة الصحيحة بالواقع وبالإرادة المصممة على التغيير.

ويظهر الجابري موقفا انفعاليا حيال الغرب، ورؤيته لن تف بالغرض، فهل يا ترى عندما نبحث جميع العلاقات المعقدة التي تجمعنا مع الغرب في كل الميادين، ماضيا وحاضرا، نتمكن من صد زحف الإمبريالية؟ أعتقد أن الإشكالية أكبر من هذه الرؤية، فنحن نحتاج إلى تقدم علمي وحضاري يُكافئ الغرب حتى نستطيع توقيف المد الامبريالي الغربي. مثلا هل بإمكان أمريكا بسط امبرياليتها على كوريا؟ الجواب، طبعا لا، لأن الولايات المتحدة الأمريكية تخشى هذه الدولة لامتلاكها أسلحة نووية رادعة للقوة العسكرية الأمريكية.

ثانيا: أطروحة محمد أركون

يستاء محمد أركون من موقف الغرب تجاه الإسلام، فهو ينم عن عدائه وكراهته الشديدة للإسلام، والتي بلغت في بعض الأحيان حد الشتيمة والسباب يقول:" **إني أخوض صراعات لا تحصى على جبهة الجامعات الأوروبية، وكذلك على جبهة الملتقيات والندوات في برلين أو بروكسل أو أوكسفورد أو السوربون أو أمستردام أو برنستون أو هارفارد...إلخ، وكل ذلك من أجل شرح حقائق الإسلام بشكل تاريخي وموضوعي دقيق. ولكن العملية صعبة جدا. هذا أقل ما يقال.**"[1]

ولم يشفع له أكاديميته ولا تنويره ولا تكوينه للطلبة الفرنسيين في جامعة السوربون، حيث اشتدت هذه الحملة الشرسة من العداء عند انتقاد محمد أركون لسلمان رشدي صاحب كتاب «آيات شيطانية»، والسؤال الذي لابد من طرحه هنا هو: أي دور تضطلع به الأنتلجنسيا الإسلامية في صد العداء الذي يكرسه الغرب ضد الإسلام والمسلمين؟ وهل يمكن لهذه الأنتلجنسيا أن تنجح في تصحيح صورة الإسلام المشوهة في الغرب؟

في اعتقاد محمد أركون وهو الخبير بنوايا الغرب الذي يكرس فكرة الهيمنة وإيديولوجيا العداء، حيث لا يرى في الإسلام مقابلا للآخر على قدم المساواة أو طرفا

[1]– أركون محمد، **الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة**، تر: هاشم صالح، دار الساقي، ط 2، ص 45.

جديرا بالحوار أو شريكا مستقبليا وإنما هو موضوع، هو ذلك الشخص الغائب المشار إليه بضمير الغائب، إنه موضوع الكلام وليس ذاتا متكلمة[1] .

ويظهر الإسلام على أيدي الغرب مصدر كل الشرور والأوجاع التي طالت المجتمعات الدينية وهو المسؤول الوحيد عن البؤس المادي والاجتماعي يقول أركون: "وأصبح الإسلام على أيديهم هو السبب الأولي والنهائي لكل الانحرافات الإيديولوجية ومظاهر العنف والتعصب الشائعة حاليا في العديد من المجتمعات التي يسودها هذا الدين".[2]

وينجح محمد أركون في فضح هذا العداء والكشف عن الجهل بالإسلام في حواره مع الوزير والنائب الهولندي" بولكستاين" Bolkestein (1933) ومن الأمثلة على ذلك رد محمد أركون على إحدى أسئلته قائلا:" **عجيب أمرك إن إلحاحك على طلب الجواب بنعم أو لا يدل على أنك لا تزال سجين الفكر الثنوي. كما ويدل على مدى صعوبة إحلال المنطق التعددي محل المنطق الثنوي الاستنباطي**"[3]

ويريد أركون من خلال هذا القول تبيان مدى تغلغل الأحكام المسبقة والزائفة إلى أوساط النخبة الغربية وعدم استعدادها للتواصل مع الآخر المسلم، وحتى وإن تم هذا التواصل فيشوبه التلكؤ وعدم التفهم.

والحل الذي يقترحه "محمد أركون" هو المصالحة بين الغرب والإسلام عن طريق التوفيق بين الإسلام والعلمنة من أجل التوافق والتناسب وتدشين تاريخ جديد يضمن التضامن بين الشعوب بدل تضييع الجهود في العداء والصراع يقول:" **وقد اقتنعت بعد تفكير طويل بأن التفاعل بين الثقافات الأوروبية داخل الفضاء المتوسطي الجديد ثم بينها وبين مختلف الاتجاهات الانسية ذات الصبغة اليهودية والمسيحية والإسلامية والعلمانية الحديثة، سوف يُنتج ثمارا طيبة وسوف يشهد تطورات حاسمة في العقود المقبلة من السنين المستقبل واعد بالخير على عكس ما يتوقع الكثيرون بسبب المخاوف المظلمة السائدة حاليا**"[4].

---

[1]- أركون محمد، الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، (م س)، ص 45.

[2]- المرجع نفسه، ص 49.

[3]- المرجع نفسه، ص 386

[4]- المرجع نفسه، ص 51.

ورغم ما لاقته أفكار أركون من جدل واسع وانتقادات كبيرة، خاصة في تبرير ما أقدمت عليه لجنة ستازي الفرنسية التي أوصت بحظر الحجاب في المدارس الفرنسية، وهو أحد أبرز المدافعين عن علمانية فرنسا[1]، فإنه نجح في استكشاف الجهل بالإسلام من خلال النخب الغربية، كما أنه فضح عداء الغرب المكنون ضد الإسلام، فإننا نختلف معه في التصور الذي قدمه(التوفيق بين العلمانية والإسلام)، لأن العلمانية لو كانت حلا مُجديا، لكان محمد أركون أول المستفيدين من العلمانية والمستمتعين بها، ذلك أنه كان علمانيا من الدرجة الأولى في أكبر دولة علمانية، لكن هو يعترف بنفسه أن عَلمانيته وتنويره وراديكاليته لم تشفع له داخل الحرم الأكاديمي وعند أجهزة الإعلام الغربيين، وكم من المسلمين يستوطنون الغرب، وينهجون النهج العلماني، كرسوا حياتهم لخدمته(الغرب)، غير أن المجتمعَ الغربي لا يرى فيهم إلا ذلك الشخص الغائب، المشار إليه بضمير الغائب ولا يمكنه أن يكون جديرا بالحوار، فما بالنا بالمسلمين الذين يتموقعون خارج ديار الغرب؛ولو عدنا إلى التجربة العلمانية في تركيا، فهل نقول إن وسم تركيا بالعلمانية هي حقيقة أم مجرّد توصيف؟؟؟

ثالثا: أطروحة هشام جعيط

يعتقد " هشام جعيط" بأن عداء الغرب للإسلام بدأ مع تلك الغزوات التي شنها العرب ضد الغرب المسيحي القروسطوي والتي أدت إلى تشكيل تمثلات العالم الغربي للإسلام آنذاك: " **ذلك التمثل المجبول بالعداوة**".[2] واستمر هذا العداء مدة ثلاثة قرون من القرن الثاني عشر إلى غاية القرن الرابع عشر ميلادي، ويحمل هذا التمثل رؤية تسم النبي محمد بأنه شخص دجال وكاذب ومجرم والمسؤول عن توقف تطور الإنسانية باتجاه المسيحية، فضلا على ذلك فهو رجلٌ عنيفُ وشهوانيٌ ولا أخلاقي، والقرآن ليس سوى خرافات مشوهة مأخوذة من التوراة[3].

[1]- أبو زكريا يحيا، **الإسلام والغرب**، نشر إلكتروني يونيو 2004، www.nashiri.net، ص 45.

[2]- جعَيط هشام، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة، (م س)، ص 12.

[3]- المرجع نفسه، ص 13.

ينزعج هشام جعيط كثيرا من هذه الرؤية الاختزالية التي لا تساوي شيئا من وجهة نظر معرفة الإسلام والتي تغلغلت بعمق في اللاوعي الجماعي للغرب، ليتساءل عن الإمكانية التي تُصحح هذه التمثلات المغلوطة والشائعة ضد الإسلام [1].

بيد أنه مع مطلع القرن السادس عشر بدأ يتلاشى ويخبو عداء الغرب للإسلام، ذلك أنه لم يعد معتبرا خصما لاهوتيا بل دينا بسيطا يُقذف به خارج التيار الروحي المركزي للإنسانية، ولكن سرعان ما جسدت المسيحية طوال العصر الحديث وبكل قوة في الغرب، الاتجاه المعادي للإسلام، ومع استقلال العلمانية من ضغط المسيحية وسلوك التأمل العقلاني، انفتحت رُؤية جديدة للكون ترى في الإسلام كجزء متمم وهام من الحياة الإنسانية[2].

ومع مطلع القرن التاسع عشر حكمت الامبريالية ذات النزعة العرقية الاحتقارية أوروبا التي كانت تبرر السيطرة بسبب أن العالم غير الأوروبي لم يعد مهما ووجد نفسه مجردا من قيمته التاريخية وأضحى ميدانا أثنولوجيا، هنا أُدين الإسلام كمرداف للتعصب واعتبرت الجامعة العربية والإسلامية مؤامرة ضد أوروبا، واستُعمل الاستشراق لمعاداة الإسلام المسيحية والإنسانوية العلمانية. وبررت أوروبا توجهها الامبريالي بفكرة المهمة الحضارية التحررية التي تلقفتها من القرن الثامن عشر [3] .

ويمضي جعيط في مقاربته للعلاقة بين الإسلام والغرب، ومن أجل ذلك يدعم هذه المقاربة بتحليل كل من موقف المثقف الفرنسي وموقف الفكر الألماني من الإسلام.

1- المثقف الفرنسي: يبحث جعيط في أوراق فولتير Voltaire (1694– 1778) فيلسوف الأنوار والتسامح ويبدأ بفحص مؤلفه الأول "محمد والتعصب" وكان حكمه على الإسلام حكما عدائيا ورمز للتعصب، وللإنسانية، ولإرادة القوة، ورغم ورود بعض التعديلات في موقفه بسبب تأثير كتاب بولانفيليه(Boulainvillie) (1658-1722) إلا أنه بقي محمد في نظره ذلك الشخص الذي استفاد من بساطة من حوله، وفرض رسالته بالقوة[4].

---

[1]– جعَيْط هشام، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة،(م س)، ص 15.

[2]– المرجع نفسه، ص 16.

[3]– المرجع نفسه ،ص 17.

[4]– المرجع نفسه، ص 19.

أما "فولني"Volney (1757 – 1820 م) فيختزل الإسلام في أنه دين البربرية والعنف والاستبداد، في حين كانت مواقف الرحالة الرومانطقيين أكثر ابتذالا من الفلاسفة حيث تبرز لديهم إرادة الذهاب إلى الشرق لاستخلاص المزيد من الحساسية، فمثلا شاتوبريان Chateaubriand(1768– 1848) ولامارتينLamartine (1790– 1869) يتقاطعان في رسم صورة متماسكة إلى حد ما عن الطبع الإسلامي، إنها عند الأول قاسية وغير رحيمة وأن صفات مثل وحشية، طغيان، تعصب، عبودية تلتصق بالإسلام المنتمي إلى شعوب السيف[1]، وعند الثاني دقيقة ومشوبة بالاعتبار تترنح بين إعجابه وتعاطفه بالإسلام ودعوة إلى استعماره رغبة في تحقيق التقاء الحضارات[2].

أما موقف المثقف الفرنسي المُلتزم رغم صلابته بقي متخلفا لأنه يرى في حركات التحرير المغربية شيئا آخر غير عمل ثوري بحث مقطوع الصلة بجذوره العربية والإسلامية[3].

وعلى مستوى العلماء الأوربيين يبرز المؤرخ الفرنسي أرنست رينان Ernest Renan (1823 – 1892)الذي يسم العالم الإسلامي بالعالم المنحط، والذي لا يستحق أن نوجه له العناية مقارنة مع العباقرة الإغريق والهند وفلسطين اليهودية[4].

ويبرز على مستوى آخر من العلم ولكن من جهة الأتنولوجيا "كلود ليفي ستراوس" Claude Lévi-Strauss (1908 – 2009) والذي يُسائله جعيط قائلا:" هل يمكن إخضاع الإسلام للأتنولوجيا؟"[5].

طبعا سيجيب كلود ليفي ستروس بالإيجاب، فهو يدرس الفن الإسلامي الهندي ويستنتج أنه لا توجد علاقة عضوية بين الجزء والكل في عمارته، أما أخلاق المسلمين فهي كاذبة ومنافقة وتغذي الشعور بالنقص الذي يختلج نفسية المسلم، باختصار هذه الأخلاق هي فقط قاعدة ثقافية ودينية، والإسلام لعب دورا مُزعجا حيث قسم العالم إلى نصفين وعمل دون التلاقح بين الهللنية والشرق بين المسيحية والبوذية، حسب جعيط

[1]– جعَيط هشام، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة،(م س)، ص 24.

[2]– المرجع نفسه، ص 26.

[3]- المرجع نفسه، ص 30.

[4]– المرجع نفسه، ص 33.

[5]– المرجع نفسه، ص 47.

فإن ليفي ستراوس يعمل على تعميم انطباعاته الأثنولوجية على الإسلام ليسمه بالعداء والعنف وهو يتغذى من التيار الغربي القديم وبالطبع يقصد جعيط الاستشراق[1].

ويرفض جعيط هذه الخزعبلات التي تنسب باسم العلم إلى الإسلام وهي في أصلها خطابات إيديولوجية تسعى لبيان تسامي الدين المسيحي وتخلف الإسلام وعدائه.

2- الفكر الألماني: يعتقد هيغل hegel (1770–1831) بأن الإسلام لم يهتم إلا بالله كهدف للمعرفة وأقصى معرفة العالم الطبيعي، أما على المستوى السياسي فيسجل نقصا مقارنة مع أوروبا التي لها مبدأ مقدس هو مبدأ الدم.

ويرى هيغل حسب جعيط الإسلام كتيار ثانوي على هامش تيار التاريخ العالمي، لذلك لم يبرر هيغل أسباب الانحطاط التاريخي للإسلام[2] مثل مواطنه شبينغلر Spengler (1880 ــ 1936) فأخطآ بسبب وعيهما الحاد بوهمية نموذجية الفترة الكلاسيكية اليونانية الرومانية، على رغم أن شبينغلر يعتبر الإسلام ظاهرة مركزية للتاريخ الشرقي.

ويتقاسم إدوارد سعيد هذه الفكرة مع جعيط حيث يقول:" **لم يكن الإسلام في يوم من الأيام موضع ترحيب في أوروبا، ولم يكن معظم فلاسفة التاريخ الكبار، من هيغل إلى شبنجلر، يبدون حماسا كبيرا للإسلام**"[3].

فيُضخم هيغل أشياء ويتغاضى عن أشياء أخرى، كتضخيمه لظاهرة الإصلاح الديني وتغاضيه عن نهضة القرنين الخامس والسادس عشر[4]، ليصل على حد تعبيره(جعيط) إلى إغناء وتصحيح الرؤية الهيغلية: الديالكتيك الأوروبي داخلي أولا وخارجي ثانيا يقوم على العصور القديمة والإسلام، والسبب أن الإسلام كان هو الوارث الحقيقي للعصور الكلاسيكية القديمة، في حين أن الديالكتيك لم يمنح الإسلام نتائجَ ملموسة على الأقل إلا في الزمن المعاصر.[5]

---

[1]– جعَيط هشام، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة،(م س)، ص 51.

[2]– المرجع نفسه، ص 60.

[3]– إدوارد سعيد، **تغطية الإسلام**، تر، د.محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، 2006، ص 85.

[4]– جعَيط هشام، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة، (م س)، ص 61.

[5]– المرجع نفسه، ص 62.

وفي الأخير يصل هشام جعيط إلى نتيجة مفادها أن إشكالية إسلام – غرب ولى عهدها لأنه لم يعد هناك إسلام موحد، والغرب أضحى مزيجا مركبا، والرؤيا التي يقترحها هي: على الإسلام أن لا يضيع نفسه في السباق مع الغرب لأنه سباق مضطرب، ويعمل جاهدا على حفظ وصقل وحرث حصته الكبيرة مما هو إنساني[1] ليواصل رسالته السامية.

مما سبق، يجعلنا نشارك هشام جعيط في رفضه للخزعبلات التي نسجها المثقفون الفرنسيون، والفلاسفة الألمان حول الإسلام، كما ندين المغالطات التي تُنسب إلى الإسلام باسم العلم(الأثنولوجيا)، ونشجب الخطابات الإيديولوجية التي يُلصقها المؤرخون بالإسلام، بغية بيان تسامي المسيحية، واظهار تخلف الإسلام.

لكننا الآن نتساءل: هل مواقف الرفض والإدانة والشجب كافية لبناء حضارتنا وإصلاح علاقتنا مع الغرب؟

إذن القضية تفوق هذا، ولا تتطلب اتخاذ موقف فقط، بل تحتاج إلى معرفة وتفكير وتخطيط وعمل دؤوب لبلوغ ذلك.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية لا أوافق هشام جعيط في تحذيره الإسلام من عدم التسابق مع الغرب، وتنمية ما هو إنساني فيه فقط، لأن نهوض الإسلام والمسلمين رهين بالتسابق مع الغرب في جميع المجالات، بالإضافة إلى استثمار الجانب الإنساني.

رابعا: أطروحة إدوارد سعيد

يصور الغرب الإسلام والمسلمين كتلة واحدة لا تتجزأ من القتلة المتعصبين والمغتصبين، فالمرأة عندهم خاضعة مستعبدة، وهم بذلك حاقدون على الحضارة الغربية اللامعة والمعيار الأساس هو القيم الغربية العليا، لأن كل شيء يُخالف قيمها مرفوض ومتخلف ومبتذل، هذه الفكرة تحديدا تكاد تُسيطر على أغلب العقول الغربية في أمريكا وأوروبا، يقول إدوارد سعيد:" **فسوف تجد التصوير الذي لا يختلف أبدا للإسلام، وتحس وجوده دون تغيير في كل مكان، وترى أنه يستمد مادته من نفس الصورة القديمة التي ثبّتها الزمان للإسلام، ومن هنا جاءت الصورة الكاريكاتورية**

[1]– أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة، (م س) ص 125.

المتواترة للمسلمين باعتبارهم موردين للنفط، وإرهابيين، وأخيرا باعتبارهم غوغائية متعطشة للدم"[1]

وجرّاء أحداث 11 أيلول 2001 بات يُؤثر غالبية الأمريكيين بأن يكون لمسلمي أمريكا هُويةً خاصة تدل عليهم فقط؛ لأخذ الحيطة والحذر؛ لأن بالبداهة أي مسلم هو عبارة عن قنبلة ناسفة لا ندري متى تنفجر.

ويعتبر "كتاب الاستشراق" لإدوارد سعيد علامة فارقة في حياته الفكرية والذي أثر على مجمل الفكر الاستشراقي في الغرب.

ويهم الغرب دوما إلى خلق عدو، وتأكد هذا بالخصوص مع أفول نجم الاتحاد السوفياتي العدو الإيديولوجي الأحمر؛ عندما انبرت أقلام غربية تُحذر من الخطر القادم المسمى بالخطر الأخضر وهو الإسلام، لغرض الهيمنة والسيطرة عليه.

و كل الأعادي السود والأسيويين واليهود والشيوعية سابقا أضحت حاليا تتجسد بعدو واحد هو «الإسلام»، وبالأمس القريب كان اليهودي عِرْقٌ وضيع يُخشى منه، وارتكبت في حقه المجازر وإبادة إثنية من قبل النازية، واليوم أصبح الصديق المحبوب من طرف الغرب. ولذا يجب دائما أن يتم خلق عدو لدود مثير للقلق لا ينتسب إلى حداثة العالم، حداثة الغرب ذات الجذور الإغريقية الرومانية، وهذا العدو الوضيع يقف ضد رفاهية الغرب وتطوره واستقراره.

يطمع الغرب إلى وضع يده على كل منابع الثروة في العالم، بيد أنه يُدرك أن الشعوب ستقاوم وهو ما اختبرته أمريكا في الفيتنام ، لذلك عليه أن يبتكر سيناريوهات وذرائع شرعية للتدخل عسكريا في البلدان العربية والإسلامية الزاخرة بالثروات[2].

والمسوغ الوحيد للغرب من أجل أن ينهب ويغزوا هذه المناطق من دون أن يُشعر شعوبه بتأنيب الضمير أنه يُشيطن هذه المناطق، وبالتالي تحدث أي حرب إبادة على أناس أبرياء هي حرب على إرهاب إسلامي دموي ومتطرف يمتلك الاحتياط النفطي، لأن كل مسلم يُعبر عن الإسلام الذي هم زيّفوا معناه، وهكذا يتكافأ المسلم المعتدل مع المسلم المتطرف.

---

[1]- تغطية الإسلام، (م س)، ص74.

[2]- مصطفى بن تمسك وآخرون، **مجلة الدراسات الدينية الإسلام والغرب**، بدون ذكر العدد، 15 فبراير2017، ص 44.

كيف تتم تغطية الإسلام؟

مما يرى إدوارد سعيد هو أن الصراع بين الغرب والإسلام، ليس بين المسيحية والإسلام، يقول: " **إن الطرفين اللذين يجري التحريض أحدهما على الآخر دائما، فيما يبدو، هما الغرب والإسلام لا المسيحية والإسلام.**"[1]

والغرب هو أكبر من مجموعة أجزاءه فيه كل الملل والنحل والأفكار، أما الإسلام لا يعدو أن يكون فكرة واحدة وتعميمية[2]، الجزائر مثل السعودية وسوريا والعراق، وهذا تعميم سطحي ومتخلف وهذا الأمر ليس بخاف علينا، غير أن الشعوب الغربية مغيبة لا ترى الحقيقة إلا من وجهة الترسانة الإعلامية المرتبطة بمخابرات حكوماته؛ الذي يكون تمويله كاملا بالخصوص في أمريكا مرتبطا بتجسيد السياسات التي تُلبي أهداف الشركات، وتحدد صورة الإسلام والدراسة الصحيحة له، بحيث تستبعد كل ما لا يتفق تماما مع مصالح الولايات المتحدة[3].

ونتيجة للنقد غير المسؤول التي تسلطه وسائل الإعلام على الإسلام والمسلمين، واستخدامها عبارات مهيجة مثل "الارهابيون المسلمون"، و"الارهاب الإسلامي"، هيأت مناخ نفسي للربط بين الإسلام والارهاب في وعي الإنسان الأمريكي العادي؛ مما أسفر عنه القتل والتصفية الجسدية، من بينها قتل الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي وزوجته، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة تمبل بفيلاديفيا بطريقة بشعة عام 1986[4].

وجل أفلام هوليوود جسدوها على أرض الواقع تحكي القصة نفسها، فمصدر الشر المفرط والإرهاب يكون رجلا عربيا مسلما، أو إن يظهر أكثر ثراءا وترفا ويبحث دوما عن ملذاته مع النساء الشقراوات، أو تنال من قيمة المرأة العربية.

وأما دونالد ترامب Donald Trump (1946) فساب الإسلام وقدح فيه والمسلمين، لأن هذا الدين في نظره هو الإرهاب ورغم ذلك أخذ أموال ضخمة من الإرهابيين من أجل محاربتهم، وطالب من كان ينعتهم بهذه الصفة أن يقفوا في صف واحد في وجه الإرهابيين.

---

[1]- إدوارد سعيد، تغطية الاسلام، (م س)، ص 80.

[2]- برنارد لويس، إدوارد سعيد، **الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية**، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1994، ص 40.

[3]- تغطية الاسلام، ص 300.

[4]- طاش عبد القادر، **صورة الإسلام في الإعلام الغربي**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط 2، 1993، ص 127.

وارتكزت حملته الانتخابية على وعوده بطرد المسلمين من أمريكا؛ لأنهم مصدر الجريمة والبطالة والإرهاب المنتشر في الولايات المتحدة الأمريكية[1].

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر دور إسرائيل في ترسيخ الهيمنة الغربية في المنطقة العربية الإسلامية وبوجه خاص الأمريكية، التي تستند بممارساتها على تشريعات سلطة دينية غارقة في التعصب وبشراسة عنيفة، لكن أمريكا تذود عنها لأنها تضمن استمرار السيطرة الغربية على الإسلام في المنطقة وهو ما يريح الغرب يقول إدوارد سعيد:" **ولا بد من ذكر أمر آخر هنا، ألا وهو الدور المنوط بإسرائيل في تمثيل رؤية الغرب، وخصوصا رؤية الولايات المتحدة للعالم الإسلامي منذ الحرب العالمية الثانية. ففي المقام الأول يندر أن تشير الصحافة الغربية إلى الطابع الديني لإسرائيل، وهو الطابع الذي تصرح به إسرائيل نفسها**"[2].

ويتربع اللوبي الصهيوني على عرش وسائل الإعلام الغربية لتغطية الإسلام وهو عادة يُنسق بين المخابرات الغربية والموساد، وجماعات الدفاع والسي أي أي والحكومة الأمريكية والشركات المتعددة الجنسيات، هؤلاء كلهم مرتبطون بجهاز واحد يحمل قضية واحدة يتم من خلالها بعث الإرهاب يقول إدوارد سعيد:" **ومن هنا تأتي الصور الكاريكاتورية، والجماهير الغوغائية المخيفة، والتركيز على الحدود (أي العقوبات) "الإسلامية" وهلم جرا. وتترأس هذا كله المؤسسات ذات النفوذ الجبار، مثل شركات النفط، والشركات العملاقة، والشركات المتعددة الجنسيات، وأجهزة الدفاع والاستخبارات، والفرع التنفيذي للحكومة**"[3].

ويمتلك اليهود في الغرب إمبراطورية إعلامية ضخمة وعلى سبيل المثال يمتلك اليهودي روبرت مردوخ Rupert Murdoch 150 وسيلة إعلامية في أربع قارات، وفي أمريكا وحدها له 20 مجلة أسبوعية و جريدتين يوميتين وعددا من المحطات التلفزيونية ودور النشر، وفي بريطانيا 5 جرائد يومية وعددا من المجلات وشبكة تلفزيونية، وفي أستراليا 100 صحيفة، وفي آسيا صحيفة كبرى. واقتنى شركة ترايفجل

[1]- مصطفى بن تمسك وآخرون، مجلة الدراسات الدينية الإسلام والغرب، (م س)، ص 45.
[2]- إدوارد سعيد، تغطية الإسلام، (م س)، ص 115.
[3]- المرجع نفسه، ص 117.

الأمريكية التي تنشر مجلة دليل التلفزيون والتي تطبع ما يفوق 20 مليون نسخة[1]، ونماذج مردوخ كثير في الغرب.

ولما تضخمت أسعار البترول وارتفعت بصورة جنونية في السبعينات؛ بدأ الغرب ينظر إلى العرب والمسلمين نظرة مقت وعداء سببها يكمن في شح موارد الطاقة، التي باتت تتحكم فيها الدول العربية الإسلامية، لكن الغرب لا يبقى مشلول الحركة إزاء ما يلقاه من هوان واستكانة من قبل مستعمراته القديمة التي لازالت تابعة لها دوما، وموردي النفط هم فقط موردين، يقول إدوارد سعيد:" **إن الديمقراطيات الغربية لا تملك أن تبقى مكتوفة الأيدي إزاء ما تتعرض له من إذلال على أيدي مجموعة من الدول ذات النظم الاستبدادية، وهي من المستعمرات السابقة.**"[2]

فأصبح المواطن الغربي يقارع مستجدات الأنباء كي يعبئ سيارته بنزينا بثمن بخس، وكأن لسان حاله يقول شرذمة من العرب والمسلمين الجاهلين؛ غارقين في الدين والبدائية والتخلف، يعترضون أسباب راحتنا وسعادتنا: " **كان الاحساس الذي راود من يسمعون الأنباء ويستعملون النفط إحساسا غير مسبوق بإمكان ضياع شيء ما وزعزعة شيء قائم، دون أن يكون له وجه معروف أو هوية ظاهرة. فكل ما عرفناه هو أننا نوشك أن نفقد شيئا لم نتساءل يوما عن إمكان ضياعه. وإذن فلن نستطيع بعد الآن قيادة سياراتنا كما كنا نفعل، وأسعار النفط ارتفعت كثيرا، ومن ثم فإن أسباب راحتنا وعاداتنا تتعرض، فيما يبدو، لتغيّر جذري ثقيل الوطأة**"[3].

والغرب يتوهم بأن تطور الإسلام بما يمتلكه من ثروات وبالخصوص الثروة النفطية سوف يهدد مستقبل الحضارة الغربية، وعلى هذا الأساس انبنى مؤلف هنتغتون Huntington (1927 – 2008) "صدام الحضارات".

وتغطية الإسلام لا تفيد المدلول الإعلامي، أي كشف الأحداث والظواهر للمتلقي، وإنما إخفاء الإسلام وحجب حقيقته عن المواطن الغربي وتسخير معرفته لخدمة السلطة لأجل الغزو والهيمنة[4].

---

[1]- طاش عبد القادر، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، (م س)، ص 138.

[2]– إدوارد سعيد، تغطية الإسلام، (م س)، ص 119.

[3]– المرجع نفسه، ص 124.

[4]- المرجع نفسه، ص 334.

ولعل الإيديولوجيات الإمبريالية تحتاج لتبريرات حيال شعوبها من أجل تيسير مسألة السيطرة والنهب؛ هذا ما يلفت به إدوارد سعيد انتباهنا، إذ لو كان النفط مرتبطا بالبوذية لشهدنا الأسلوب نفسه تعميميا اختزاليا تصنعه لشيطنة البوذيين.

وأعتقد أن ما ذهب إليه إدوارد سعيد في تحليله أمر في غاية الأهمية، ذلك أنه تمكن من استكشاف آليات الفكر الغربي وكيفية تعاطيه مع الإسلام والمسلمين، وكان ممتازا في انتقاده لسياسة الهيمنة والشيطنة، الإعلام، إسرائيل، النفط ، بيد أننا نحتاج إلى حل ملموس ورؤيا واضحة تُؤهلنا للتعامل مع الغرب، وليس فقط اكتشاف مكائد الغرب وفضحها أمام العالم.

خامسا: أطروحة ألفريد مراد هوفمان

بدأت العلاقة بين الإسلام والغرب من وجهة نظر "هوفمان" Wilfried Murad Hofmann(1931– 2020) بتلك الرسالة التي بعثها رسول الإسلام إلى "هرقل" الروم في السنة السادسة من الهجرة يدعوه فيها للدخول إلى الإسلام، هذه العلاقة لم تنقطع طوال أربعة عشرة قرنا وتتخللها جوانب إيجابية من الناحية الاقتصادية والفكرية.

فعاش الإسلام والغرب في حالة مواجهة وعداء أكثر من تكامل وانسجام، كل منهما يخشى الآخر ولا يفهمه مع ذاكرة خازنة واعية.[1]

ثم يكشف تاريخ الفتوحات الإسلامية الناجحة أن الغرب تشبث بالإسلام قهرا وسيفا ولم تستطع أي قوة أن تجابه الإسلام وتصمد أمامه.

فصنعت الفتوحات الإسلامية التاريخ، وأرست نهضةً حضارية إسلامية مشبعة بالعلوم والآداب والفنون والفلسفة. كما اكتسحت الحضارة الإسلامية حضارة الغرب من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الرابع عشر يقول:" **ويكفينا أن نذكر في هذا الصدد أمثال الرازي والبيروني وابن رشد وابن سينا وابن خلدون وابن بطوطة والخوارزمي.**"[2]

[1]– هوفمان ألفريد، **الإسلام كبديل**، تر: عادل المعلم، دار الشروق، ط 1، 1997، ص17.

[2]– المصدر نفسه، ص ص 17– 18.

وبدأت الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر بهدف استرجاع دويلاتها وقامت الحملات بسحق المسيحيين في القسطنطينية يقول:" **وفي عام 1404 م عاش المسيحيون في القسطنطينية أشد المعاناة على يد الغزاة، لم يكن ذلك على يد المسلمين، ولكن على يد الغزاة المسيحيين اللاتين الذين نهبوا وسلبوا واغتصبوا.**"[1]

وينطلق " هوفمان" من مسلمة مفادها أن الإسلام لم ينتشر كله بالسيف، وفضل الكثير من المسيحيين الإسلام على عقيدة التثليث اختيارا وطواعية، ويبين في الآن ذاته أن المسيحين كانوا غزاة ومغتصبين وناهبين، والمؤرخ الأمريكي ويل ديورانت William Durant (1885 – 1981) وثّق هذا الحدث في موسوعته الشهيرة « قصة الحضارة»[2].

وفي القرن الخامس عشر بسطت الإمبراطورية العثمانية نفوذها على القسطنطينية من جديد ليخشى الغرب الإسلام مرة أخرى.

ثم بدأ هذا الصراع مع مطلع القرن الثامن عشر في التلاشي والزوال وكل من الغرب والإسلام سلكا تيارا مخالفا للآخر، فنهض الغرب علميا وتقنيا مما جعله متفوقا حضاريا وتدهور العالم الإسلامي تدهورا أفضى به إلى نير قوى الاستعمار الغربي[3].

وفي القرن العشرين أصبح الغرب البراديغم الذي ينبغي للجميع تقليده واتباعه تحت فكرة العولمة التي تسعى جاهدة لصهر جميع الثقافات والحضارات في حضارة واحدة، هي حضارة الغرب، يقول:" **بدت حضارة الغرب النموذج المثالي الذي على الجميع احتذاؤه، إن عاجلا أو آجلا، فلا ثقافات ولا حضارات أخرى. يرتدي الناس الجينز ويأكلون الهنبورجر ويشربون الكوكاكولا، يدخنون المالبورو ويتحدثون الانجليزية، يشاهدون CNN، ويسكنون نفس البيوت. بل ومن الجائز أن يكونوا من المرشحين لعضوية إحدى الكنائس المسيحية بطريقة أو بأخرى**".[4]

وفي خضم إشكالية الغرب والإسلام يحلل الدكتور "هوفمان" دواعي تأخر وتخلف المسلمين ويعزوها إلى ثلاثة أسباب رئيسة:

---

[1]– الإسلام كبديل، ص 18.

[2]– المصدر نفسه، هامش ص 18.

[3]– المصدر نفسه، ص 19.

[4]– المصدر نفسه، ص 19.

أما الأول، فهو قتل عصب الحياة الفكرية والثقافية في العالم الإسلامي من قبل العالم المسيحي والمغول.

والثاني، هو أنه في القرن الرابع عشر ظن المسلمون أن الفقه الإسلامي بلغ أوجه وتمامه مع الفقهاء، والأجيال السالفة كانت أكثر قربا وأكثر فهما منها، ولذلك سادت مدرسة التقليد.

والثالث، هو أهم سبب حيث يتمظهر في الطفرة المادية الهائلة التي شهدها العالم الغربي بداية مع القرن التاسع عشر الذي يسميه "هوفمان" متهكما بعديم الإله يقول: "**أصبحت الدنيا محور الحياة عديمة الاله، وظهر فيورباخ وماركس وداروين ونيتشه وفرويد، رُسل اللاأدرية، إن لم يكن الالحاد. وساد المذهب الكمي الذي لا يعترف إلا ما يمكن قياسه بالحواس، بينما أصبح الايمان بإله، مجرد احتمال يمكن التسامح في قبوله طبقا لسوينبرن. ولكن لا يجوز التفكير الاقتراب من القضايا الفكرية العليا، ويعزى الفضل في ذلك لأعمال مثل « سحر خضوع الموت» (ف. فرويند) إن كان في ذلك فضل**"[1].

ثم يدين "هوفهمان" الغرب لأنه نشر ولا زال ينشر معلومات مشوهة عن الإسلام والمسلمين، أفضت إلى تمثلات جماهيرية مغلوطة تعطي صور نمطية واختزالية عن الإسلام والمسلمين، ساهمت في تحريك العداء ضدهم، بيد أن الدكتور والمفكر "ألفريد هوفمان" يشجب هذا الفعل وينعت أصحابه ب: الصحفيين السيئين، محللا كعهده الأسباب والدواعي التي أسفرت عن صنيعهم، وهي حسبه أسباب تاريخية وسياسية. وهو يحمل وسائل الإعلام المسؤولية كونها جعلت الإسلام أكثر الصور المرفوضة يقول:" **وتتحمل وسائل الإعلام القدر الأكبر من المسؤولية، ليس فقط في أن يكون الإسلام أكثر الديانات المرفوضة والمستنكرة، بل أيضا إن يظل كذلك. ومما لا يدع مجالا للشك، إن عدم التسامح المستمر إزاء كل ما هو إسلامي وبالتالي الإبقاء على كل ما هو سلبي في الذاكرة الجمعية تجاه الإسلام، ما هو إلا عمل من أعمال وسائل الإعلام. ولقد أعلنها أكبر أحمد دون مواربة:« لم يتلق المسلمون تهديدا على مر**

[1]- الإسلام كبديل، ص ص 19- 20.

تاريخهم مثل وسائل الإعلام الغربية، ولا يستطيع المسلمون تحقيق الفوز في لعبة الإعلام هذه»"[1]

ويعتقد "هوفمان" بأن الدرس الذي ينبغي لنا أن نتعلمه من أربعة عشرة قرنا من التاريخ المشترك المليء بالمآسي للعلاقة بين الغرب والإسلام هو أن على كل العالمين أن يواجها بعضهما بعض بروح التسامح والتفاهم إن أردنا الحفاظ على السلام العالمي في عصر أسلحة الفتك الجماعي. وإن هذا لا يتم إلا من خلال انفتاح العالمين على بعضهما بعض يقول: **« كلما كان الغرب أكثر فهما للإسلام، كلما كان من الأسهل تحقيق السلام وحسن النية. والحواجز الثقافية هي التي تقف في طريق تحقيق الفهم المتبادل»**[2].

ولم يدخر هوفمان جهدا في رتق الفتق بين الإسلام والغرب؛ بدليل أنه جند كتابه الموسوم "الإسلام كبديل" من أجل مستقبل واعد بينهما ، يحاول من خلاله خلق فضاء جديد للتفاهم والتسامح وإزاحة تلك الرؤية الناجزة والنمطية المثقلة بالمخاوف والعداء الشامل للإسلام.

كما أن التصالح والتوافق بين الإسلام والمسيحية لا يتجسد في الواقع إلا إذا قبلت المسيحية بما جاء به القرآن الكريم عن المسيح عيسى عليه السلام، يقول هوفمان: **«المصالحة اللاهوتية بين الإسلام والمسيحية لا يمكن تصورها إلا إذا تبنت المسيحية بشكل رسمي فهم هانز كونغ لمكانة اليسوع، وقبلت القرآن ككتاب مقدس موحى به صوب الاعتقاد الأساسي للمسيحيين»**[3].

من جانبي، لا أقبل المسلمة التي انطلق منها هوفمان، مفادها أن الإسلام انتشر بالسيف وبالقوة العسكرية، وهي شبهة ودعوى يرددها كثير من المغرضين، لا يتورعون عن تسويقها وزرعها في كل عصر ومصر. فالإسلام لا يحب إراقة الدماء ولا اعتناقه كرها وقهرا.

---

[1] – هوفمان مراد ألفريد، **الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود**، تر: عادل المعلم ويسن إبراهيم، مكتبة الشروق، (ط 1)، 2000، ص 81.

[2]- Anis Mahomed Karodia, **Arabian Journal of Business and Management Review** (Nigerian Chapter) Vol. 2, No. 5, 2014, p 75.

[3]– Hofmann murad Wilfried, Islam : **the Alternative, Reading**. UR, Garnet,1993, p 28.

ويرفض المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبونGustave Le Bon (1841 – 1931) في مؤلفه الموسوم" حضارة العرب" فكرة انتشار الإسلام بالسيف والقهر، مُؤكدا على انتشاره بالدعوة والاختيار:« **وقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تُفرض بالقوة، فلما قهر النصارى عرب الأندلس فضّل هؤلاء القتل والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام. ولم ينتشر القرآن بالسيف إذن، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخّرًا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند، التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل، ما زاد عدد المسلمين على خمسين مليون نفس فيها. ويزيد عدد مسلمي الهند يوما فيوما مع أن الانجليز، الذين هم سادة الهند في الوقت الحاضر، يجهزون البعثات التبشيرية ويرسلونها تباعا إلى الهند لتنصير مسلميها على غير جدوى**»[1].

ولنفترض أن بعض الفاتحين المسلمين، فرضوا الإسلام قهرا وسيفا، فهذا لا يُخول للبعض الحكم على الإسلام بأنه دين العنف والإكراه، فممارسة المسلمين للإسلام شيء، ومبادئ الإسلام شيء آخر.

وهناك العديد من الآيات القرآنية تشهد على الحرية الدينية في الإسلام، فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ اَفَأَنتَ تُكْرِهُ الْنَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[2]. وقد ورد في سبب نزول الآية ﴿ لاَ إِكْرَاه فِي الدِّينِ ﴾[3] في أن رجلا من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلما، فقال للنبي صل الله عليه وسلم: ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية، فأنزل الله الآية[4].

كما أنني لا أقبل منه اختزال سبب تأخر المسلمين في ثلاث عوامل، أهمها الطفرة المادية التي شهدها الغرب، وكأنه يُريد عزو هذا التأخر إلى الغرب ليس إلا، ذلك أن الأسباب كثيرة ومتداخلة ومعقدة، ولا يمكن تقزيمها في سبب رئيس وآخر

---

[1]– لوبون غوستاف، **حضارة العرب**، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة 2013، بدون ذكر الطبعة، ص ص 134- 135 .

[2]– القرآن الكريم برواية ورش، حراء للطباعة والنشر، مملكة البحرين، ط 1، 2008، سورة يونس آية 99.

[3]- البقرة، آية 256.

[4]– السيوطي جلال الدين، **أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ط 1، 2002، ص ص 49- 50.

ثانوي. فالأسباب كثيرة ومتشعبة، منها التربوية، الاجتماعية، السياسية، الأخلاقية، الحضارية.

فالمحاولة التي قدمها هوفمان في قراءته للعلاقة بين الإسلام والغرب، تتمظهر في تحليله للأسباب التاريخية التي جمعت الإسلام بالغرب، ليستكشف من خلالها النتائج التي آلت إليها هذه العلاقة، طوال أربعة عشرة قرنا، كانت مليئة بالمآسي.

أما الحل الذي اقترحه – تقابل الطرفين بشيء من التسامح–؛ فلا أعتقد بأنه الحل المثالي والعملي، لأن الغرب لن يتسامح مع الآخر– الإسلام – على الأقل في وقتنا الراهن، فأكثر خبراء الغرب اختاروا الإسلام عدوا جديدا، فضلا عن ذلك فإنه يحوز أكبر احتياط من النفط والثروة.

كما أعتقد على ضوء ما سبق أن الموضوعية تأخذنا إلى القول بأن التعميم – الإسلام وحدة متجانسة، وكذلك غرب واحد ومتجانس–، ليس الطريق المنطقي إلى تحرّي الدقة والإنصاف والبحث عن الحقيقة؛ فالاستشراق ليس كله كذب وبهتان، وفي الآن ذاته لا يخل من الموضوعية والدقة، فهناك أعمال في الاستشراق أنصفت الإسلام وذادت عنه، والعكس صحيح.

كما أن الآخر ليس كله شر، وفي الوقت نفسه الأنا ليس كلها شر، ومعنى هذا أن المسلمين ليس كلهم إرهابيين وأصوليين متطرفين، يدعون إلى العنف والعداء والقوة، والعديد من المفكرين والمثقفين والفقهاء يدينون الأعمال العنيفة والسلوكات غير الحضارية التي تُمارسها بعض الحركات التي تُحسب على الإسلام والمسلمين.

هذا من وجهة، ومن وجهة ثانية ليس الغرب كله شرا، فالكثير من المفكرين والمثقفين وساسة الغرب أنصفوا الإسلام، واعترفوا بحسناته على الحضارة الغربية، واستنكروا الصور المشوهة والمغلوطة التي تُنسج حول الإسلام والمسلمين، وبادروا إلى تصويبها.

وعليه، فإن الغرب بحاجة إلى الإسلام، والإسلام بحاجة إلى الغرب؛ الأول يستفيد من ثروات المسلمين المادية والروحية، بدون استخدام للمكر والمكائد، والثاني يستفيد من الغرب في النهوض وتحقيق التنمية، بدون عرقلة وخداع من الغرب، وهذا يتماشى مع ما قاله الدكتور بوعرفة عبد القادر:« **توحدنا المصالح المشتركة أكثر مما**

توحدنا العقائد، فالمنافع المتبادلة بين الطرفين هي التي تعمق العلاقات على المستوى السياسي والجمعوي. ولا يمكن أن نتصور في الوقت الراهن غرب دون عالم إسلامي والعكس صحيح، فالخيرات النفطية وغيرها تأتي من الشرق والخيرات التقنية والعلمية تأتي من الغرب، ولا يمكن أن يستغني الغرب عن النفط والموارد البشرية كما لا يستغني الشرق عن المنتجات التكنولوجية»[1] ولا يتأتى هذا الفعل، إلا بتخلي الطرفان عن فكرة الصراع والاستعلاء والهيمنة.

هذا العمل يضطلع به المفكرون والمثقفون والسياسيون المنصفون من الجانبين، والعلاقة التاريخية بين الإسلام والغرب تكشف عن وجود مساحات رحبة للتفاهم والحوار والتعاون بين الطرفين.

[1]- بوعرفة عبد القادر وآخرون، **الشعائر الدينية، وزارة الشؤون الدينية**، الجزائر، ط 1، 2011، ص 155.

[1]– أوليفييه روا، **الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة**، تر: صالح الأشمر، دار الساقي– بيروت، ط 1، 2012، ص 51.

المبحث الثالث: التدين في أوروبا

*****

التدين في أوروبا، إشكالية تشغل حيزا كبيرا في وقتنا الراهن، سواء في أوساط الخاصة أو في أوساط العامة، وعلى المستوى الشخصي، تتلخص الإشكالية في كيفية التوفيق بين التدين ومتطلبات الحياة والفكر في حضارة مادية لا تنفك عن التغيير، بمعنى آخر كيف يبقى الشخص محافظا على هويته الدينية في ظل الحداثة والعلمانية؟

أما على المستوى العمومي، فالإشكالية تكمن في كيفية التزاوج بين مجتمع متدين ويطالب في الآن ذاته بقيم ليبيرالية ممثلة في الحرية والعدالة والتطور والرفاهة؟

أولا: أوليفييه روا

تناول أوليفييه روا في ثنايا كتابه الموسوم ب " عولمة الإسلام " موضوع التدين في أوروبا، وانطلق من مسلمة مؤداها أن تغيير تركيبة المجتمعات الغربية يوازيه انتقال الدين الإسلامي إلى الغرب، وهو ما يؤكده الإقبال الواسع في مجتمعاته الكبيرة، بيد أننا نلاحظ حسبه التراجع الثقافي في مقابل التوغل الديني، ولا شك أن الفضاء المُعلمن منح للدين انتعاشا كبيرا واستقلالا ذاتيا.

لقد عبدت العلمانية والعولمة الطريق للأديان عبر الانفصال عن الثقافة، واعتبار ذاتها مستقلة، وتعيد بناء نفسها في فضاء لم يعد إقليميا ولا خاضعا للسياسي: «**غير أن التطور المعاصر للعولمة يتجاوز ذلك: فهو ينظم ويدفع إلى أقصى مدى جميع مكونات الظاهرة، ولا سيما منها إزالة الصفة الإقليمية. ويُدخل بعدا مستجدا: هو التفريق المستمر بين الأديان، والأقاليم، والمجتمعات، والدول، ما يستتبع قدرا أكبر من الاستقلالية للديني**»[1]

ولهذا السبب ساهم الأصوليون الجدد في عملية المحو الثقافي، ذلك أنهم يعدون التنوعات الثقافية المرتبطة ببلد إسلامي معين عبارة عن بدع أو أمور طارئة على الإسلام الحقيقي، وتفضي إلى توسيع الهوة بين المسلمين، حيث نجدهم يقطعون مع طقوس المأتم والزواج والاحتفالات الدينية.

[1]- أوليفييه روا، **الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة**، تر: صالح الأشمر، دار الساقي- بيروت، ط 1، 2012، ص 51.

ونفهم من القول أن العلمنة والعولمة فتحت للدين والتدين الباب على مصراعيه، ووسعت من نفوذهما، حتى أضحى الدين عابرا للقارات، عكس ما كان سائدا أنهما اصطدمتا مع الدين، وسوف تسعيان إلى إنهائه والقضاء عليه.

وممارسة الأقليات المسلمة للتدين يفضي بالمؤمن إلى التوهم أن الإسلام تجربة دينية شاملة لكن العكس هو الصحيح، فالتدين بات تجربة فردية تسعى إلى تنمية الذات ليس إلا: « **لا شك في الانتقال إلى العيش في الغرب يُعدل علاقة الانسان بالتدين السائد في البلد الأم، وذلك لثلاثة أسباب: انصهار الهوية والمجتمع العرقي، وغياب السلطات الروحية الإسلامية الشرعية في البلد المضيف التي تحدد القواعد، وأخيرا استحالة تطبيق الإلزام القضائي والاجتماعي والمجتمعي الذي يضع الممارسة الدينية في مصاف الأمور البديهية والتقليدية الاجتماعية. إذا، على التدين أن يكون تعبيرا على الخيار والإيمان على حد سواء**»[1].

ومعنى هذا إن الأقليات المسلمة المتواجدة في الغرب ولدت أشكال جديدة من التدين، تمخض عنه تدين ذاتي متفرد، تنامى تحت ضغط العولمة.

ويُجنّد أوليفييه روا الأمثلة الواقعية لإحلال المشروعية على أطروحته، فالتفرد في التدين ينجم من اختفاء الوجهة الاجتماعية، وغياب السلطة الشرعية: « **مثل الصوم الرمضاني في المجتمعات المسلمة...فإعلان ساعة الافطار بالمدافع وتفهم الصائم وحتى تعديل دوامات العمل وتحويل الإفطار إلى شكل من أشكال النشاط الاجتماعي (كدعوة الأصدقاء، وقيام السياسيين بدعوة الآخرين إليه)، وتوافر أمكنة الصلاة وحتى استعمال المرادفات وعبارات التحية الخاصة بالمناسبة، ...والمأكولات الخاصة...إلخ، كل هذا يوحي بأن هذه الممارسة تلقى الدعم في السياق الاجتماعي...لكن الانتقال إلى الغرب يُزيل الإسلام عن البيئة والبديهية الاجتماعية والمسلمات، تضطر إلى التعبير عن نفسها صراحة فيتحول الإسلام موضوع للتأمل... وليس عيشه كجزء لا يتجزأ من تطبيق عملي ومن ثقافة معينة.**»[2].

[1]- أوليفييه روا، **عولمة الاسلام، تر: لارا معلوف**، دار الساقي، بيروت، ط 2، 2016، ص 86.

[2]- المرجع نفسه، ص 87.

وهذا الشكل من التدين يدعوه أوليفييه روا بالجهل المقدس، لأن ما يقدسه المتدين اليوم في أوروبا ليس دينا حقيقيا، لانفصاله عن الثقافة، وإنما يقدس الجهل بدلا عن الدين. والتدين بلا ثقافة هو إيذان باحتضار الدين: « **إن العلاقة بين الدين والفضاء العام هي ما يتغير، ذاك بأن عودة الدين إلى الفضاء العام ما عادت تحصل في شكل بداهة ثقافية؛ بل على شاكلة العرض المتباهي لدينيّ «محض»، أو تقاليد مستعادة** »[1].

ومعنى هذا إن العَلمنة أثرت على الدين، وحددت له مجاله بعد أن كان مائعا في كل المجالات، واستطاع بفضل العولمة أن يخرج من عزلته، ويظهر كدين ضمن أديان كثيرة تتنافس فيما بينها.

ويستكشف أولفييه روا مؤشرا آخر للجهل المقدس، يحلل فيه كيف تُنتج البشرية سلسلة من المعارف، التي هي بشرية وتنسبها إلى النص المقدس (إنجيل، قرآن...)، فتغدوا امتدادا للدين، بل هي الدين نفسه، أو أقوى منه؟ ينبغي أن يسير على هديه الناس. ويغفل هؤلاء أن هذه المعارف هي مجرد اجتهادات وفتاوى: « **إن الدين مأكول من قِبل الثقافة وقد تحول إلى شكل غامض من التدين. ولسوف نصادف مرة أخرى التوتر بين دين وثقافة، غير أن الثقافة هنا هي التي ابتلعت الدين**»[2].

ونفهم من هذا القول أن دوغمائية رجال الدين طالت بقوة الحقل الديني، وكرست الجهل بدل العلم، وإحلال الدناسة في مكان القداسة، وأصبحت الاجتهادات والتأويلات مطلقة، وأصحابها معصومون من كل خطأ؛ وكم من تجاوزات حدثت، وجرائم ارتُكبت، كان وراءها الجهل المقدس.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية نفهم أيضا أن الجهل المقدس يتجذر عندما يتحول الدين من عنصر معرفي إلى عنصر ممارسة، فيتوهم المُتدين أن تدينه هو الدين بعينه، وعندها يغلب التدين على الدين، وتُبلع التجربة المعرفية من طرف التجربة الدينية، كأن نجد مسلمين أصوليي المعرفة لكنهم ليبراليي التجربة.

لقد ورد في أطروحة أوليفييه روا أن العولمة أنعشت الدين وطهرته من رواسبه الثقافية والعلمانية حددت له مكانه المناسب بعدما كان مائعا في كل المجالات.

---

[1]- أوليفييه روا، الجهل المقدس،(م س)، ص 26.

[2]- المرجع نفسه، ص 115.

وفي نظري أعتقد أن هذه الأطروحة يكتنفها جانب من الصواب، لكنها تُستعصى على التعميم، أما جانب الصواب الذي يبرر صلاحيتها فيتمظهر في السبعين سنة الأخيرة المنصرمة، وقتئذ اشتدت شوكة العولمة، وبدأت تتوغل في كل أنحاء العالم، وانبهر الناس بمنجزاتها، واستوطن الكثير أراضيها، وأكثر الذين استوطنوا أوروبا المسلمين لأسباب متنوعة، وأصبحوا جزءًا من النسيج الاجتماعي لأوروبا، وغدا الإسلام أكثر حضورا. ونجم عن هذا الأمر شعور الأوروبيون بالقلق، خاصة أمام إصرار الكثير من المسلمين على ممارسة واجباتهم الدينية: مثل الصلاة والصوم ولباس الحجاب.

وبعد مرور الوقت ظهر الجيل الثاني والثالث للمسلمين، ونتيجة لميلادهم في أوروبا ونشأتهم في خضم ثقافتها، بدأت تظهر ثقافتهم الأصلية وكأنها غريبة عنهم، مثل جهلهم بلغتهم الأصلية، وعاداتهم الاجتماعية فاستطاع الكثير منهم الاندماج في البلد المضيف اندماجا تاما، وحل شتات إسلامي في أوروبا، ومن هذا المنطلق تولد تدين متفرد، فرضته العولمة يسعى إلى تنمية الذات؛ أضف إلى ذلك تفاقم الأمية الدينية والفقهية والعقائدية التي تغلغلت في الأسر المسلمة الأوروبية، التي من مظاهرها ترك الصلاة والصوم، وارتياد أماكن الرقص ومعاقرة الخمرة.

ولكن بالمقابل، ما زال البعض الآخر مخلصا لجذوره الثقافية القديمة، وثمة أسر كثيرة متدينة وملتزمة بالمبادئ الإسلامية، حيث يسعى الوالدان إلى متابعة أبناءهم في مدارسهم، والحرص على تعليمهم الواجبات الإسلامية، مثل الصلاة والصيام، والامتناع عن تناول لحم الخنزير، وشرب الخمرة وأفرادها يترددون على المساجد، ولم يعد المسلمون يجدون صعوبة في أداء مناسكهم، بإقامة مساجد عبر الأراضي الأوروبية، تُؤدى فيها الصلوات الخمس وصلاة الجمعة وصلاة التراويح في شهر رمضان.

ومما لا شك فيه أن للمساجد دور كبير وبالخصوص في أوروبا، باعتبارها ملاذ ثقافي واجتماعي بالنسبة للمسلمين، فهي تُخرج الفرد من العزلة إلى الهُمْ، وتقضي على التفرد والانزواء على الذات، وروح المسجد ورسالته التربوية والأخلاقية والتوجيهية، تصنع رجالا كانوا دوما على مستوى المسؤولية.

وتُؤكد معلومات ميدانية أن الأسر المسلمة المتدينة، تمكنت من الحفاظ على أبناءها، والتزام الأبناء بالواجبات الدينية ساعدهم على التفوق المدرسي، وتجنب كل أنواع الرذائل التي يعوم فيها أبناء الأسر الغربية غير المسلمة.

كما أن أوليفييه روا نعت الاعتقاد بالديني المحض الذي ينبني خارج الثقافات، بأنه وجه لما يسمى بالتعصب، أو الجهل المقدس، لكن أي جهل مقدس هذا؟.

فات المؤلف بأن يفرق بين الإسلام كدين أنزله الله تعالى إلى العالمين، ليصبح أسلوبا لحياتهم، ومفهوما لمعاشهم ومماتهم، وبين الإسلام كميزة ثقافية يتصف بها شعب أو أمة من الأمم صادرة من خارج أوروبا[1]. إذن هناك بون شاسع بين الإسلام باعتباره دينا، يتحدث عن الله والوحي والعبادات والمعاملات، والثقافة التي حل بها.

ويتجلى حسب أوليفييه روا الجهل المقدس أيضا في تحول التدين إلى دين، فيتوهم المتدين أن تدينه هو الدين بعينه، فيسعى إلى صوغ تفسيرات وفتاوى، يُخلع عليها مع مرور الزمن صفة القداسة والعصمة.

نحن مع المُؤلف في أن هذه الظاهرة تخللت بعض التيارات الدينية، والحركات الإسلامية المتعصبة والشخصيات الدوغمائية، لكن من الخطأ بمكان أن تصبح قاعدة عامة تصدق على التيارات الدينية قاطبة، ذلك أن الواقع الإسلامي يشهد على وجود شخصيات دينية وتيارات إسلامية معتدلة.

ثانيا: مراد ألفريد هوفمان

يعتقد مراد هوفمان أن العلم الزائف في أوروبا أثمر مجتمعا لا أدريا، استهلاكيا، موغلا في الفردية، وهذا الاتجاه المادي دفع برجل أوروبا المعاصر إلى رفض كل الأديان معتبرا إياها مجرد أساطير وروايات، وغدا الدين مهمشا منزويا بعيدا عن الأنظار وبالخصوص في الدول العلمانية[2].

وموجة اللاأدرية التي لطمت المجتمع الأوربي، دفعته لرمي الدين من الباب الأمامي، لكن سرعان ما عاد من الباب الخلفي متنكرا، عبر ولادة عاطفة دينية مشتتة، مشكلة من الخرافة، ممثلة في الطوائف الدينية ــ جماعة العهد الجديد، أديان عبادة

[1]– طارق رمضان وآخرون، الإسلام الدين الثاني في أوروبا، (م س)، ص 334.

[2]– هوفمان ألفريد، **خواء الذات والأدمغة المستعمرة**، تر: عادل المعلم ونشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 2، 2011، ص 63.

القمر، الشيطان، الملائكة...ـــ وهذه الموجة من التدين تنامت بسبب غياب المعنى والفراغ الروحي الذي آلت إليه الحياة المعاصرة[1].

وأصبح التدين في أوروبا على هذا المنوال ذاتيا وغارقا في الفردية، والناس يعترفون بأنهم مؤمنون، لكن بشكل غير محدد بالله، وهذه النسبية الدينية قادت إلى نوع من التسامح، بشرط ألا يقف أحد حجر عثرة على الرغبات والعواطف الشخصية لآخر.

لكن المسلمين يرفضون هذه النسبية الدينية، مُقرين بأن الإسلام دين يصلح للناس أجمعين، وليس مجرد رؤية شخصية للحقيقة. والموقف نفسه يتبناه الملحدون، ذلك أن الملحد إذا اعترف بالنسبية، فسوف يصبح متشككا ولا أدريا.

ويُرجح مراد هوفمان أن جل المجتمع الغربي سوف يبتعد عن التدين، وينهج طريق الإلحاد، باستثناء أمريكا الشمالية، حيث تعود إلى الإيمان بتعاليم الكنيسة[2]. ونفهم من ذلك أن إنسان أمريكا الشمالية ينتمي إلى بعض الكنائس دون إن يؤمن بها حق الإيمان.

كذلك يتطرق هوفمان إلى وجود المسلمين في ألمانيا بهدف تحليل تدينهم، ومحاولة البحث عن حلول للمشاكل التي تعوق تطورهم الديني من خلال سؤاله الآتي: ما المشكلات التي تواجههم فيما يختص بالمدارس والطعام والعطلات والصوم وبناء المساجد، ومراسم الدفن؟[3].

ثم يستنكر هوفمان على مسلمي ألمانيا الظهور بالزي الإسلامي، والإعفاء عن اللحى، والتسوك اعتقادا منه أن هذا يضر بالإسلام ويدفع بالمسلمين إلى الانزلاق إلى حياة القيتوهات: « **وإني أتفهم بطبيعة الحال رغبة المسلم حديث الإسلام في أن يظهر للعالم حوله، خصوصا العالم المختلف عنه في الاعتقاد، أن تغييرا ما قد أصابه أو لحق به...ولكني أرى أنه من غير المجدي أن يسلك الألماني، الذي يعيش في وسط أوروبا في القرن العشرين مسلك عرب منطقة الحجاز في القرن السابع، سواء كان ذلك في ملبسهم، أم في مأكلهم، أم في غيرهما، لأنه بذلك يصبح غريبا داخل وطنه. وهذا النهج**

---

[1]- خواء الذات والأدمغة المستعمرة (م س)، ص 64.

[2]- المصدر نفسه، ص 65.

[3]- هوفمان مراد، **الطريق إلى مكة**، بدون مترجم، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1998، ص 122.

يحول الإسلام إلى ثقافة فرعية، بل إلى أحد أشكال الفولكلور الديني. وهذا يصيب الإسلام بلا شك بأضرار بالغة»[1].

ويقصد هوفمان أن حماس المسلم الألماني، يدفعه إلى مواجهة من يحيطون به، بسبب المضايقات التي يتلقاها منهم من مظاهرها تعرضه و أطفاله للسخرية لارتدائهم ملابس إسلامية وعدم السماح له بأداء الصلاة في أثناء مزاولته للعمل وغياب أطعمة ذُبحت على الطريقة الإسلامية وهناك مشاكل أخرى يتعرض لها المسلمون في ألمانيا كالصيام الذي يقابل بالرفض، وعدم السماح لهم بعطلة عيد الفطر، ناهيك عن العراقيل التي تصطنعها السلطات في مسألة تشييد المساجد والمآذن.

إلى جانب ذلك؛ مشاكل بناء المقابر والدفن، فإجراءات الدفن وفق الشريعة الإسلامية تلقى اعتراضات كبيرة، وتُقاوم بشدة، ولا ينتهي الأمر عند الوفاة، وإنما تستتبعها مشاكل شتى تتعلق بالميراث، فالقوانين الألمانية تُوزع التركة بما يُخالف قوانين الميراث الإسلامية[2].

وتمشيا مع هذه المشاكل التي تُعرقل تطور الإسلام في ألمانيا، وتعكر صفو التدين، يقترح المسلمون العمل السياسي كسبيل لرأب هذا الصدع، والتقليص من هذه المضايقات: «**ولقد اتفقت الآراء على وجود عدد وفير من المسلمين في ألمانيا، ولكنهم غير "دستوريين"، بمعنى أنهم ليسوا أعضاء في منظمة واسعة تضمهم جميعا. ولذلك، فإننا نرى أن نولي أهمية قصوى لتأسيس جماعة إسلامية في ألمانيا، بل نجعل الهدف الأولوية المطلقة.**»[3]

وتُوج هذا العمل بعد جهد جهيد بإنشاء المركز الإسلام ي لمسلمي ألمانيا(LMD)، وينظم إلى هذا المركز عدة جمعيات للمسلمين، مثل اتحاد الطلبة المسلمين، واتحاد المراكز الألبانية الإسلامية، وطرح المركز الإسلامي العديد من الانشغالات[4] التي تهم حياة المسلمين، ونمط عيشهم، بيد أن هذه الأنشطة التي اضطلع بها المركز الإسلامي

[1]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص 125.

[2]- المصدر نفسه، ص 136.

[3]- المصدر نفسه، ص 137.

[4]- المصدر نفسه، ص 139.

لم تُأخذ بمحمل الجد، حيث يتطلب الأمر وقتا طويلا حتى تتعامل غالبية الألمان بروح يسودها الود مع الحقيقة البينة والمتمثلة في الإسلام[1].

فتكمن صعوبة الحديث عن مشكلة التدين في أوروبا في وقتنا الراهن، أننا نحيا في عالم لا ينفك عن التغير المستمر، والمعلومات تتوارد وتتغير بسرعة، وهذا العامل يُلزم الباحث توخي الحيطة والحذر في إصدار الأحكام وتبني المواقف.

يقول مراد هوفمان: « **تعلم جيّدا الرجل العصري في أوروبا درس اللاأدرية، ورفض بالأسلوب المثالي لما بعد الحداثة كل الأديان باعتبارها روايات عظيمة** »[2]، نلحظه في النص يُخلط بين مفهوم اللاأدرية ومفهوم الإلحاد، فاللاأدري هو إنسان ليس لديه موقف محدد من قضية وجود إله من عدمه، واللاأدري لا يرفض الأديان؛ أما المُلحد هو الذي ينكر وجود الذات الإلهية، ويرفض الأديان، لكنه إذا كان يرادف بين المفهومين، فينجم عنه الغموض في الرؤية والقصد، أما إذا كان خطأً في الترجمة فذلك شأن خارج عن إرادته.

كما ورد في موقف هوفمان أن العلمانية تأذن باختفاء الدين وزواله، ونرد أيضا عليه هذا، ذلك أن العلمانية أو الدول العلمانية مبدأها الأساس يقوم على فصل الدين عن الدولة، وليس على إخراج المواطن من دينه أو محاربة الدين كما يخال البعض. وإن انتشار الإسلام في أوروبا بلغ ذروته غداة ظهور العلمانية، فأصبح عدد المتدينين المسيحيين يربو عن 76 %، واللادنيين لا يعدو 17 % من إحصائيات 2011. وهكذا يخفق هوفمان في ترجيحه بأن المجتمع الغربي سوف ينأى عن التدين ويسلك نهج الإلحاد.

ونلمس تناقضا صريحا في موقف هوفمان بين التدين واختفاءه في أوروبا، فهو يجزم في مطلع حديثه عن التدين بأن اللاأدرية والعلمانية أذنتا له بالزوال: « **وبالتالي غدا الدين– عند التسامح معه– مهمشا، وفي الدول العلمانية انزوى بعيدا عن الأنظار. يؤمن معظم الناس في الغرب إن الدين يتجه نحو الاختفاء تدريجيا**»[3]، وفي الوقت ذاته يُخَطِيءُ من يعتقد أن الدين عار من القوة في الدول الأوروبية العلمانية « **لكنه سيكون**

[1]– الطريق إلى مكة (م س)، ص 140.

[2]- خواء الذات والأدمغة المستعمرة (م س)، ص 63.

[3]- المصدر نفسه، ص 63.

من الخطأ الاعتقاد بأن الدين، في الدول الأوروبية العلمانية، يمثل أكثر من زخرفة، أو عنصر فولكلوري، أو تقليد عار من القوة...وهكذا لأنك ألقيت بالدين خارجا من الباب الأمامي، فقد عاد مرة أخرى متنكرا من خلال الباب الخلفي»[1]

هذا من جهة، ومن جهة أخرى رصد هوفمان طوائف دينية متنوعة استقطبت أناس كثيرين من المجتمع الغربي يرغبون في الاعتقاد، وأطلق عليها اسم" موجة جديدة من التدين"، بيد أنه لم يذكر شيئا عن دور الإسلام أو المسلمين في استجذاب هؤلاء الأشخاص الذين يرغبون في التدين.

كما أننا نُسجل ملاحظة أخرى مفادها أن هوفمان رصد السلبيات والمعوقات التي حالت دون التدين التام والسليم في أوروبا، ممثلة في المضايقات التي تصدر عن البلد المستضيف، منها ما يتعلق بحياة المسلم، كأداء الصلاة والصيام والذبائح وبناء المساجد والمآذن، وحواجز أخرى ترجع إلى موته، تتمثل في مراسيم الدفن وتوزيع التركة، وعقبات تعرقل سبيل إنشاء حركات إسلامية ذات طابع سياسي تطالب بحقوق المسلمين الأوروبيين، وتغاضى عن الايجابيات الكثيرة التي تُسخرها الدول الأوروبية لهذا الغرض.

وربما فات هوفمان أن التضييق في الممارسات الدينية يُعاني منها أيضا المسلم في عقر داره، فكيف بالمجتمعات الأوروبية، ففي تونس نجد نصوص قانونية صريحة تحظر ارتداء الحجاب: « **وكان تقرير الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان عام 2002 تحدثت عن الحملات الأمنية والإدارية ضد المحجبات التونسيات، وجاء فيه إن العديد من المحجبات تعرضن إلى المضايقات في الشوارع أو أماكن العمل، وتم تجريد العديد منهن من الحجاب عنوة في مراكز الأمن في العاصمة، وإجبارهن على التوقيع على تعهد بعدم العودة إلى ارتداء الحجاب...كما أن عددا من طالبات التعليم الثانوي مُنعن من اجتياز امتحانات نهاية العام بسبب ارتدائهن للحجاب**»[2]، فهل نجد تضييقا أفظع من هذا، ومرارة تفوق هذه. إذا كان الأمر انتهى في ألمانيا عند السخرية والتهكم،

[1]- خواء الذات والأدمغة المستعمرة (م س)، ص 64.

[2]- الخضري أنور قاسم، **ظاهرة التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب**، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ط1، 2008، ص ص: 43 – 44.

فإن الأمر في تونس وصل إلى غاية الضرب وتجريد النساء من الحجاب أمام الرأي العام.

كما أن هذه المعوقات التي كشف عنها مراد هوفمان لا تؤول إلى التدين الشفاف الصافي، فهذه المظاهر التعبدية لطالما هددت الخبرة الروحية النقية، وأفسدت العمل الروحي الحقيقي؛ والتدين لا يُختزل في العبادات كطقوس من صلاة وصوم ولباس ومسجد، وإنما الحياة كلها عبادة: «**قُلِ اِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي ومَحْيَآيْ وَمَمَاتِيَ لِلهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ**»[1].

كما أن هناك إحصائيات تُؤكد على تواجد العديد من المساجد في الأراضي الأوروبية، وأماكن مرخصة للصلاة، ومآذن تُنافس علو الكنائس، ومئات المراكز الإسلامية، إلى جانب المدارس الإسلامية.

ولذا فكل بداية مشروع جديد أو تأسيس لفكرة حديثة، تجد في طريقها الأشواك والعقبات، وهذا يقاس على المسلمين والإسلام. وإذا ما قارنا حجم المضايقات التي يتكبدها المسلمون اليوم في أوروبا مع حجم المضايقات التي عاشها المسلمون الأوائل مع أقوامهم وأسرهم وعشائرهم لا تتجاوز عُشر ما لقيه المسلمون وقتئذ مع ذويهم، فكم من قتلى، وسوء العذاب وكيد كائد، ولكن هذا لم ينل من إيمان المسلمين وعزيمتهم؛ إذ تُوج إيمانهم بتفوقهم، ووصول الإسلام إلى النصف الشمالي الجنوبي من الكرة الأرضية.

وتجدر الإشارة إلى أن مراد ألفريد هوفمان يتقاطع مع طارق رمضان في أنه ينبغي على المسلم اليوم أن يبتكر سلوك خاص في اللباس والتصرف لكنه يتوافق مع القيم وتوجهات الإسلام، بيد أن هوفمان عبر عنه بأسلوب تهكمي ساخر: « **ولكني أرى أنه من غير المجدي إن يسلك الألماني، الذي يعيش في وسط أوروبا في القرن العشرين مسلك عرب منطقة الحجاز في القرن السابع، سواء كان ذلك في ملبسهم، أم في مأكلهم، أم في غيرهما**»[2].

[1]- الأنعام، آية 162.

[2]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص 125.

ثالثا: جوسلين سيزاري

تتكئُ جوسلين سيزاري* Jocelyne Cesari من أجل استيعاب الهوية الإسلامية في أوروبا على الممارسات الدينية للمسلمين أو ما يسمى بالتدين، وترصد اتجاها سائدا يسعى إلى المزج بين الحرية الفردية والإيمان بالقليل من الجوانب الدينية التي تحتاج إلى جهد يسير يمكن التعايش معها في ظل القيود التي تفرضها مفردات العصر مثل الختان والزواج ومراسم الدفن؛ هؤلاء يعدون أنفسهم مؤمنون، رغم أنهم غير مواظبين على التدين، ومعرفتهم بالإسلام ضحلة وسطحية، غالبيتهم تعليمهم القرآني متواضع، بل منهم من لم يتعلم القرآن على الإطلاق سواءً في الأسرة أو في المدارس، وهؤلاء مخلصون للإسلام العرقي، والإسلام عندهم يساوي الإخلاص لجماعة المرء الأصلية، وهو نوع من التدين يتمخض عنه هوية إسلامية هشة معرضة للتغيير.

ويرتبط مصطلح الإسلام عند هؤلاء بطقوس الاحتفالات المعروفة كعيد الفطر، وعيد الأضحى، وباحترام معتقدات الآباء والأجداد وممارساتهم[1]، وفي ظن هؤلاء لا يعدو الإسلام كونه تراثا وثيق الصلة بالثقافة أكثر بصلته بالدين.

وهناك شريحة ثانية من المسلمين عددهم قليل، يريدون بناء هوية إسلامية، من خلال إفراطهم في المطالبة باحترام التعاليم والقواعد الإسلامية التي نهجها السلف. وينشغلون بمظاهر السلوك، ويسعون لتجسيد فهمهم ومعرفتهم أسلوب حياتهم اليومية، هؤلاء سلوكاتهم تسير وفق موافقتها للشريعة أو منافاتها لها، وأغلب وقتهم يكرسونه لاكتساب لغتهم الأصل(العربية) مع أن جل أبناء المهاجرين يجهلون هذه اللغة، ويستثمرون هذه اللغة لدراسة القرآن والسنة. ومن حين لآخر يهتمون بسيرة الرسول، وحياة بعض الصحابة المعروفين ووضع المرأة وعلاقة الإسلام بالعلم.

أما ثقافتهم حول التراث الإسلامي والدولة الإسلامية تكاد تكون منعدمة، ذلك أن لغتهم الأوروبية لا توفر لهم إلا النزر القليل من المعلومات عن الإسلام وقواعده، وعن بعض فروضه وسننه التي تمكنهم من تطبيقها في حياتهم العامة إذ من شأنه أن يحوّل

* باحثة في مركز بيركلي للأديان والسلام والشؤون العالمية في جامعة جورج تاون، ومديرة برنامج الإسلام في الغرب في جامعة هارفارد، وهي مؤلفة كتاب " لماذا يخشى الغرب من الإسلام؟" وكتاب " البحث عن المسلمين في الديموقراطيات الليبيرالية".

[1]- جوسلين سيزاري وآخرون، **الإسلام في أوروبا :التنوع والهوية والتأثير**، تحرير وتقديم عزيز العظمة وإيفي فوكاس، تر:أحمد الشيمي، القاهرة، ط1، 2011 ، ص 128.

الإسلام إلى مجرد التزام بالشكليات ترتكز على طريقة الملبس والمأكل وممارسة الطقوس الدينية[1].

هذا الوضع بالنسبة إلى سيزاري يفضي إلى بناء **أوربة للإسلام** (européanisations توفيق الإسلام حسب الحياة الاجتماعية الأوروبية) متناقضة، فالعلمانية تُشجع التدين الفردي الذي يتسم بالتنوع والتعدد، لكن نظرا لشح أماكن تعليم الإسلام، تضحى المعرفة التي يتلقاها المسلمون حول الإسلام صادرة من الاتجاهات المحافظة للإسلام(الحركات الأصولية، المذهب الوهابي، السلفية)، التي تنفث سمومها إليهم، وتزرع فيهم أفكار التزمت، والمواقف التي تنزع نحو الانزواء، واستنكار المجتمع وبالخصوص في أوساط طبقات الشباب الأكثر ضعفا وهشاشة.

وإزاء هذا الوضع اتجه المسلمون إلى الاستغاثة بالإسلام كرد فعل ضد العداء الذي يبديه الآخر ضدهم، والسياسة التمييزية تجاه الممارسات الإسلامية في أوروبا(الحجاب، المساجد، الطعام)، وترتب عن ذلك انضمام بعض الشباب الأوروبي المسلم إلى القاعدة، والعنف الذي تتناقله وسائل الإعلام اليوم[2].

وفي مقابل هذا الاتجاه المتطرف، ظهر نوع آخر من الإسلام يشجب الاتجاه السالف، يعطي أصحابه مفهوما جديدا للإسلام، يرتكز على المعرفة الأخلاقية والتعليم، وتمجيد الحرية، غير معترفين بعرقية الدين، ويناضل هؤلاء المسلمون الأوروبيون من أجل النزعة الفردية، التي تقوم على العقلانية، والاختيار الواعي للتدين، الأمر الذي يُؤهل الشخص بنفسه إلى الإيمان، بعيدا عن جو الأسرة المشحون بمعارف خرافية وغير حقيقية عن الإسلام[3].

وحسب سيزاري هذا المستوى من التدين والفهم ينم عن تجربة غير مسبوقة، ترمي إلى صوغ تقليد ديني داخل البيئة الأوروبية، وتكييف التراث الإسلام ي مع بيئة ووضع مجتمع الأقلية المسلمة، من أجل إسلام عالمي[4].

---

[1]- جوسلين سيزاري وآخرون، الإسلام في أوروبا، (م س)، ص 129.

[2]- المرجع نفسه، ص 130.

[3]- المرجع نفسه، ص 131.

[4]- المرجع نفسه، ص 131.

وتعزو سيزاري أسباب غياب هذا المستوى الراقي من التدين والإسلام في أوروبا، إلى الصراع المحتدم بين الأصوليين والحداثيين، لسعي كل واحد منهم إلى تفسير التراث تفسيرا شاملا يقبله الجميع بمعزل عن التفسير الكلاسيكي للتراث الإسلامي.

هذا الاختلاف بين المسلمين وكيفية تعاملهم مع المجتمع الأوروبي، يعود بالأساس إلى وضع التراث الإسلامي. فالمسلمون يتعاملون مع النصوص الدينية وتفسيرها بطريقتين: الأولى وهي الغالبة والتي تعتبر النصوص مقدسة ومطلقة وغير قابلة للجدال والنقاش، والثانية لازالت أقلية، تناقش النصوص وتؤولها، وترفع عنها السلطة والقداسة.

رغم أن جوسلين سيزاري باحثة مشهورة باعتدالها في دراستها للإسلام، ودعت دوما في كتاباتها ومحاضراتها أوروبا إلى احتضان الإسلام، واستنكرت كل أشكال الخطاب التبسيطي للإسلام، ولطالما أشارت إلى المفارقات في التعامل مع بعض الرموز الدينية في فرنسا، حيث يتم التساهل مع لباس الراهبات الفرنسيات باعتباره يمثل الثقافة الوطنية الفرنسية، بينما يتم التضييق والحظر عندما يتعلق الأمر باللباس الإسلامي(الحجاب)، إلا أننا نأخذ عليها اختزالها الهوية الإسلامية في أوروبا على بعض الممارسات الدينية، لتصل إلى أن البيئة الأوروبية تمخض عنها ما يسمى بهوية فردية، تفرضها فردانيات الاختيار الديني.

قد نوافق سيزاري في أن الجيل الثاني من أبناء المسلمين كانوا يعيشون إسلامهم كمجرد انتماء عرقي، بيد أنه مع استقرار النخبة الإسلامية في أوروبا تغير الوضع، بأن أجابت على التساؤلات اليومية والعملية للشبان المسلمين حول دين لا يدركون منه إلا الشيء القليل، وأصبحوا يعيشون إسلامهم كأسلوب نضالي باحثين في الإسلام عن هويتهم وعن موقعهم الاجتماعي، ووسيلة لإنعاش إيمانهم عن طريق تصنيف قيم إسلامية خاصة، تحل مشاكلهم في إطار ما يسمى إعادة الأسلمة[1].

ولا أوافق سيزاري، حينما تعزو أسباب غياب هذا المستوى الراقي من التدين والإسلام في أوروبا المرتكز على التدين الواعي والأخلاقي إلى الصراع المحتدم بين

[1]- حسين عبد القادر، وآخرون، الإسلام الأوروبي، (م س)، ص ص 36-37.

الأصوليين والحداثيين، لسعي كل واحد منهم إلى تفسير التراث تفسيرا شاملا يقبله الجميع، ذلك أن الإسلاميين سواءً كانوا أصوليين أم حداثيين لهم تأثير على الجالية الإسلامية، لكن ليس باستطاعتهم فرض نمط من التدين أو التفسير أو الإسلام على المسلمين في أوروبا لم يألفوه أوليس لهم استعدادٌ لتقبله.

وأعتقد أن ما ذهبت إليه سيزاري في أن التهميش والعداء والسياسة التمييزية (التضييق في الممارسات الدينية) التي يُكرسها الآخر ضد الفئات الفقيرة والتي تشكل الغالبية الساحقة من المسلمين في أوروبا، هي سبب انحرافهم وعنفهم، مما أفضى بهم إلى الاستغاثة بالإسلام للرد بقوة على مثل هذه المعاملات، يجافي الصواب، لأن وضعية المسلمين في أوروبا لا يمكن أن تعتمد على معيار واحد، ذلك أن وضعية الطبقة المتوسطة والمستنيرة المثقفة تختلف كثيرا عن وضعيات الفئات الضعيفة والهشة.

أما الانحراف والعنف عند المسلمين فلا تربطه علاقة بالانتماء الديني للمعتقلين، إنما يعود إلى أسباب اجتماعية محضة متأتية من التهميش والمعاناة التي يعاني منها سكان ضواحي المدن الفرنسية، لم تتمكن الحكومات الفرنسية المتعاقبة من إيجاد حل مناسب له[1].

والواقع يُسجل أن قوانين العلمانية تعرضت لعمليات تأويل متحيزة بشكل جلي ضد المسلمين، فالديمقراطية وحقوق الإنسان والمساواة والعدل تُجسد بحذافيرها عند الأوروبيين، بينما تظل مجرد شعارات عندما يتعلق الأمر بالمسلمين، لكن هذا التحيز والعداء شكلا وعيا ورباطة جأش لدى المسلمين وحصنهم من الولوج في ردود أفعال هجومية ضد الدول الأوروبية، لذلك يجب العدول عن الفكرة القائلة، بأن كل عنف يصدر من المسلمين سببه الدين.

ويبدو أن سيزاري تدعو إلى ما يسمى «أوربة الإسلام»، فهي بذلك تُشجع الإسلام الذي يحمل علامات الفردانية والعلمانية، بدون الخضوع لأي سلطة دينية أو ارتباطه بشكل من أشكال التنظيم متمحور حول مفهوم الأمة، بيد أن السؤال المطروح

[1]- الحسين الزاوي، وآخرون، الإسلام الأوروبي، (م س)، ص 151.

هنا: كيف ندمج بين مجتمع لائكي يشدو تدينا فرديا، وبين دين يرتكز حول مفهوم الأمة والتدين الجماعي؟

أعتقد بأن الدعوى إلى أوربة الإسلام لها تداعيات خطيرة على مستقبل المسلمين والإسلام، فهي ترنو إلى ولادة جيل من المسلمين، ينصهر انصهارا تاما في القيم الغربية، من اندفاع نحو المادية واباحية شرسة تُغرق الشخص في اللذة وتبنّي قيم الحرية التي من نتائجها القطع مع القيم الثقافية الأصلية، بل قد تتطور إلى التحول من الإسلام إلى المسيحية.

وحسب تصوري، لا أعتقد مع ما هو سائد عند بعض الباحثين، أن استيعاب الهوية الدينية تقوم على الممارسة الدينية أو ما يسمى بالتدين، سواءً تعلق الأمر بالمسلم أو غير المسلم، هذا يطلق عليه إن صح التعبير "هوية مصطنعة"، أو تدين مغشوش ومنقوص، ذلك أن غالبية المتدينين يعيشون اليوم شيزوفرنيا وانفصام بين ما هو عام وخاص، بين حياتهم وعبادتهم، وأقصى ما يصل إليه المتدين هو التماهي بينه وبين الإله في لحظة الممارسة وزمن الاتصال، بيد أنه وقتما يفرغ من التعبد، يرجع إلى ما ألفه في حياته واعتاد عليه، وما استقر في قلبه من شوائب وانحراف.

هذا التدين يركز على القشور دون الجوهر، يهتم بالخطاب وينحرف في الممارسة، يحيا المتدين بوجهين في المجتمع، وجه مع ذاته، ووجه مع الآخر. وثمة شبه إجماع على أن الانفصال بين الدين والدنيا هو الميزة الأساس التي تصبغ واقعنا الراهن.

وخلافا لما هو منتشر عند المختصين في العلوم الاجتماعية والمثقفين الأوروبيين بجميع أطيافهم في دعواهم بأن نظرية العلمنة أظهرت انحسارا في التدين وتآكل في الإيمان بالنسبة لأوروبا، وترتب عن ذلك تواجد أشخاص ينظرون إلى أنفسهم وإلى العالم من غير اكتراث بالدين، أعتقد بأن نظرية العلمنة في الانحسار الديني مجرد إدعاء إيديولوجي فحسب، لا تخضع لمنطق القابلية للتكذيب كما صاغه كارل بوبر Karl Popper (1902 – 1994)، والواقع لا يؤيد مثل هذا الزعم، ويلفت "رودني ستارك"*Rodney Stark (1934)، نظرنا إلى أن الدول العلمانية تصنف نفسها بأنها

* بروفسور في علم الاجتماع بجامعة واشنطن، وصاحب كتاب السوق الدينية في الغرب.

على درجة عالية من العلمانية، بينما لايزال معظم سكانها يؤمنون بالإله، لهذا يعدُّ هذا الطرح سخيفا ومناقضا لنفسه[1].

ونلفي شرائح كبيرة من المتدينين والمعتقدين في أوروبا لكنهم، لا ينتمون إلى كنائس محددة، والإحصائيات التي تتداولها وسائل الإعلام الأوروبية عن تدني مستوى التدين ليست دقيقة وغير مقبولة وبالخصوص إذا ما تعلق الأمر بالتدين الذاتي والشخصي أو التدين في المنزل.

وفي ذات السياق يُشير "رودني ستارك" بأن عملية مسح القيم العالمية التي أُجريت في أول دولة علمانية على الأرض وصلت إلى علمانية شبه كاملة وهي دولة إيسلندا، حين سُئل الناس الذين غطاهم المسح: « هل تُصلي لله خارج الطقوس الدينية؟» أجاب 82 %أنهم يفعلون ذلك في بعض الأحيان، وقال واحد من أربعة أشخاص أنهم يفعلون ذلك كثيرا. أما الأشخاص الذين قالوا إنهم مُلحدون عن يقين وقناعة نسبتهم لا تتجاوز4 % من مجموع الإسلنديين[2].

ومن هذا المنطلق يؤكد "خوزيه كازانوفا" José Casanova (1951) بأن الأديان لم تمتثل لتعاليم العلمانية، والممارسات الدينية في أوروبا والعالم أكبر دليل على تعميم الدين وعدم خصخصته، والأديان موجودة لتبقى[3].

مما سبق يعني أنه ليس ثمة تلازم بين الهوية الدينية والتدين، ولا ملازمة بين العلمنة واختفاء التدين، والتدين لازم معنوي من لوازم الذات الإنسانية، وافتقار الإنسان للدين يقفز به إلى اليأس الروحي، ومهما ناهضت الإيديولوجيات الالحادية والعلمانية الدين، فلن تقضي على حاجة الإنسان للدين والتدين.

خلاصة الفصل

من خلال ما سلف وبعد استعراض المفاهيم المحورية التي يحوم حولها موضوع البحث نتبين ما يلي:

[1]- رودني ستارك وآخرون، الاستغراب، **ما بعد العلمانية الحدث والمفهوم**، العدد الثامن، صيف 2017، بيروت، ص 50.

[2]- المرجع نفسه، ص 63.

[3]- كازانوفا خوزيه، **الأديان العامة في العالم الحديث**، تر: قسم اللغات الحية، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، 2005، بيروت، ص 17.

إن أوروبا ذات أصل جغرافي بحت والإسلام ذو أصل ديني صرف ، لكن يمكن دراستهما من خلال اعتبار أوروبا كثقافة تاريخية وحضارة كبرى نجد مثيلها في الإسلام، جماعة وحضارة ...أي أوروبا والإسلام.

والإسلام الأوروبي ممكن تحققه بالنسبة لأوليفييه روا وطارق رمضان؛ لأن أوروبا فضاءُ علمانيٌ وديمقراطيٌ، بحيث يمكن للمسلم أن يكون مؤمنا ومواطنا في الآن نفسه.

وفي علاقة الأنا بالآخر فيرى الجابري الأخذ بعين الاعتبار كل العلاقات المعقدة التي تربط بين الغرب والإسلام ماضيا وحاضرا ومستقبلا لوقف زحف الإمبريالية العالمية على التاريخ وشحن هذه العلاقة بالمعرفة الصحيحة بالواقع وبالإرادة المصممة على التغيير؛ أما رؤية أركون تتمثل في التوفيق بين العلمانية والإسلام، وتوصل هشام جعيط إلى أن الإسلام لا يضيع نفسه في السباق مع الغرب بل يعمل جاهدا على حفظ ما هو إنساني وصقله ليواصل رسالته السامية، كما تمكن إدوارد سعيد من استكشاف آليات الفكر الغربي وكيفية تعاطيه مع الإسلام والمسلمين، وكان ممتازا في انتقاده لسياسة الهيمنة والشيطنة والاعلام واسرائيل والنفط. ويعتقد هوفمان أن علاقة الأنا بالآخر لا تتم إلا من خلال انفتاح العالمين على بعضهما بعض بروح من التسامح والتفاهم لتحقيق السلام العالمي.

وحول إشكالية التدين في أوروبا يرى أوليفييه روا أن العولمة ولدت أشكال جديدة من التدين، تمخض عنه ماهو ذاتي متفرد منفصل عن الثقافة آل إلى ما يسمى بالجهل المقدس. أما هوفمان فيعتقد أن التدين في أوروبا أصبح ذاتيا وغارقا في الفردية، والناس يعترفون بأنهم مؤمنون، لكن بشكل غير محدد بالله، ويعزو نقص تدين المسلمين في أوروبا إلى مضايقات السلطات، في حين اختزلت سيزاري الهوية الإسلامية في أوروبا على بعض الممارسات الدينية، لتصل إلى أن البيئة الأوروبية تمخض عنها ما يسمى بهوية فردية، تفرضها فردانيات الاختيار الديني.

الفصل الثاني:

التمثلات الدينية عند هوفمان

- التمثلات الدينية من منظر هوفمان الدينية
- التدين وجدلية النظري والعملي
- التفاعل بين الأنا والآخر

الفصل الثاني: التمثلات الدينية عند هوفمان

توطئة

تتلقى غالبية الجماهير الغربية ومثقفيها تمثلاتها حول الإسلام والمسلمين من وسائل الإعلام التي ورثتها بدورها من التمثلات التاريخية وعن الكتاب الأوربيين، ومن الأنشودة الفرنسية لرولاند Roland ودانتيDante ومارتن لوثر Marti Luther (1483 – 1546) عن الحقد التاريخي على المسلمين والإسلام، وعن الأفلام السنيمائية[1]، ويُخيل إلى هؤلاء أن هذه التمثلات واقعية وحقيقية وأصيلة، ولكن هل يدوم مفعول السحر طويلا، أم تنكشف مع تواتر الأيام أسرار المكر والخداع، فينقلب السحر على الساحر كما يُقال في المثل؟

ويعتبر مراد ألفريد هوفمان المدير لإدارة **الإعلام** والعلاقات العامة لحلف الأطلسي واحد من مصاديق المثل السابق، ذلك أنه نهج نهجا أكاديميا في دراسة الإسلام؛ إضافة إلى تجارب الحياة اليومية؛ عندما احتك بالمسلمين أثناء عمله الدبلوماسي سواء في الجزائر أو في المغرب، فلاحظ بأم عينه، كيف أن أناس بسطاء يستمدون كل تلك القوة والصبر والهدوء من إيمانهم فقط بالإسلام[2]؛ لينتج في نهاية المطاف معرفة أكاديمية عن الإسلام معترضا على التمثلات المغلوطة التي نقلها الغرب عن المستشرقين والإعلام. ولمعالجة مباحث هذا الفصل لابد من التطرق أولا لتمثلات هوفمان الدينية، ثم إلى التدين عند هوفمان، وإلى تمثله لعلاقة الأنا بالآخر.

[1] – الاستغراب، **الميديا إمبريالية الصوت والصورة والصدى**، العدد 11، السنة الرابعة، ربيع 2018، ص 92.

[2] – هوفمان مراد ألفريد، **يوميات ألماني مسلم**، ت، د.عباس رشدي العماري، الناشر مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط 1، 1993، القاهرة، ص 30.

المبحث الأول: التمثلات الدينية من منظر هوفمان

****

لم يُكون مراد هوفمان تمثلاته الدينية بين عشية وضحاها، بل أمضى عقودا من حياته يبحث ويدرس الإسلام ويقارنه مع المسيحية، ويستقرئ سلوكات المسلمين ويحللها، وبعد رحلة روحية طويلة انتقل من الشك إلى اليقين ومن المسيحية إلى الإسلام.

أولا: تهافت المسيحية

قبل أن يعتنق "مراد ألفريد هوفمان" الإسلام، كان يدين بالديانة الكاثوليكية وكان خبيرا بكل شؤونها، فكانت في نظره محل شكوك وتساؤلات، ورغم افتتانه بفلسفة "لدفيج فتجنشتين"Ludwig Wittgenstein (1889– 1951) الجاحدة بوجود الله، تبين له أن مسألة وجود الله أو عدم وجوده تعود إلى العقيدة ويقين الفرد؛ حيث رفض هذه الفلسفة وآمن بوجود الله إيمانا راسخا، لكنه تساءل عن كيفية الاتصال به، فحسم هذه الخطوة يقينا بضرورة الوحي والدين؛ فألح عليه سؤال هو: أي دين وأي عقيدة تفِ بذلك؟ هل هي اليهودية؟ أم المسيحية؟ أم الإسلام؟

والتمس الإجابة في آية من آيات القرآن الكريم: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]، لتنضوي فيها فكرتان دينيتان تعبران عن جوهر الفكر الديني وأساسه:

الأولى: تُبطل من الأساس عقيدة الكاثوليك القائمة على الخطيئة والخلاص، ذلك أن آدم أخطأ وعصى الله وأن خطيئته تغلغلت في كل مولود في هذا العالم وأن الله أرسل ابنه المسيح لإنقاذ البشر من كل الخطايا الموروثة والمقترفة.

الثانية: عدم وجود واسطة بين الإنسان وربه لحمل وزره، وهذه الآية تُلغي مكانة القساوسة بائعي صكوك الغفران للبشر وتخلع عنهم سلطتهم الدينية، وكذا نفي وراثة الخطيئة يُفرغ المسيحية من عناصرها الجوهرية وهي الثالوث والخطيئة والخلاص والتجسيد والحياة بعد الموت ولهذا فهو يرفضها لأنها تقوم على الأساطير والشرك في عقائدها يقول: " **وبدا لي أن تصور فشل الله في خلقه، وعدم قدرته على تغيير ذلك إلا بإنجاب ابن والتضحية به – أي إن الله يتعذب من أجل الإنسانية– أمر فظيع ومروع،**

[1]- النجم، آية 38.

بل وتجديف وإهانة بالغة. وبدت لي المسيحية وكأنها تعود لترتكز في أصولها على أساطير متنوعة ومتعددة. وتبين لي جليا الدور الخطير والشرير الذي لعبه بولس الرسول. لقد قام بولس، والذي لم يعرف المسيح أبدا ولم يصاحبه في حياته، بتغيير بل وبتزوير التعاليم اليهودية المسيحية التي صاغها برنابه* وترى في المسيح أحد رسل الله وأنبيائه"[1]

نستشف من قول "ألفريد هوفمان" السخرية والتهكم اللذان ينتابانه من المسيحية المناقضة للمنطق الإلهي ومن العناصر المتداخلة التي نهلت منها، ذلك أن عقيدة التثليث ليست من المسيحية الحقة في شيء بل هي من الفلسفة الإغريقية.

ونلمس أيضا تسلحه بمنهج الشك الذي هو دأب المولع بالحقيقة والحريص على مناشدتها بواسطة التنقيب والبحث والدراسة للكشف عن المصادر التي تشربت منها المسيحية، وموازنة النصوص مع بعضها بعض، مثل موازنته بين نص "بولس" و"برنابا " والقرآن الكريم، ولم يكن إيمانه وإسلامه إسلاما تقليديا ساذجا كما نلفيه اليوم في واقعنا، ليعرف أيهم أهدى سبيلا وأقرب إلى الحق وأوثق به اتصالا، ليقتنع في نهاية بحثه ببطلان العقيدة المسيحية(التثليث) وبهشاشة نصوصها.

ويحلل "ألفريد هوفمان" تاريخ المسيحية ليزيل عنها كل زيف وتحريف لحق بها منذ قرون وحقب سواء أكان من اليهود أم من النصارى المشتتين في العالم منذ القرن السادس الميلادي، حيث فشلوا في تجاوز التحريف الذي ألحقوه بديانتهم، فاليهود يتصورون أنهم شعب الله المختار، أما النصارى فيعتقدون بالطبيعة الإلهية للمسيح يقول:" **ولم تعرف المسيحية الأولى فكرة الثالوث، أو حتى تلميحات عنها، حتى عند بولس الرسول المؤسس الحقيقي للمسيحية. وهذا القول ليس مثار للدهشة، لأن القول المؤسس لفكرة الثالوث في الرسالة الأولى ليوحنا(5– 7) لم يظهر إلا عام 380م في إسبانيا وهي:« ثلاث موجودون هم شهود في السماء: الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد» ولقد تمكن الباحثون منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، من إثبات**

* برنابا هو أحد حواريي المسيح، وهو خال مرقس، وقد أكتشف انجيله أول مرة في مكتبة القديس بطرس في الفاتيكان، وذلك قبل ظهور الاسلام قبل قرنين، وهو أوسع انجيل ويحوي معلومات كثيرة عن سيرة المسيح.

[1]– هوفمان مراد ألفريد، الطريق إلى مكة، (م س)، ص 38.

أن هذه الآية (بالإضافة إلى الإصحاح الذي يتحدث عن الزانية في إنجيل يوحنا) تعد من حالات التزوير البينة والواضحة والمهمة جدا في العهد الجديد" [1].

ثم ينعت "ألفريد هوفمان" شخص القديس بولس بالمهرطق ذلك أن كل الأحاديث التي رواها عن شخصية المسيح لا تعدو أن تكون خرافات وخزعبلات مثل طول المسيح، وأحب الأطعمة لديه، ونوع الأحذية التي كان يضعها في قدميه، وعلى رغم أن هذه الاستفسارات ليست لها أي أهمية وتعد جوانب ثانوية في شخصية عظيمة إلا أن سيرة اليسوع أخبرنا عنها النبي محمد صلى الله عليه وسلم يقول:" **عرفنا كل هذه التفاصيل وغيرها عن النبي محمد. بينما لم يظهر المسيح من خلال الأناجيل إلا كشخصية أسطورية غامضة الملامح**"[2].

ويمضي" ألفريد هوفمان" في المقارنة بين المنهج الإسلامي في رواية الأخبار والأحاديث التي تروي حياة النبي محمد والمنهج المسيحي المرتكز على التأويل والتجميع لأقاويل شائعة ليستنتج أنه لم يسمع مطلقا حديثا رواه اليسوع بنفسه.

ويرفض "ألفريد هوفمان " أن نضع كتاب العهد الجديد على قدم المساواة مع القرآن الكريم على الإطلاق ويمكن أن يوضع موضع الأحاديث المشكوك فيها والضعيفة يقول:" وفي هذا الصدد فإن أكثر الأمثلة إثارة للحرج هو محاولة تطبيق مبادئ البحث التاريخي الإسلامي على "العهد الجديد" حيث نضطر إلى حذف كافة رسائل القديس بولس منه، لأنه لم يشاهد المسيح قط أو يقابله أو يتحدث معه"[3].

فمن ناحية، لا أعتقد من جانبي ما سلكه هوفمان في تأويله للآية القرآنية ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، بأنها تحمل فكرتان دينيتان تعبران عن جوهر وأساس الفكر الديني وهما تقويض لفكرتي الخطيئة والخلاص وعدم الوساطة بين الإنسان والله، لأن هاتين الفكرتين لا تؤسسان لجوهر الدين، ذلك أن جوهر الدين يرتكز على الأخلاق مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[4]، ففي هذا الحديث يبين النبي أن الهدف الأساسي من هذا الدين ورسالته السمحة هو الأخلاق،

---

[1]– هوفمان مراد ألفريد، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود،(م س)، ص154.

[2]– هوفمان مراد ألفريد، يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص 59.

[3]– المصدر نفسه، ص 60.

[4]- الحديث أخرجه أحمد في المسند رقمه 8729 .

فالناس لا يرون عقيدة الشخص وإنما يرون أخلاقه، لذلك سيقيّمون دينه بناء على تعامله، فيحكمون على صحته من عدمه عن طريق سلوكه وخلقه.

ومن ناحية أخرى تفسير هذه الآية يحتمل تأويل هوفمان، لكن لا يتطابق معه وللآية سبب في نزولها، وحسب تفسير القرطبي نزلت الآية في الوليد بن المغيرة كان يقول : اتبعوا سبيلي أحمل أوزاركم، ذكره ابن عباس. وقيل : إنها نزلت ردا على العرب في الجاهلية من مؤاخذة الرجل بأبيه وبابنه وبجريرة حليفه[1] ، فضلا عن ذلك يوجد آيات قرآنية تدحض العناصر الجوهرية للمسيحة المتمثلة في: الثالوث الخطيئة، الخلاص، التجسيد، كقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنِ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

ويبدو لي أن ترجمة الآية من العربية إلى الفرنسية يشوبها خلل بالنسبة لهوفمان، ذلك أنه أسلم في الثمانينات وكان حديث عهد بالإسلام وهو بنفسه يذكر حادثة تُعزز هذا الخلل في حوار جرى بينه وبين مهاجر جزائري من سكان مدينة غرداية " ولكن عندما ذكرت أني فرغت لتوي من قراءة الترجمة الفرنسية للقرآن... أطبق الرجل فمه وبدا عليه الارتياب. واتضح لي الآن أن الرجل نتيجة لالتزامه بالتفسير المتحفظ للإسلام كدأب أهل موزابيت. أعتقد أني جئت شيئا إداً كأولئك الذين يعبثون برسالة الله...كما تلقاها النبي محمد صلى الله عليه وسلم من الملك جبريل بلسان عربي، وليس بغيره من اللغات"[3].

أما جزمه بأن عقيدة التثليث ليست من المسيحية الحقة في شيء بل هي من الفلسفة الإغريقية فهو أمر يحُتمل، بيد أنه ليس يقيني، فتاريخ الأديان يطفح بهذه المظاهر، فلدى المصريين وُجدت أسطورة إيزيس وأوزوريس وحورس، وهي معروفة ومشهورة[4].

---

[1]– القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1940، الجزء العاشر، ص 230.

[2]- المائدة، آية 73.

[3]– هوفمان مراد ألفريد، يوميات ألماني مسلم،(م س)، ص 26.

[4]– نايتون أندريه، ويند إدغار، غوستاف يونغ كارل، **الأصول الوثنية للمسيحية**، تر: سميرة عزمي الزّين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الانسانية، بدون ذكر الطبعة، ص 45.

ونجد أيضا هذا الثالوث عند الهنديين القدماء: 1- براهما وهو الممثل لمبادئ التكوين والخلق 2- قشنو وهو الابن ويمثل مبادئ الحماية والحفظ 3- سيفا وهو روح القدس وهو المُبدئ والمهلك والمبيد والمعيد ويرمزون له كالمسيحيين بصورة حمامة[1].

ويؤكد غوستاف يونغ Gustav Jung (1875-1961) أن عقيدة التثليث القديمة وبالأخص في الشرق كانت وراء عقيدة التثليث في الدين المسيحي:" **إن التثليث في الأديان القديمة، وفي الشرق بشكل خاص، مسألة منتشرة شائعة إلى الحدود التي لا نستطيع أن نحصيها أو نذكرها جميعا، ولعل تنظيم الآلهة المثلثة من أبرز الظواهر في تاريخ الأديان. ولا شك في أن هذا النموذج الديني القديم قد كان وراء عقيدة التثليث في الديانة المسيحية**"[2].

ثانيا: فراغ مبادئ الحضارة الغربية

قبل أن يتطرق "هوفمان" إلى الإيمان بالله وصفاته وذاته وإلى ضرورة النبوة والوحي، ينسف المبادئ التي قامت عليها الحضارة الغربية، لكنه يعمد إلى التحليل ومقارعة الحجة بالحجة، ويعرض الأسباب لينتهي إلى النتائج، فهو ذو إطلاع عميق على الحضارة الغربية ونظيرتها الإسلامية وقلما تجد مسلما غربيا يحوز هذه المعارف الفلسفية والعلمية والتاريخية والدينية.

ويستهل "هوفمان" مؤلفه الموسوم "خواء الذات والأدمغة المستعمرة"* بتحليل الأسباب التاريخية لتقدم الحضارة الغربية، ثم يحلل ما آلت إليه من نتائج، ليتبين خواءها وتهافتها مُستعرضا ما أنتجه الغرب من نزعات فكرية ومذاهب فلسفية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ويعنى بجملة من القضايا منها:

1- زيف الشيوعية

ينطلق "هوفمان" من مسلمة مؤداها أن جل مؤلفي الفكر الشيوعي ألمان، ذلك أنهم دونوا مؤلفاتهم بلغتهم الألمانية الأصلية وهو أيضا يتقاسم معهم هذه السمة، وبما

[1]- وصفي محمد، **المسيح والتثليث**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون ذكر سنة الطبع، ص 136.

[2]- نايتون أندريه، وبند إدغار، غوستاف يونغ كارل، الأصول الوثنية للمسيحية، (م س)، ص ص 81- 82.

* هذا المؤلف يوضح أسباب فشل الشيوعية في العالم ، وكيف حلّت ما بعد الحداثة في الغرب محل الحداثة وما نتيجة الاستغراق في الملذات المادية والحسية وكيف يكون الاسلام هو الحل من الورطة التي أوقع فيها الغرب نفسه والعالم.

أنه كان يحيا في بلد مفصول بالحائط الشيوعي، فهو خبير بالشيوعية أكثر من قرائها باللغة الإنجليزية.

وكما ظهرت الشيوعية على أنقاض الفلسفة الهيغلية المثالية لتُصوبها وتجعلها تقوم على القدمين بدل الرأس وتنقسم إلى: المادية الجدلية، المادية التاريخية، الاقتصاد السياسي. وأول سهم يوجهه "هوفمان" إلى الشيوعية ادعائها بأنها "اشتراكية علمية" مما يوحي بأنه يمكن إثباتها أو نفيها بالتجربة العلمية أو استخدام تقنية القابلية للتكذيب لكارل بوبر.

ويعتقد "هوفمان" أن كل الفلسفات سواء الكلاسيكية أو الحديثة الحسية والمثالية لم تدع قط ذلك سوى الشيوعية، والفلسفة على العموم تعرض نظرية للمعرفة أو أفكار في الوجود مبنية على تخمينات أو استنتاجات منطقية، أما وسم نفسها بالعلمية ليس من المنطق في شيء يقول: " **إن زعم الشيوعيين بأن أيديولوجيتهم ذات صفة علمية مناف للعقل بشدة، مما يسم مدخلهم الذي يفخرون به بالانحراف المبدئي، بمعنى انحراف المبدأ وبمعنى الانحراف منذ البداية. يزعم الشيوعيون ببساطة بأن لهم نظرة صحيحة، يصلون بها "أوتوماتيكيا" إلى النتيجة الصحيحة. إذا كان ذلك علميا، فعلى العلم الحقيقي أن يغير نفسه**"[1].

وبعدما استعرض "هوفمان" المبادئ الستة للمادية الجدلية، أشار إلى أن الشيوعيين ليسوا أول من قالوا بالمادة، فقد سبقهم إلى ذلك الفيلسوف الإغريقي "ديموقريطس" Democrite (460 ق.م– 370 ق.م) والفيلسوف المادي "لودفيج فيورباخ" Ludwig Feuerbach (1804– 1872)، ووجه لهم نقدا آخر لاذعا بمواجهتهم باعتراضات "دفيد هيوم" David Hume (1711– 1776) و"ايمانويل كانط"Immanuel Kant (1724– 1804) لمفهوم العلية، وأردف نقده بمستجدات اللاحتمية (عدم التحديد) في المستوى تحت الذري التي آلت إليها الميكروفيزياء وقانون الديناميكا الحرارية، الذي هو بمثابة النقض المادي للمادية ويضيف اعتراض "مارتن هيدغر" Martin

[1]– هوفمان مراد ألفريد ، **خواء الذات والأدمغة المستعمرة**، تر: عادل المعلم ونشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 2، 2011، ص 17.

Heidegger (1889– 1976) الذي يصنف الشيوعية ضمن الفلسفات التي تفسر الحقيقة المطلقة وهي بذلك شكل من أشكال الروحانيات[1].

ولعل الفكر الشيوعي المادي كان سببا مباشرا لظهور إلحاد جماهيري غير مؤسس مبني على افتراضات إيديولوجية زائفة مستندا إلى مقولة "لينين" -Vladimir lenin (1870– 1924) " طالما كان لنا سيدا في السماء، فسنظل عبيدا في الأرض" وأضحى الدين أفيون ومخدر الشعوب والإلحاد ماركة مسجلة يعشقها من يتعاطى الفكر الشيوعي الاشتراكي يقول: "كان من الممكن الدفاع عن الماركسية بطريقة أفضل إذا كانت أعلنت اللاأدرية عن وجود الله/الروح، اكتفاء بأنه لا يمكن إثبات وجود الله بتجربة عملية ولكن ماركس وأتباعه خصوصا باكونينMikhail_Bakunin (1814 – 1876) ولينين اختاروا أن يفرضوا إلحادا على افتراضات إيديولوجية عشواء"[2].

وبناءً على ما سبق حاولت الشيوعية تغيير حياة كل أفراد البشرية، بيد أنها أخفقت في كل المجالات خاصة المجال الذي اعتبرته مجالها الأكبر وهو الاقتصاد ومثلت أكبر خطر على حقوق الإنسان ورفاهيته الاجتماعية، فضلا عن انهيارها في كل مسرح أراد أن يجسدها يقول هوفمان:" **لم تكن الشيوعية فكرة طيبة ساء تنفيذها، بل هي فكرة سيئة منذ البداية، ولا يمكن تنفيذها**"[3].

نحن نتفق مع هوفمان في أن الشيوعية فكرة سيئة منذ البداية، لكن هذا لا يجعلنا نتغاضى على الأقل عن حسنة واحدة اضطلعت بها الشيوعية وهي الوقوف ضد الامبريالية الرأسمالية الشرسة التي ركزت على الاستغلال والاستلاب وتشيئ الإنسان، وتصحيح الآثار الاجتماعية وأنانية السلوك الفردي.

أما أن الشيوعية هيأت أرضية خصبة للإلحاد فأمر صحيح، لكن هذا لا يفيد بأن الإلحاد لم يكن منتشرا في العالم قبلها.

[1]– خواء الذات والأدمغة المستعمرة، (م س)، ص 19.

[2]– المصدر نفسه، ص19

[3]– المصدر نفسه، ص 27.

2- زيف الحداثة

يتطرق "هوفمان" إلى الحداثة التي أفضت إلى المادية العلمية التي تنزع نحو الإلحاد على غرار المادية التاريخية ويبحث في المصادر التي أدت إلى ذلك وتأتي في طليعتها العلوم الاجتماعية التي خلقت الاتجاهات السائدة في القرن العشرين ومنها مؤلفات "فرويد" Sigmund Freud (1856– 1939) و"شبنجلر" Oswal Spengler (1880– 1936) و"ماكس فيبر"Max Weber (1864–1920) و"كارل شميدت" Carl Schmitt (1888– 1985) و"أرلوند جيهلان" Arnold Wilhelm (1868–1951) و"جان بول سارتر"Jean-Paul Sartre (1905– 1980) و"كلود ليفي ستراوس"، يحللها تحليلا كافيا وشافيا[1]، ثم يتجه إلى ميدان العلوم الطبيعية ويعرض أبحاث كل من "دافيد بوم" David Bohm (1917، 1992) و" نيلز بوهر" Niels Bohr (1885– 1962) و" ماكس بورن" Max Born (1882– 1970) و" سير آرثر إدنجتون" sir Arthur Eddington (1882– 1944) و"ألبرت أنشتين"Albert Einstein (1879– 1955) و"فيرنر هايزنبرج"Werner Heisenber (1901– 1976) و"أرنست بي جوردان"ernest bi jordan (1883– 1948) و"ماكس بلانك" Max Planck (1858– 1947) وغيرهم.

والمثير للانتباه أن الإلحاد والاتجاه الديني كانا متذبذبين بين علماء الطبيعة؛ هؤلاء العلماء يتوسمون في أبحاثهم أملا في أن تجيبهم عن كل الأسئلة التي كانت تراودهم وتؤرقهم، لكنهم حصدوا منها خيبة الأمل يقول:" **يمكن فهم الأوضاع في القرن العشرين بفهم أوضاع القرن السابق عليه، عندما توقع العلماء أن تجيب العلوم الطبيعية عن كل الأسئلة الكبرى عن العالم واستمراره، وكيف يعمل، الحياة، الوعي الانساني، الجاذبية، مكونات الذرة، بداية العالم ومستقبله. عندما لم يحدث أيّ من ذلك، بدأت الشكوك والتساؤلات عن الحداثة نفسها**"[2].

[1]– خواء الذات والأدمغة المستعمرة ، (م س)، ص 33.

[2]– المصدر نفسه، ص 36.

هذا يعني أن هذه العلوم والرياضيات والجسيمات المتناهية في الصغر ونظرية الأوتار الفائقة* "لإدوارد ويتن" Edward Witten(1951) ونظرية المنطق الغائم* وفيزياء الأجسام الضخمة(الفلك) وعلم الأحياء الذي أشعل ثورة كوبرنيكية مع تشارلز داروينCharles Darwin (1809– 1882) في كتابه "أصل الأنواع" وثورة الجينات وأبحاث الدماغ والمخ؛ أدى إلى ما يمكن تسميته " أسطورة النسبية" وكل هذه الأبحاث أفضت إلى عدم اليقين ولم تتمكن من الإجابة عن الأسئلة الرئيسية للفلسفة: كيف بدأ الكون؟ ماذا كان قبله؟ كيف سينتهي الكون؟ ماذا وراء الكون؟[1]

وقد أفرزت الحداثة مبدأ اللذة (الهيدونية) أولوية المتعة كأسلوب في الحياة وهو فرخ فقص من بيضة المادية وغزا كل مجالات الحياة الغربية: الدين، القيم، السلام، الاقتصاد، الأسرة، الإعلام، التعليم، الجنس، الإجهاض، المخدرات، وهو الأسلوب الذي يفضي بالغرب إلى الكارثة.

وأضحى دين ما بعد الحداثة يعتمد على فكرة " كل شيء يجوز"، حيث تشكلت تعددية دينية تؤمن بشكل غير محدد بالله وليس بالأديان السماوية، وغدت هناك نسبية دينية، يقول هوفمان: " **فقد تمت خصخصة الدين في الغرب، حيث أصبح المزيد من الناس "شبه متوحدين " وسعداء بالحياة منفردين بأنفسهم، وفي مثل هذا المناخ المفرط في الفردية، فإن للأديان السماوية ورجالها فرصة ضعيفة، وأصبح الدين ذاتيا بالكلية، وانتقائيا، مجموعة من وجهات النظر المتسقة أو حتى المتضاربة، بشرط ألا تعترض طريق الرغبات والعواطف الشخصية**"[2].

ونفهم من قوله أن غالبية الغرب يتمتع بعاطفة دينية لكنها مشتتة فتقع ضحية الخرافة، نجد في العالم الغربي شبه الأديان التي تَعد الناس بالخلاص وإضفاء المعنى

* التي تبين وجود أحد عشر بعدًا، ونحن لا نستطيع سوى أن نرصد أبعادًا أربعة هي الطول والعرض والارتفاع والبعد الزماني، أمّا الأبعاد الإضافية الأخرى فهي المسؤولة عن تحديد خصائص الكون الذي نحيا به، بل أكثر من ذلك فلو ثبتت صحة هذه النظرية لكان يعني ذلك وجود أكوان أخرى كثيرة حولنا في هذا الفضاء الواسع.

* هو أحد أشكال الغموض والذي حير العلماء ففي عام 1995 لطفي زادة اكتشف المنطق الضبابي عندما كان يعمل في جامعة كاليفورنيا حيث لاحظ أن الصح والخطأ لا تكفي من أجل تمثيل كافة الأشكال المنطقية وخاصة المشاكل التي تواجهنا حاليا. فالمنطق الكلاسيكي (البولياني) يعتمد على 0 أو 1 فقط وهذا ما يعتمد عليه الكثير من العلاقات في حين توجد علاقات أخرى يكون فيها الموضع الذي فيها يمكن اعتباره صحيح جزئيا أو خاطئ جزئيا في نفس الوقت.

[1]– خواء الذات والأدمغة المستعمرة، (م س)، ص 47.

[2]– المصدر نفسه، ص 65.

الغائب في الحياة المعاصرة كأديان عبادة القمر، والملائكة، والشيطان، والتنجيم؛ لا ينتهي الأمر عند هذا الحد بل نجد أحيانا بعض الدول تفرض الضرائب على الكنائس الفردية مثل ألمانيا وربما ستفرضه على المساجد مستقبلا.

ومبدأ اللذة بلور ثورة في القيم والمجتمع الغربي كما هو جلي غلبت عليه قيم العلم والاقتصاد ومبدأ المردودية والاستهلاك وهذه كلها لا تنتج القيم ولا تحميها بل تولد قيم من نوع آخر تتعلق بالجنس والتسلية والمخدرات، أما قيم الشرف والترابط العائلي والعفة ورعاية الوالدين والتضامن فعفى عنها الزمن وغدت قيما رجعية لا تمت للحياة المعاصرة الغربية بصلة، يقول هوفمان:" **أدت ما تسمى بثورة القيم إلى تحويل التدريس في المدارس إلى عملية تعذيب. الأطفال غالبا جاهلون بالقيم، يظهرون أنانية وقحة، وشراسة وعدوانية، وفقدانا للحوافز الدافعة، والتشبع الإعلامي مع حيز ضيق من الانتباه. لن يستطيع معظم السياسيين الذين يتدارسون داخل مكاتبهم وسائل إصلاح التعليم، البقاء لمدة يوم واحد كمدرسين لهؤلاء الأطفال**"[1].

أما التعليم فأضحى تعليما ماديا تتلاعب به العلمانية كيف تشاء، وهو ينم عن رؤية إيديولوجية تسعى إلى زرع الإلحاد، يقول : « **أصبحت أوروبا غير مسيحية، إلى حد أصبح من المألوف أن تقدم نفسها على أنها مُلحدة أو لا أدرية؛ اختفى الله عمليا من المجال العام**»[2].

والأسرة لم تعد تنتدب نفسها لتعليم أطفالها التربية الدينية إلا النزر القليل، هذا بالطبع انعكس سلبا على الحياة الاجتماعية الغربية يقول هوفمان: " **تلعب العلمانية هنا دورا حاسما: تدرس كل الموضوعات كما لو أن الله غير موجود، على الرغم من أنه في دروس الفلسفة قد يتم الإقرار بأنه لا يمكن الرهان على عدم وجوده، فالواقع أن التعليم ملحد ومادي**"[3].

وأضخم ثورة مرت بها الحضارة الغربية هي ثورة الجنس، كان لهذه الثورة أنبياء يبشرون بها أمثال "ألفريد س كينزي"Alfred Charles Kinsey (1894-

[1]- خواء الذات والأدمغة المستعمرة، (م س)، ص 67.

[2]- Hofmann marad Wilfried, **Promoting Islam and Uplifting Muslims, Islamic Horizons**(september, october1998) 18-20 quotion at 18.

[3]- خواء الذات والأدمغة المستعمرة ، (م س)، ص 73.

1956) و" ويلهيم ريتشWilhelm Reich (1497– 1957) وغيرهم، واستحوذ الجنس على مكانة الدين في الغرب حيث أصبحت وسائل الإعلام من مجلات وقنوات فضائية وأنترنت ومحمولات مهووسة بالجنس وعَم العُري في جل المبيعات الغربية، وانتشر البغاء بصورة مريعة إلى الحد الذي جعل بعض الدول تخوِّل لمحترفي الجنس من النساء بإنشاء نقابات على أنهن عاملات جنس، وهَمَّ الرجال إلى ممارسة الجنس مع بعضهم بعض والنساء مع بعضهن بعض، فضلا عن الأزواج الشواذ الذين أصبحوا يتمتعون بنفس مزايا المتزوجين.

وساعدت عقيدة المساواة على استفحال ثورة الجنس، فالنساء الناجحات في أعمالهن سهل لهم الاستقلال المالي الطريق لطلب الطلاق ليمارسن الجنس بكل حرية، هؤلاء النسوة ربحن معركة المساواة لكنهن خسرن في الوقت ذاته أنوثتهن، حيث يلوح النساء والرجال في الغرب متطابقين برغم اختلافهما البيولوجي، يرتدون اللباس نفسه، وتسريحة الشعر ذاتها، ويرتادون النوادي والحانات نفسها.

ما يقلق "ألفريد هوفمان" موقفا بالغ السوء من خلال عدم التسامح الذي تبديه النساء العلمانيات مثل "رشا الدسوقي"، فإنهن يسعين إلى إجبار أخواتهن في العالم، خاصة النساء المسلمات على تبني أسلوب حياتهن ونظريتهن في الهوية الجنسية بغض النظر عن الثقافة والدين[1].

ونفهم من هذا أن "هوفمان" يُريد الإسلام كبديل لأنه ناقش منذ ظهوره قضايا الجنس ووضع تشريعاته الواضحة في كل الأمور، بما في ذلك المسائل المتعلقة بالجنس والزواج، وحرم الإسلام أي علاقات جنسية بين الرجل والمرأة خارج إطار الزواج، وهو يحافظ على النسل والنسب ويمنع تفشي الأمراض الجنسية الخطيرة.

فالنتيجة الحتمية التي آلت إليها الثورة الجنسية في الغرب هي تدهور الأسرة وانحطاطها كعامل أفضى بالحضارة الغربية إلى الانهيار، فالتلفزيون والأنترنت يفتن كل ليلة الرجال بالنساء الأُخريات والنساء بالرجال الآخرين، وبما أن الجنس بضاعة أصبحت تعرض في السوق، فإن الأسرة سوف تبحث عنه خارج بيت الزوجية مما يؤدي إلى تحللها وتفككها يقول هوفمان: "**الأطفال الذين تم تجاهلهم في عائلات مفككة،**

[1]– خواء الذات والأدمغة المستعمرة ، (م س) ، ص 76.

يبحثون عن أصدقاء في مكان آخر في عصابات، في طوائف دينية، كما لا ينبغي أن نتعجب عندما يصبحون فريسة سهلة للمخدرات بداية من شم الكلة وانتهاء بالهيروين"[1].

ونفهم من هذا القول أن الأسرة المسلمة هي الأنموذج، لأنها اتّسمت لعدة قرون بروابط قوية، غرس فيها الإسلام المعاني الايجابية مثل صلة الرحم والمودة بين أفرادها .

نحن نؤيد موقف هوفمان في حداثة أفضت إلى إفلاس المجتمع الغربي في مجالات عديدة: عقائدية، اقتصادية، اجتماعية، أخلاقية، وصدَّرت هذا الإفلاس إلى العالم قاطبة، بيد أن هذا لا يُسوغ لنا غض الطرف عن محاسنها العديدة، ذلك أنها ساهمت في ازدهار العديد من المجالات: اقتصادية وثقافية و تقنية، وأوجدت أسلوبا جديدا في الحوار والنقاش بين شعوب العالم وألغت الحدود بين دول العالم وأتاحت فرص عمل للعديد من الأشخاص وعززت التبادل التجاري بين دول العالم، هذا من وجهة، ومن وجهة أخرى المشكلة ليست في الحداثة إنما في الإنسان الذي لم يحسن التعامل معها، فهي سلاح ذو حدين: إجابي وسلبي.

ثالثا: الإيمان بالله

بعدما حلل " هوفمان" فلسفة الشيوعيين وفلسفة الحداثة وبين تهافتهما يرى أن الحل يكون في الإيمان بالله وفي الإسلام، لكن ليس الإسلام العقلاني الذي نُلفيه عند المعتزلة والفلاسفة أمثال ابن رشد(1126– 1198) وابن عربي(1165– 1240) بل الإسلام غير التخميني يقول:" الدين ليس مسألة إقامة دليل، بل هو مسألة إيمان"[2].

يعزو "هوفمان" انتشار الإسلام السريع في غرب إفريقيا إلى بساطة تعاليمه وابتعاده عن الأسرار الغامضة المعقدة يقول: " **حتى تكون مسلما عليك أن تُؤمن بإله منزه فعال– لأن هذا الكون لابد له من صانع يُقيمه– وإن الله أوحى لرسله أن يبلغوا**

[1]– خواء الذات والأدمغة المستعمرة ، (م س)، ص 77.

[2]– المصدر نفسه، ص 85.

البشر رسالاتهم، وختم رسلهم بمحمد. لذلك تشهد قائلا: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله "[1].

ويتضح لنا بوجه أدق أن " هوفمان" يدعو إلى الإسلام ويعرف به لمن لا يعرفه، لذلك ألقى محاضرات لا تعد ولا تحصى يشرح فيها مبادئ الإسلام والإيمان، وسافر من قارة إلى أخرى يشارك في المؤتمرات والندوات مبينا حقيقة الإسلام والإيمان ليدحض الخرافات والأباطيل التي كانت ولازالت تشوب العقل الغربي عن الإسلام والمسلمين، يقول في إحدى محاضراته:« أؤكد لكم أن المفهومين غير القرآنيين اللذان سادا في القرون الوسطى: دار الإسلام ودار الحرب، لا يلعبا أي دور في تفكير وخطاب المسلمين المعاصرين، ويروج لهما اليوم المستشرقون، وليس لهما علاقة بواقع المسلمين اليومي»[2]

ويريد" هوفمان" أن يكون همزة وصل بين الإسلام والغرب ليذيب الخلاف والتنافر والعداوة والحروب وسوء الفهم ويٌحل محلها الحوار والتفاهم والتعاون والتجاور" منذ اعتزالي من عملي كدبلوماسي في صيف 1994، أتجول كمحاضر متنقلا...في الغرب والشرق، من هلسنكي إلى كوالالمبور، من الرياض إلى لوس أنجيلوس، ومن الخرطوم إلى ليبزج في ألمانيا، حتى أساعد في شرح كل جانب للجانب الآخر، ولكي أقيم جسور من التفاهم بين الغرب والشرق، ولأساهم في إزالة مشاعر العداء التي يكنها كل طرف للطرف الآخر"[3].

وما يدل على أن الدكتور" مراد هوفمان" يدعو إلى الإسلام كتابه " الإسلام كبديل"، أي بديل للنظام الغربي والمسيحية المحرفة، فضلا عن ذلك يعتقد "هوفمان" أن الإسلام سيصبح الديانة الأكثر انتشارا في هذا القرن من خلال مؤلفه الموسوم " الإسلام في الألفية الثالثة، ديانة في صعود."

كما أن "هوفمان" دخل الإسلام في 25 سبتمبر1980 ووثّق ذلك في كتابه الأول" يوميات ألماني مسلم" يقول:" **نطقت بالشهادتين في المركز الإسلامي بكولونيا "لا إله إلا**

[1]– هوفمان مراد ألفريد، الإسلام كبديل،(م س)، ص 25.

[2]- - Murad Wilfried Hofmann, **Den Islam verstehen. Vorträge** 1996–2006 (Istanbul: Çağri Yayinlari, 2007), 270.

[3]– هوفمان مراد ألفريد، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، (م س)، ص 14.

الله محمد رسول الله"، واخترت لنفسي من بين الأسماء الإسلامية اسم مراد فريد. وأصبحت منذ اليوم مسلما. وهكذا بلغت مرادي"[1].

ثم يؤكد " هوفمان" أن الإنسان لا يمكن أن يهتدي من نفسه إلى الطريق الصحيح بدون الوحي، وقبل أن يصل إلى ذلك اطلع على الكثير من مؤلفات الفلاسفة من بينها عمل "ابن رشد" "تهافت التهافت"، حيث يلجأ فيه ابن رشد حسب "هوفمان" إلى استخدام أسلوب التهوين والانتقاص من حجم خصمه العلامة الشهير "أبو حامد الغزالي"(1058– 1111) ليهجوه.

وانزلق الفلاسفة المسلمين إلى التساؤلات نفسها التي حاكها أساتذتهم اليونان، وسلكوا مسلك أفلاطون Plato (427 ق.م– 347 ق.م) وأرسطوAristotle (384 ق.م– 322 ق.م) وبلوتينوس[2] Plotinus (204 – 270م)، وانبهروا بعلم الكونيات وتساءلوا عما إذا كان الله هو المحرك الأول؟ وعلة دوران الأجرام السماوية على النحو الذي تدور عليه وليس العكس ..

ويهاجم "هوفمان" أرسطو كونه كان سببا في انحراف الفلاسفة المسلمين أمثال "الفارابي"(874– 950) وابن سينا"(980– 1037) يقول :" **هل استولى أرسطو، هذا الثعبان، على عقول هؤلاء الفلاسفة المؤمنين فقصروا نظرتهم على الفلسفة في الماضي فحسب؟ أم أدركوا أن انخراطهم في البحث عن الدوافع الإلهية هو أمر غير مجد فضلا عن كونه كفرا؟ "**[3].

ومن هنا نلفي "هوفمان" يرفض التفسيرات المنطقية والعقلانية للفلاسفة ويَسمها بالميتافيزيقية كونها تفضي بنا إلى نتائج لا منطقية وغير يقينية، وهؤلاء الفلاسفة لم يبرهنوا إلا على مسألة واحدة وهي أننا لا نستطيع من خلال منطقنا الإنساني أن نصل إلى إدراك حقيقة المجهول بشكل يقيني يقول :" **وإذا كان لا وجود للماضي أو للمستقبل بالنسبة إلى الله (عزوجل)، وأن طبيعة وجوده تتمثل في الحضور الأزلي، وإذا كان**

[1]– هوفمان مراد ألفريد، يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص 74.

[2]– المصدر نفسه، ص 45.

[3]– المصدر نفسه، ص 46.

وجوده خارج حدود الزمان والمكان، فما الذي يمكننا أن نعرفه عنه حقا بتساؤلاتنا العقلانية أو اللامنطقية"[1].

وبذلك ينتهي "مراد هوفمان" إلى نتيجة مفادها أن القرآن هو السبيل الوحيد لمعرفة لغز الوجود، يقول: " **وإزاء لغز الوجود هذا فإنه حتى الحقائق المدركة بالحس مثل تلك التي نُدركها بالشم أو اللمس أو الرؤية، لا تزال مستغلقة على الفهم . وبعبارة أخرى لولا الوحي لظللنا عميانا** "[2].

وعلى هذا الأساس نلمس في تصور هوفمان جانب الانفعال السلبي الذي دفعه إلى الهجوم على أرسطو ووسمه بالثعبان وحمَّله وزر انحراف الفلاسفة المسلمين إلى درجة اعتبار أبحاثهم غير مجدية، فضلا عن أنها كفر، وهذا ما يؤاخذ عليه .

وليس من مهامه إصدار هذه الفتوى، فهذه الأخيرة لها مجالاتها ورجالها، كما أن الفلاسفة المسلمين ليسوا قصر حتى نُلقي اللوم على أرسطو في ما آلوا إليه، فهم مسؤولون عن تصوراتهم وإن كان لنا حقا في انتقادهم فهم من لم يُحسنوا التعاطي مع فلسفة أرسطو .

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا نتفق معه في قوله" الدين ليس مسألة إقامة دليل، بل هو مسألة إيمان، ذلك أن مسألة إيمان هوفمان تلغي هذه المقولة، فهو في جل كتاباته يؤكد عكس ما ذهب إليه، ذلك أنه شكك في عقيدة التثليث وبرهن على تهافتها واستند في ذلك على مقارنة المسيحية بالإسلام ليصل في النهاية إلى أن الاسلام هو الدين الحق ولم يطله التحريف، و فِعْلُ الشك والمقارنة والاستنتاج تكشف عن الجانب العقلاني الذي سلكه في إيمانه يقول معبرا على تناقضه :" **هل العمل بتصورات من مثل الانفجار العظيم، أو نظرية الأوتار الفائقة، أو فكرة الخلق الذاتي والتنظيم الذاتي للحياة، هو أكثر عقلانية من الإيمان بإمكانية وصول الرسالة المقدسة للجنس البشري**"[3].

---

[1]- هوفمان مراد ألفريد، يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص 46.

[2]- المصدر نفسه، ص 47.

[3]- هوفمان مراد ألفريد ، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، (م س)، ص 87.

كما نلمس العديد من الآيات القرآنية التي تُخاطب العقل مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمواتِ وَالاَرْضِ وَاخْتِلافِ اِلَيْلِ والنَّهارِ لَأيَاتٍ لِّأُولِي اِلأَلْبَابِ﴾[1]، هذه الآية تكشف أهمية العقل كطريق لمعرفة الحق جلّ وعلا. واستخدم القرآن أيضا أسلوب التوبيخ لأولئك الذين لا ينتفعون من العقل والفكر ولا يتذكرون الحقائق كقوله تعالى: ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَّكَّرُونَ﴾[2].

1- الإيمان بالرسالة

يعزو "هوفمان" الإيمان بالرسالة والنبوة إلى مقتضيات الإيمان بالله لأن حصول اليقين على وجود الله يستبعد إنكار النبوة، يقول: " **حاجة البشر للنبوة واضحة. مثلما رأينا، فقد وصل العلم إلى حدود لا يمكن تجاوزها إلا بمساعدة فروض نظرية لا يمكن التحقق من صحتها. هل العمل بتصورات من مثل الانفجار العظيم، أو نظرية الأوتار الفائقة، أو فكرة الخلق الذاتي والتنظيم الذاتي للحياة، هو أكثر عقلانية من الايمان بإمكانية وصول الرسالة المقدسة للجنس البشري** "[3].

فنلمس في قول هوفمان أسلوب السخرية من الفروض الخيالية التي أفضت بالعالم الغربي إلى التحكم في أسباب التقنية والتقدم، ذلك أن هذه الفروض غير معقولة وليست منطقية البتة وعلى رغم ذلك آمن بها العلماء وأضحت معقولة عندهم، بيد أنه عندما يعود الأمر إلى الرسالة أو النبوة أو الوحي تصبح أمورا أسطورية وخرافية عفا عنها الزمن، ومن يؤمن بها يَصفونه بالتخلف والرجعية، ويدعم "هوفمان" حقيقة الرسالة بآيتين من آيات القرآن الكريم الأولى قوله تعالى: ﴿ امَنَ اَلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُومِنُونَ كُلٌّ امَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[4] والثانية قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾[5].

ثم يُرجئ " هوفمان" المبادئ الأخلاقية السامية إلى السنة النبوية الشريفة التي تتسم بالشفافية وتتحلى بمضمون حقيقي وترسم الخطوط العريضة والرئيسية لجوهر

[1]- آل عمران، آية 190.
[2]- النمل، آية 62.
[3]– خواء الذات والأدمغة المستعمرة (م س)، ص 87.
[4]- البقرة، آية 285.
[5]- الأنعام، آية 91.

السلوك الإنساني المتشبع بالمسؤولية الاجتماعية، يقول:" **وهذا مثل واحد فقط من الأمثلة العديدة الدالة على تحول سنة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم إلى أسلوب حياة أمة بأسرها. وكنت كلما توغلت في دراسة مجموعة الأحاديث الضخمة، وخاصة التي جمعها وحققها البخاري ومسلم، تفتحت عيناي على حقائق سوسيولوجية جديدة، واكتشفت ما للإسلام من رصيد ثقافي**"[1].

ويقصد "هوفمان" بالمَثل آداب الاستئذان للدخول إلى بيت الغير، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الاستئذان ثلاث، فإن أُذن لك وإلا فارجع»[2]، فالملاحظ أن "هوفمان" عندما يذكر اسم النبي(571– 632) يصلي ويسلم عليه إعجابا وإجلالا بسنته الرشيدة. ويقصد بالحقائق السوسيولوجية الجديدة الأسس النفسية لعلاقات الناس والطريقة التي يستجيب بعضهم ببعض، وهذا ما لاحظناه في السنة النبوية وكاد ينعدم في الديانة المسيحية إذ عبر عنه "هوفمان" بحقائق سوسيولوجية جديدة.

2- الإيمان بالقرآن

يعتقد "هوفمان" أن العديد من الناس يستميلهم القرآن عند أول قراءة، ومنهم من لا يحرك فيه ساكنا، فهو يعتبر الإيمان هبة من الله، ويسوق بعض الأدلة الفكرية والجمالية لبيان المصدر الإلهي للقرآن منها:

- الأساليب اللغوية المتفردة للقرآن موازنة مع الشعر العربي والنثر قبل الإسلام.
- الانسجام بين المضمون والصوت مما يجعل التركيب مثيرا للدهشة.
- عدم التفاضل بين النص القرآني في جدّته وقداسته.
- الترابط الداخلي والتطابق في المضامين حتى مع الاكتشافات العلمية الحديثة، والقرآن هو النص المقدس الوحيد المنزه عن كل الأخطاء التاريخية والعلمية.
- صدق أخباره بالغيب والمستقبل.
- نفاذه في النفس البشرية وقيمه السامية المتجاوزة لتخوم الزمان والمكان.
- عالميته التي لا تفضل أحدا على أحد إلا بالإيمان والعمل الصالح[3].

[1]– هوفمان مراد ألفريد، يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص 64.

[2]- رواه البخاري 5891، ومسلم 2153.

[3]– هوفمان مراد ألفريد ، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، (م س)، ص 88.

ويرى هوفمان أنه لا يوجد بيان قرآني واحد لا يمكنه الصمود بصلابة للتمحيص العلمي؛ سواءً أتعلق الأمر بالحقائق الكونية أم الوراثية وأعماق البحار، عكس الكتاب المقدس المليء بالتناقضات في إثبات الحقائق من تسلسل الخلق وتواريخ بعض الأحداث المتعلقة بالمسيح.

ولا يرضى هوفمان عن بعض المعجبين بالقرآن الكريم، عندما ربطوا بينه وبين النتائج العلمية الحديثة، ويعزو السبب في أن نتائج العلم معرضة للتغيير والتعديل، في حين أن القرآن الكريم هدفه الأول الحقائق المتعلقة بأصول الدين؛ لا يمكن أن يكون القرآن ملخصا لعلوم الفيزياء والأحياء والكيمياء[1].

وبعد هجمات 11 سبتمبر2001، وجد المسلمين أنفسهم متهمين بشكل متزايد بالفشل في تنويرهم؛ يُسارع هوفمان إلى نشر مقالٍ يتصدر المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية (AJISS)، موسوما: هل فقد الإسلام تنويره؟ Has Islam Missed Its Enlightenment؛ لإفحام المجتمع الأمريكي بأن الإسلام بريء من التهم التي تلفق له براءة الذئب من أكل النبي يوسف، ومُحاججا ضد الذين رموا الإسلام بالهمجية والتعصب وبالفشل في التنوير.

ويُقارن هوفمان بين التنوير في الحضارة الغربية والتنوير في الحضارة الإسلامية؛ لينتهي إلى أن التنوير الحق والأصيل هو الذي يستجيب لنداءات **القرآن** الكريم في جميع ميادين الحياة « **إن المفهوم الشامل للتنوير هو العقلانية المجسدة في جميع جوانب الحياة: السياسة والاقتصادية والاجتماعية والفلسفية والدينية؛ وإذا كان الأمر كذلك، فإن الإسلام هو الدين المستنير بامتياز والمستجيب لنداءات القرآن المتواصلة بالملاحظة والتأمل واستخدام عقل المرء وحساب المزايا والعيوب. وفي الحقيقة القرآن هو الكتاب المقدس الوحيد الذي يدعو إلى مثل هذه النداءات**»[2].

[1]- يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص ص 179- 180.

[2] -Murud Wilfried Hofmann, **American Journal of Islamic Social Sciences**, volume 19, number3, summer 2002, p 4.

رابعا: الختان

رغم ما يدعيه الغرب من ادعاءات مغرضة يروّج فيها أن الختان اعتداء صارخ لا إنساني على أجزاء حساسة من جسم الطفل بطريقة همجية ووحشية، إلا أن هوفمان لا يأبه لذلك، ويفرد له عنوانا في مؤلفه "يوميات ألماني مسلم"؛ حتى يجلي الصورة القاتمة التي رسمها دعاة التحرير ضد الختان.

كما يرى هوفمان أن الختان لم يشر إليه القرآن، والسنة النبوية أقرته لما يحمله من فوائد صحية حميدة للإنسان إلى جانب قص الشعر وتقليم الأظافر، ويعود الختان إلى عهد النبي إبراهيم؛ أي منذ حوالي 3000 سنة[1].

ونفهم من هذا أن عدم إشارة القرآن الكريم للختان كشريعة بالنسبة لهوفمان ربما سببه يعود إلى شكه في الكتب السماوية الأخرى من منطلق اتباع لعقيدة اليهود التي طالها التحريف؛ لأن بعضها ذكر أن الختان أمر إلهي، عكس ما ذهب إليه هو: **«أوضحت التوراة الحالية بغض النظر عن صحتها أن ختان الذكور بدأ كشريعة قبل بعثة موسى عليه السلام أي قبل اليهودية كدين. فأول أمر إلهي بالختان كان لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام»**[2].

كما يُشير إنجيل برنابا إلى أن الختان قام به آدم عليه السلام لما عصى ربه نذر أن يقطع من عضوه قطعة وأصبحت فيما بعد سُنّة لأبنائه، وأكدت بعض البحوث على وجود رسم على جدار يعود تاريخه إلى عام 2400 قبل الميلاد يُمثل صبيا يقف خلفه رجل يمسك بمعصميه، بينما ينحني الكاهن لختانه[3].

خامسا: الحجاب

يشيد "مراد ألفريد هوفمان" بالدراسات التي اضطلع بها الكثير من المفكرين التي صححت صورة الإسلام في الغرب ويأتي على رأسهم البروفيسور" إدوارد سعيد" في مؤلفه الموسوم بالاستشراق و"محمد أسد" و "زيغريد هونكه" Sigrid Hunke (1913 –

---

[1]– يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص 137.

[2]– السيد أبو غضة زكي علي ، **الحجاب والختان والعفة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر**، بدون ذكر الطبعة ودار النشر، ص htt://kotob.has.it/.151

[3]– د.محمود الحاج قاسم محمد، **تاريخ الختان عبر العصور**، بتصرف، أطلع عليه يوم 2019/10/16، على: 7سا و16د، من الموقع التالي: /https://www.baytalmosul.com

1999) ، ومن جملة الصور المشوهة في الغرب تلك الصور التي رسمها الغرب حول حجاب المرأة المسلمة، فهو يرسم صورة شهوانية للحجاب، ولا يرضى أن يكون ارتداء الحجاب دليلا على الإيمان الفردي أو العفة وانما يضفي عليه طابعا سياسيا(رمز سياسي)، بيد أن "هوفمان" يرفض هذه الكليشيهات التي يفبركها الغرب ويؤكد بأنه رمز للعفة والاستقامة والأخلاق يقول: " **من الخطأ، أن يتصور البعض أن ارتداء الملابس الإسلامية المحتشمة، بما في ذلك غطاء الرأس، أمر يفرضه على النساء أزواج غيورون ..فمن ترتدي الحجاب، إنما ترتديه ابتغاء مرضاة الله وفي طاعته، ولكي يعرف عنها الاحتشام والوقار. والمسلمات الألمانيات خير دليل على ذلك. فالعديد منهن اهتدين إلى الاسلام بمفردهن، ودون أن يكون في أسرهن رجل واحد مسلم. ولكنهن يتعرضن مع ذلك لمضايقات في الحياة العامة، إذ يتندر عليهن البعض بسبب ما يرتدين من ثياب، أو ينظر إليهن بعين ملؤها الشك**"[1].

ويحلل هوفمان تاريخ الحجاب مبتدئا بصدر الإسلام حتى العصر الفيكتوري ويستشهد بالنص القرآني ويقارن بين آيات الحجاب، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾[2] وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَقُل لِلْمُومِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنَ اَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوَابَآئِهِنَّ أَوَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوَابْنَآئِهِنَّ أَوَأَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوِاِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتَ اَيْمَانُهُنَّ أَوِ اِلتَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي اِلاِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ اِلطِّفْلِ اِلذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[3]، الأولى تختص بمناسبة تاريخية وهي الفصل بين شؤون الدولة وحرمة عائلة النبي[4]، أما الثانية مؤداها أن على النساء ألا يكشفن إلا ما ظهر من زينتهن، ويستسيغ هوفمان هذا التشريع ويعده أمرا معقولا جدا يقول:" **بخصوص حجاب المرأة، يتتبع القرآن في كل حضارة ما يثير الرجل في**

[1]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص 103.
[2]- الأحزاب، آية 53.
[3]- النور، آية 31.
[4]- الإسلام كبديل،(م س)، ص 138.

المرأة، ويأمره بستره، ولذلك جاءت –عمدا– عبارة << إلا ما ظهر منها>>* غامضة، ذات دلالة متغيرة، لتلائم التغيرات الأخلاقية والاجتماعية"[1].

ومن نظرة هوفمان إن قضية الحجاب تتعقد وتحدث زوبعة إعلامية وسياسية عندما تتصادم الحضارات، كالذي حدث في فرنسا، فالنساء اللائي عشن في مجتمع إسلامي يأمر المرأة بارتداء الحجاب منعا للفتن، إذا مارسن هذا السلوك داخل مجتمع آخر* لا يرى ذلك.[2]

ويذكر هوفمان أن الحجاب ظهر قبل فجر الإسلام عند المصريين القدماء والبزنطيين والفرس بين سيدات الطبقة الأرستقراطية، كما أن الفتيات الأوروبيات ارتدت نوعا من الحجاب إلى جانب الراهبات المسيحيات، بل إن بعض اليهوديات الملتزمات يرتدينه يقول:" **لا يمثل ارتداء الحجاب رجعة للبدوية القديمة، بل هو رمز لاحتجاج اجتماعي على أسلوب الحياة المعاصرة في الغرب**"[3].

ومما يُلاحظ أن هوفمان يُحلل تاريخ الحجاب ويبرز فوائده على المرأة وعلى المجتمع، غير أنه لم يقدم حلا للمشاكل التي تُعانيها المرأة في الغرب جراء ارتدائها الحجاب، وهذا ما نلمسه عند المُهتدي الأمريكي جيفري لانغ، تتألم مسلمة أمريكية الأصل من تلقيها نظرات غاضبة من الناس ومضايقات ضد أطفالها وعُوملت كأنها أجنبية بسبب تحجبها، حيث ينصحها جيفري وينصح أيضا السيدات الأمريكيات اللاتي يُؤلمهن ذلك، إذا كنت ترين أن الحجاب يضر بدينك أكثر مما ينفع الدين، وإذا كان يُشكّل عبئا لا تستطيعين تحمله، فإن ذلك لا ينقص ولا يقلل من دينك﴿لاَ يُكَلِّفُ اَللَهُ نَفْسًا اِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[4]، ويستطرد جيفري ذاكرا بأن المتشددون الذين يُلحون بعناد على ضرورة تحجب المرأة المسلمة في أمريكا لم يكن لديهم الشجاعة يوما ليفحصوا الدين الذي وُلدوا فيه فحصا نقديا ويمحصوا كذلك الإضافات الثقافية التي تتماشى معه وبعد ذلك يُعربون

*يعتبرون << إلا ما ظهر منها >> الوجه والقدمين.

[1]– الإسلام كبديل، (م س) ، ص 139.

* مُنعت تلاثة فرنسيات من دخول الكوليج في بداية السنة الدراسية بسبب الحجاب، وأحدث ذلك نقاش قومي فرنسي وحرك الرأي العام، وبعدها سمع وزير التعليم الفرنسي لهن بارتداء الحجاب أثناء الدراسة، لكن ليس في حصة الألعاب.

[2]– الإسلام كبديل، (م س) ، ص 139.

[3]– المصدر نفسه، ص 140.

[4]- البقرة، آية 286.

للملأ رفضها كما فعلت أنت، إضافة إلى تجربة أنواع مختلفة من الحجابات تقترب من المشهد النسائي الأمريكي وفي الآن ذاته تحافظين على كونك امرأة مسلمة متواضعة ومثقفة[1].

سادسا: التصوف

رفض هوفمان الكثير من المزاعم الصوفية، من بينها تحبيذ أسلوب اللاعقلانية على العقلانية للظفر بالحضرة الإلهية، ذلك أنه لا يمكن التحقق من مزاعم الصوفية، إذ يلوح لهم رؤية أشياء بحواسهم الباطنية لا يقدر الإنسان العادي على بلوغها، وهم بهذا المسلك يسعون إلى تأسيس نخبة دينية متميزة، يقول:« **لا توجد طريقة للتحقق من الحقيقة الأنطولوجية حول ما يعتقد الصوفي أنه قد أبصره بعينه الباطنية، أو سمعه بأذنه الباطنية**»[2].

ومن الصعب موافقة هوفمان فيما ذهب إليه، ذلك أن التصوف ذو طابع عملي أخلاقي هدفه تخلية النفس من الرذائل والمحرمات ثم تحليتها بالفضائل وتوطينها على الأوامر الشرعية فهو باختصار مجاهدة وتقوى واستقامة؛ ولم يفصل المتصوفة السنيون بين الحقيقة والشريعة، ومن هنا ندرك سبب الهجوم المستمر للجنيد المتصوف السني على الحلاج الذي يدرج ضمن التصوف الفلسفي، يقول الجنيد:« **إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر إلا أن يحال بي دونها**»[3].

وربما يتقصد هوفمان التصوف الفلسفي الذي يميل إلى الميتافيزيقا، الفاصل بين الحقيقة والشريعة والمُسقط للأعمال والتكاليف، وينطوى على شطحات مثل وحدة الوجود والحلول والأسرار، يقول الحلاج:

كفرت بدين الله والكفر واجب لدي، وعند المسلمين قبيح

---

[1]- جيفري لانغ، **ضياع ديني، صرخة المسلمين في الغرب**، تر: إبراهيم يحيى الشهابي، دار الفكر دمشق 2008، ص ص291- 292.

[2] - Hofmann Murad wilfried, **Journal d'un musulman allemand**. Ed. la porte.rabat.maroc. 1992. P. 106.

[3]- القشيري عبد الكريم، **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، دار الجبل بيروت، ط 2، ص 430.

سابعا: الفن الإسلامي

يندهش هوفمان وينبهر من الفنون في البلاد الإسلامية، فالدين الإسلامي يتمتع بقدرة عجيبة على ترجمة جوانب العقيدة إلى قيم جمالية رائعة؛ وهو ما يلاحظه المرء في مباني غرناطة وباحة قصر الحمراء أو في بنايات المساجد المميزة في قرطبة والقيروان واسطنبول والقاهرة ومنطقة الحرم في قلب مكة.

ويعزو هذا إلى عدة عوامل منها:

- الواجهة الإسلامية الخارجية تتمتع بالبساطة، كأنها امرأة مسلمة تغطي نفسها بالحجاب عندما تغادر دارها.
- الطابع الديمقراطي اللاطبقي للإسلام الذي يطغى على أماكن العبادة.
- الدرجة العالية من التجريد؛ التي تتساوق مع تنزيه الله عن الوصف عند المسلمين.
- الأبعاد الإنسانية في تكوين النسب المعمارية، والتي تعكس وسطية الإسلام في تناول كل الموضوعات.
- خلو أماكن الصلاة من الجو السحري الموحي بالأسرار والغموض[1].

ويريد هوفمان من خلال تأمله للعمارة الإسلامية أن يُفحم الغرب بأن الإسلام ليس مجرد دينٍ منغلق على نفسه؛ يعنى بالطقوس الدينية والمبادئ الأخلاقية، لكنه يهتم أيضا بالفن والجمال والصور والبناءات المتجلية في القصور والحصون والقلاع والقبور والمآذن والنفورات وفن عمارات القباب والأقواس، إضافة إلى الخط العربي المزخرف، ولذلك فالإسلام يتميز بقدرة عجيبة على ترجمة جوانب معينة من العقيدة إلى مبادئ جمالية كأن ترمز إلى تعلق عقيدة المسلم بالسماء وارتباطها بالخالق.

غير أن هوفمان لم يعرض إلى الجدل القائم في المجتمعات الإسلامية بشأن علاقة الفن بالتجسيد مثل الصور والنقش والنحت وعلاقة ذلك بالعقيدة وأسباب عزوف المسلمين عن الاشتغال في ميادين الفن.

[1]- هوفمان ويلفريد، يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص 23.

ثامنا: المرأة في الإسلام

يرى هوفمان أن النساء الغربيات هن أعدى أعداء الإسلام، والسبب في ذلك هو الاعتقاد غير الصحيح الذي يروج بأن الإسلام هو دين الرجال، وتقبع المرأة في الدرجة الثانية بعده في أفضل الحالات، وتمضي في حياتها وضيعة ذليلة مستعبدة لا ترى النور.

ويؤكد هوفمان أن هذا الاعتقاد لم يظهر صدفة إنما ترسخ نتيجة طغيان هواجس السيطرة من طرف الرجال المسلمين على المرأة، أوّلوا الوحي والسنة منذ حوالي 1420 سنة بحسب أهوائهم. بيد أنه لو تمتعت المرأة بالحقوق التي خوّلها لها الإسلام في القرآن الكريم، لما تواجد هذا الاعتقاد الخاطئ[1].

لا نزاع فيما ذهب إليه هوفمان، من أن المرأة المسلمة عانت الأمرين في أنظمة إسلامية جائرة وأُنزلت إلى منزلة الحيوان في بعض الأحاديث بغض النظر عن صحتها أو ضعفها؛ مثل الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم وأبو داود وابن خزيمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **يقطع صلاة الرجل إذا لم يكن بين يديه قيد آخرة الرحل الحمار والكلب الأسود والمرأة فقلت ما بال الأسود من الأحمر من الأصفر من الأبيض فقال يا ابن أخي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال الكلب الأسود شيطان**»[2]، ولا شك أن هذه التسوية ترتبط بحكم معين هو قطع الصلاة، أي إن الحديث لم يساوي بين الحمار والكلب والمرأة في المرتبة وإنما في حكم المرور بين يدي المصلي.

والسنة غنية بالأحاديث التي أسيئ فهمها والتي تعيب المرأة وتُنقص من شأنها، ناهيك عن الإسرائيليات التي ترمي إلى كسر شوكة الإسلام من خلال المرأة وتبث السموم في نفوس المسلمين إلى جانب هذا نلفي أحاديث كثيرة تذود عن المرأة وترفع من شأنها وتستوصي بها خيرا.

[1] – هوفمان، مراد ويلفريد، **نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث**، الرياض السعودية، مكتبة العبيكان، 2003، ص 67.

[2] – القسي مروان إبراهيم، **المرأة المسلمة بين اجتهادات الفقهاء وممارسات المسلمين**، دار الفضيلة، ط 2، 2000، ص 149.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نؤكد أن المرأة الغربية ليست بمنأى عن الضيم والعنف والقهر الذي يُلحقه الرجل بها، وتزخر المجلات والجرائد الغربية بأخبار النساء اللواتي يتعرضن للضرب والعنف والقتل من قبل أزواجهن أو أصدقائهن.

تاسعا: الإسلام والديمقراطية

يذكر هوفمان أن التاريخ الإسلامي يشهد على وجود مُؤشرات للسلوك الديمقراطي، لهذا يجب العدول عن التظاهر بأن الإسلام لا يتوافق مع الديمقراطية، والخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كانوا رؤساء لدولة إسلامية بالانتخاب أو الشورى أصلا، والرسول الكريم ملتزم بالنهج مسبقا.

ويستطرد هوفمان أنه لا ينبغي أن ننسى أن الديمقراطيات الغربية ليست ديمقراطيات بالمعنى الحقيقي؛ لأنها لا تترك كل شيء للأغلبية كما أن الدساتير الغربية تنطوي على نصوص من المستحيل تبديلها والديمقراطيات الإسلامية هي أيضا لا تُخوّل للبرلمان صلاحية مطلقة لمواجهة دستور الأمة من قرآن وسنة، فالديمقراطية عقائديا فكرة وحقيقتها تفكير آخر وهذه المعضلة يُعاني منها غالبية المسلمين وغيرهم[1].

ويحذو مالك بن نبي الحذو نفسه من فكر هوفمان في إجابته على سؤال هل توجد ديموقراطية في الإسلام؟ « **لا يتعلق ضرورة بنص فقهي من السنة والقرآن الكريم، بل يتعلق بجوهر الإسلام عامة، فلا يجب أن نعد الإسلام دستورا يعلن سيادة شعب معين، يصرح بحقوقه وحرياته، بل ينبغي أن نعتبره كمشروع ديموقراطي، تفرزه للمبادئ العامة التي أقرها الإسلام وغرسها في الوعي الإسلامي**»[2].

ونفهم من قول مالك بن نبي أن الإسلام كان سباقا للغرب في تكريس فكر ديموقراطي سليم يتجلى في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وسيرة الخلفاء الراشدين.

وفي نظري إن ما جاد به الإسلام من مبادئ وقيم وحقوق للإنسان يفوق ما أفرزته الحضارة الغربية من أنظمة ونماذج سياسية؛ لأنه بمرور الزمن يكشف الواقع عن بروز ثغرات وعيوب لهذه الأنظمة، والمسلّم به أن الإسلام يرتكز على الشورى

[1]- هوفمان، مراد ويلفريد، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، (م س)، ص ص 76- 77.

[2]- مالك بن نبي، **تأملات**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، 2002.، ص 76.

في الحكم وهو مبدأ ألزم به القرآن الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[1].

فقد عمل الرسول الأكرم بهذا المبدأ، فكان يُشاور أصحابه في مختلف المسائل وعلى الخصوص مسائل الحرب والاقتصاد والسياسة، والشورى يختص بها مجلس يشبه اليوم البرلمان يدعى" أهل الحل والعقد"، وهؤلاء ينبغي أن يتمتعوا بخصال دينية وعلمية وعقلية وأخلاقية تُؤهلهم للاستشارة وهم لا يُنتخبون وإنما يعينون بصورة تلقائية والحاكم ليس مُلزما في الأخذ بآراء الاستشارة.

مما سبق يَظهر أن الحكم الديموقراطي الحديث يختلف عن الحكم الشوري في أصوله إلا أنه لا يتعارض معه من حيث الهدف.

عاشرا: الإسلام وحقوق الإنسان

يُقر هوفمان أن القرآن الكريم يزخر بالآيات التي تكفل كل الحقوق الأساسية للإنسان، والفقه الإسلامي لا يفرق بين صاحب نفوذ ومرتبة اجتماعية وعموم الناس، كما أن المسلمون يرفضون فكرة البشر يسنون القوانين والحقوق بل الله هو الذي يهبها للناس، ولذا فالإسلام نصير حقوق الإنسان[2].

وقد حرص الإسلام منذ البواكير الأولى من ظهوره على رسم حقوقٍ للإنسانية يكفل لها السعادة والطمأنينة إذا ما هي التزمت بمنهجه القويم، وبين لها طريق التردي والانحطاط إذا ما هي حادت عن منهجه ودستوره.

وتعتبر الحقوق التي جاء بها الإسلام بمثابة فتح جديد على تاريخ الإنسانية، بعدما عانت قروناً طويلة من الحيف والظلم، ومن أبرز الحقوق التي أقرها الإسلام مبدأ المساواة الذي لا يفاضل بين الناس إلا على أساس التقوى والعمل الصالح، ومنح للإنسان حق الحياة فجرم الإجهاض إلا في حالات نادرة، كما وضع حقوقا للطفل كالرضاعة وأعطى الحرية الفكرية للناس وألزمهم بها حيث نص القرآن الكريم في آيات كثيرة تدعوا الناس إلى إعمال فكرهم وعقولهم، وفيه آيات أخرى تُعاتب الإنسان الذي يُعطل فكره ويتبع ما وجد عليه آباءه ومجتمعه من أوهام وضلالات.

---

[1]– آل عمران، آية 159.

[2]– هوفمان، مراد ويلفريد، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث (م س)، ص 77.

كما أقر الإسلام حرية العقيدة ونهى إكراه الناس على إدخالهم الإسلام عنوة وغلبة يقول عز ّوجل:﴿ **لَآ إِكْرَاه فِي اِلدِّينِ**﴾[1]، ناهيك عن حرية التملك، والحرية المالية وحرية التعلم.

[1]- البقرة الآية 256.

المبحث الثاني: التدين وجدلية النظري والعملي

******

لا قيمة لدين المرء بعيدا عن التدين ولا يكفي أن يكون المرء مسلما بأفكاره بل يصير مسلما من خلال سلوكاته، حيث حال مراد هوفمان قبل أن يتغير جذريا ويستجيب لنداء القرآن ويُشبع لهفه الروحي.

أولا: الصلاة

أكد هوفمان على أنه لا شيء يعصف بإسلام المرء ويوُقعه في النقض إلا انقطاع صلته بربه ومن أهم واجبات المرء حيال ربه أداء الصلاة.

يشبه هوفمان علاقة الاتصال بين الإنسان وربه كمن يؤكد لامرأة غائبة حبه لها، لكنه لا يتصل بها عبر الهاتف ولا يفكر في مراسلتها أو أن ينظر ولو مرة واحدة في صورتها طوال اليوم، فهو في حقيقة الأمر لا يحبها، وهذا ما يصدق على الصلاة. فمن يدرك المعنى الحقيقي لوجود الله، لا ينفك عن التأمل و التوجه إليه كثيرا، ومن ثم يضحى تكرار المسلم لعبارة:﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[1] حقيقة ملموسة يقول:« **فإن من لا يصلي ليس بمؤمن من وجهة نظري**»[2].

وبما أن هوفمان كان حديث عهد بالإسلام لم يكن يعرف كيفية أدائه للصلاة، ناهيك عن حفظ القرآن والتلاوة باللغة العربية ومجريات الغسل والوضوء، لهذا بادر إلى تلافي هذا النقص بالوقوف على تعلم شروط الصلاة و قواعدها وفرائضها وسننها ونواقضها وما يلحق بمقتضياتها؛ قال: « **طلبت من صديق تركي أن يعلمني الوضوء وكيفية الوقوف في الصلاة، والركوع، السجود، والجلوس على الأرض مستندا على اليد اليسرى، ورفع الذراعين، واتجاه النظر، ومتى يقرأ المرء جهرا، ومتى يقرأ سرا مع تحريك الشفتين في القراءة، وكيف يقف المرء موقفا صحيحا أمام الإمام، وكيف يتصرف المرء عندما يأتي متأخرا إلى المسجد، وكيف يتحرك داخل المسجد. إنه علم كامل، وفي الحقيقة فإنه من الخطر أن يتصرف المسلم كمسلم دون أن يكون كذلك** »[3].

---

[1]- الفاتحة، آية 5.

[2]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص 41.

[3]- المصدر نفسه، ص 42.

فكل النقائص التي سلف الإشارة إليها، استدركها هوفمان في زمن قياسي، وهذا يكشف صدق نيته، ومدى شوقه وشغفه للتدين والتقرب إلى الله، مما حداه إلى الاستفسار عن عدد الركعات في كل صلاة وأن يدرك مواقيتها وما ينبغي على المسافر أن يراعيه من أحكامها.

وتعلم هوفمان كيفية الاصطفاف مع المصلين في صف واحد مستقيم تتلاصق فيه الأقدام وتسد فيه الثغرات وكيف يرمز هذا التلاصق إلى التضامن بين المسلمين إلى الحد الذي أثر فيه وبالخصوص مد جارك في الصلاة يده مصافحا يدك متمنيا لك أن يتقبل الله صلاتك[1].

كما يشيد هوفمان بفضل صلاة الجماعة على الصلاة الفردية، بيد أنه يُحب أداة الصلاة بمفرده حتى يستطيع الاسترسال فيها والتحكم في إيقاعها حرصا على توفير التركيز والهدوء التام الذي يجلب له السكينة والطمأنينة في حين الصلاة إذا ما أُجريت في المسجد تطغى عليها العجلة، إما تيسيرا على المرضى أو مراعاة لمن يكونون في عجلة من أمرهم[2].

ويروي هوفمان أحداث واقعة جرت له في أمريكا بالمركز الإسلامي رقم 850 شارع ديفيزاديرو، حيث اقتضت الظروف بأن يصلي بالناس إماما، إذ دعته الجماعة للقيام بذلك، واندهش من المعرفة الضحلة لأعضاء المركز بقواعد الصلاة وسننها، فكان المؤذن يبدأ بالإقامة قبل الآذان، والقبلة لم تكن موجهة توجيها صحيحا نحو مكة، مما اضطره إلى تصحيح الغلط بأسلوب لا يدعو إلى الحرج[3].

ثم يستاء هوفمان من النهج المتبع في خطبتي الجمعة، المرتكز على مخاطبة المشاعر أكثر من مخاطبتها العقل، وبدل أن تعمق فهم المؤمنين، فهي تكرر ما يؤمنون به، وبناءًا على خبرته لسنوات طويلة بصلاة الجمعة، فهي للأسف لا تحقق الهدف المنشود منها؛ ويتجلى ذلك في نبرة وصراخ بعض الخطباء، وكأنهم يُعبئون حماسة جيش لخوض معركة[4].

---

[1]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص 43.

[2]- المصدر نفسه، ص 44.

[3]- المصدر نفسه، ص ص 44- 45.

[4]- المصدر نفسه، ص 45.

ويدرك هوفمان تمام الإدراك أن جوهر الصلاة هو ذكر الله ودعائه والتحلل منه– الدعاء– يصير نوعا من نقص في الإيمان كما أن الدعاء ليس له مكان أو زمان أو لغة، فالمرء في دعاء دائم لله، والصلاة واحدة سواءً أداها المسلم في مسجد شيعي بهامبورج أو بمسجد مشيد بالطوب بالمغرب أو بالمسجد الأموي في دمشق بفسيفسائه المبهرة، وهذه الوحدة في الشكل تُؤمن الهدوء والطمأنينة المطلوبين للظفر بالتركيز الكامل[1].

وتنطوي الصلاة في الإسلام على بعد مادي ملموس، إضافة إلى جانبها الروحي، ناهيك عن بعد سياسي محتمل يتمظهر في كيفية الجلوس، إنها تفيد في علاج التوتر والتوقف عن التفكير والاسترخاء وتساعد الانسان على التحرر الداخلي من سحر المال والجاه والمنصب؛ فالمسلم الذي يحق إسلامه صلاتة وقاية له من أمراض العصر المتجلية في الضغط والتوتر والأرق[2].

ونفهم من هذا أن الصلاة في الإسلام علاج مادي وروحي، فهي تبث السكينة في نفسية المؤمن وتخلع على حياته النظام والرضى والتحرر، كما الإنسان المعاصر الذي تخلُو حياته من الصلاة الإسلامية يحيا في تسارع وصراع مع الحياة، فالوتيرة السريعة التي تمضي بها الحياة المعاصرة تُرهق الإنسان، وتولد في نفسيته الهواجس والأوهام، مما يصرفه إلى تناول الأقراص المنشطة والمخدرة والتدخين ومعاقرة الخمرة وقد يزيد الضغط فيُتوج بالانتحار.

وعندما تعرض هوفمان للحملة الشرسة، المشحونة بالحقد والكراهية من طرف وسائل الإعلام لقاء إيمانه لم يكترث بالأمر، ووجد عزاءه في الآية الخامسة من سورة الفاتحة:﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[3].

وقد حوّلت الصلاة هوفمان إلى إنسان هادئ غير قلق بل صارت حياته متآلفة تبعا لمواقيت الصلاة، فعندما يواعد شخصا أو جماعة إنما يواعدهم إما بعد صلاة الظهر أو قبل صلاة المغرب. وكان دائما يحمل معه سجادته للصلاة، وبوصلة تحدد اتجاه القبلة « **ومجمل القول إنني وجدت عبر الصلاة تلك الطمأنينة والتحرر الداخلي**

[1]– الطريق إلى مكة، (م س)، ص 47.

[2]– المصدر نفسه، ص 48.

[3]- الفاتحة، آية 5.

الذي ينتزع المسلم من الضغوط كافة، لأنه يستطيع أن ينتزعه من عالم يقاس الوقت فيه بالمال، والمال فيه هو كل شيء»[1].

نحن نوافق هوفمان في أن ترك الصلاة علامة على نقض إيمان المرء، لكن لا نقبل منه التمثيل الذي مثل به علاقة الإنسان بربه –حب المرأة وعدم الاتصال بها–، ذلك أن الاتصال بين الإنسان وربه يقوم على أساس روحي خالص، اتصال قدسي، يتسم بالصدق والوفاء وإعطاء الله حق قدره.

ويدين المسلم في وجوده إلى الله فهو لم يخلق نفسه، بل منَّ الله عليه بهذه النعمة، ورعاه رعاية شاملة مذ كان نطفة إلى أن يغادر هذه الحياة؛ لهذا تكون صلته به اعترافا بسلطانه وشكرانا لنعمه، أما علاقة إنسان مع امرأة لا تعدو عن إشباع شهوة أو فوز بحياة عائلية تُؤمن له السعادة.

أما قوله: « **فإن من لا يصلي ليس بمؤمن من وجهة نظري**»[2]، قول مردود، لأن علاقة الصلاة بالإيمان ليس له علاقة بوجهة نظره، بل يُعزى إلى أوامر الله، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَذِينَ ءَامَنُوا اَرْكَعُواْ وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[3]. ومعنى هذا أن الإيمان قول وعمل، من خلال أداء الفرائض والأركان، أهمها عبادة الصلاة.

ورغم أن هوفمان أشاد بصلاة الجماعة، إلا أنه يُؤْثر أداءها بمفرده، كي يسترسل فيها وينعم بالسكينة والهدوء، مما يُؤاخذ عليه، لأن ما فرضه الله جل وعلا على المؤمنين أمر واجب لا اجتهاد معه، وليس من الممكن فسح المجال لهم لاختيار ما يحبون أو يسترضون إلا بموجب عذر شرعي يوجز ذلك. وبإمكان المسلم تخصيص صلاة خاصة به بعد انقضاء صلاة الجماعة يسترسل فيها ويتحكم في إيقاعها كيف شاء، ويستمتع بالهدوء والسكينة.

فصلاة الجماعة تحقق التواصل والتلاقي بين المسلمين، وتفضي إلى التآلف والمودة بين القلوب وتعزز قوة المسلمين وتحفّزهم على العمل الصالح.

---

[1]– الطريق إلى مكة، (م س)، ص 49.

[2]- المصدر نفسه، ص 41.

[3]– سورة الحج، آية 77.

ويبدو من خلال قول هوفمان أن صلاة الجماعة تطغى عليها العجلة، فهو غير مطلع تمام الإطلاع على أحكام الإمامة، أو ما يسمى بشروط الإمام في الصلاة، ومن أهمها:

تخفيف الصلاة مع الكمال والتمام؛ إذ من المصلين الضعيف والمريض والمسنُّ والمسافر، فلا يُطيل ويُتعب المصلين ولا يُوجز فيها أو يعجّل، ويحرص على تحقيق الاطمئنان مع مراعاة مصلحة المأمومين بما لا يخالف السنة في ذلك.

ويقصد هوفمان من البعد السياسي للصلاة حركاتها وهيئاتها من قيام وركوع وجلوس وسجود على أن هذه الهيئات لا تنطوي على بعد سياسي كما يزعم، فذلك مجرد ظن ووهم، لأن هيئات الصلاة الأربعة حركات تتعلق بفرائض الصلاة وسننها فتتوقف عليها صحة الصلاة من عدمها.

لا خلاف فيما أشار إليه هوفمان من أن الصلاة تُخلّص الإنسان من الأحزان والضغوط، والتجربة الواقعية تؤكد أن أكثر الناس صحة وسعادة هم الأتقياء المحافظون على صلاتهم حيث أمر الله عباده بالاستعانة بالصلاة على أمور حياتهم، يقول تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[1]؛ غير أنه فاته ذكر أهم فائدة للصلاة وهي الابتعاد عن الفحشاء والمنكر لقوله جل وعلا: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[2].

نُؤيد استياء هوفمان من أئمة المساجد الذين يفيضون في تحريك المشاعر والعواطف في خطبهم ووعظهم دون تعميق المعارف ورفع مستواها، ولتحاشي ذلك يتعين على الأمة الإسلامية أن تضاعف الجهود وتُجدد المناهج لتكوّن جيلا من الأئمة والوعاظ يتقنون استخدام الحاسوب ويبرعون في نشر المواقع الإلكترونية المفتوحة ليلا ونهارا لتضحى منبرا يسوِّق دعوتهم للوصول إلى أكبر عدد من الناس بشكل أسهل.

وإن ما يُسوقه أطياف العولمة من برامج تدعو للفساد واللهو واللذة يفوق أضعافا كثيرة مما يدعوه أئمتنا وخطباءنا في المساجد والمراكز الدينية ولهذا يتعين على دعاة

[1]- سورة البقرة، آية 45.

[2]- سورة العنكبوت، آية 45.

الأمة أن يتقنوا الوسائل الإلكترونية من أنترنت ووسائل اتصال اجتماعية، حتى تكون بمثابة سلاح يُمكنهم من صد هجمات العولمة العالمية الشرسة.

ولعل هذا ما دفع بجفري لانغ إلى القول:« **مازلت أسمع خطب الجمعة منذ أكثر من عشرين سنة، ولم أسمع قط بمحاضرات تربط الإيمان والأعمال الصالحة بالروحانية وبعلاقتنا بالله. فلو كان مصدري الوحيد... حول الإسلام هو خطب الجمعة...فإني سأفهم الله وكأنه قوى حاسدة متحاملة بلا حدود، تفرض علينا قرارات وأوامر فقط لاختبار مدى طاعتنا له، ثم يتربص الله بنا حتى إذا ارتكبنا أوهى خطيئة، صب جام غضبه وأقسى عقوباته علينا**»[1]

ثانيا: الصوم

أزمع مراد هوفمان الصوم لأول مرة عندما كان يتواجد في بلغراد عاصمة صربيا وألزم نفسه بالصوم حرفيا كما هو مفروض على المسلمين، خلافا لما هو شائع من عادات الصيام في جل البلدان الإسلامية، فإنه لم يحاول حين حل وقت الإفطار، تعويض الطعام الذي حُرم منه أثناء صومه في النهار.

ورغم الصعوبات التي عاناها في اليومان الأولان لتزامن شهر رمضان مع فصل الصيف والصداع المستمر جراء تجربته الأولى في الصوم؛ فإنه ينصح المرء بمواصلة الصوم حتى بعد انقضاء شهر الصيام.

كما ينصح هوفمان الصائم بملأ فترات صيامه بما يحقق أحسن استغلال لإمكاناته البيولوجية، ولقد قام هوفمان بتوزيع واجباته إلى واجبات ضرورية وأخرى يجب القيام بها وثالثة لا بأس من القيام بها[2].

ونفهم من موقف هوفمان هذا استياءه من تصرف المسلمين وممارساتهم الدنيئة كلما هَلّ الشهر الفضيل، وكيف أن شهر العبادة أضحى مجرّد عادة، تحول فيه المسلم إلى مجرد كائن بيولوجي يأكل بنهم شتى ألوان الأطعمة، وأصبح نساء المسلمين يكرسن جل وقتهن في إعداد الأكلات الشهية، ومقارعة البرامج التلفزيونية لتلقف ما جد

[1] – جيفري لانغ، **ضياع ديني، صرخة المسلمين في الغرب**، تر: إبراهيم يحيى الشهابي، دار الفكر دمشق 2008، ص375.

[2] – يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص 48.

من الوجبات، وعم الكسل والتواكل والتبرير، وزاد جشع التجار وربحهم، وانتشرت المشاحنات والمشاجرات بين المسلمين.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أُبتلي غالبية المسلمين بكثرة السهر واللهو وألعاب يزعمون أنها تجلب لهم السلوى والغبطة، لكنها في الحقيقة تهدر وقتهم وتفني أعمارهم وتقطع عليهم لذة الصوم.

ويروي هوفمان ما كان يختلج صدره من شعور مُغبط ولذة عارمة عند حلول ساعة الإفطار بقوله:« **وعندما كنت أبدأ أتناول طعامي، في المساء بعد حلول الظلام، بزيتونة وجرعة كبيرة من الماء، كما تقتضي بذلك التقاليد، أشعر وكأنني أجلس إلى مائدة حافلة بأطايب الطعام...ويوما بعد يوم تزداد معنويات المرء ارتفاعا**»[1].

ويعتقد هوفمان من خلال تجربته في الصوم أن الهدف المبدئي المراد من الصوم هو التحرر من سلطة الأشياء التي باتت آلهة جديدة تُنافس الله « **ألا يبدو أن الهدف المبدئي للصوم هو تقوية مناعة الإنسان ضد ذلك الإغراء المسمى بالشرك؟ : أو بعبارة أخرى ضد المجازفة بتأليه كل ما ليس ضروريا على الإطلاق في حياة الإنسان؟**»[2]

وقد يكون الصوم بلا هدف إذا كان المرء يروم من ورائه، مجرد إنقاص وزن أو صقل عزيمته أو تضامنا مع الفقراء أو علاجا للجسد « **ولكن كل هذه النتائج ليست إلا فوائد ثانوية عابرة، لأن المسلم يلتزم بصوم رمضان أولا وقبل أي شيء آخر لأن الله (سبحانه وتعالى) قد فرضه عليه** »[3].

ولقد أفلح هوفمان في بيان الهدف من الصيام وأورد العادات السلبية التي تغلغلت في حياة الصائمين كالإسراف في الأكل والإفراط في السهر والكسل والتواكل وكثرة المناوشات والشجارات، كما نجح في بيان صومٍ يقوي مناعة الإنسان من شرك الأشياء المادية التي أصبحت آلهة يعبدها الإنسان عشية وضحاها.

ثم ذكر فوائد الصوم واعتبر نتائجها ثانوية، ليكون صوم الإنسان حقيقي إذا التزم به واستشعر أن الله فرضه عليه، لكنه أغفل أن الله سبحانه وتعالى أَيَّ عبادة فرضها

[1]- يوميات ألماني مسلم، (م س)،، ص ص49- 50 .

[2]- المصدر نفسه، ص 50.

[3]- المصدر نفسه، ص 44.

على الإنسان إلا ووضع لها ثمرة وهدفا دقيقا، ولأجل ذلك فإن الصيام وسيلة لتحقيق فضيلة التقوى وهي الهدف الرئيس للصيام وهو ما أكده الله تعالى في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا اَلذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ اَلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى اَلذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[1]. ورمضان فيه ليلة القدر خير من ألف شهر ومن اجتهد في عبادتها كان له أجر عبادة ألف سنة إلى جانب فوائد عديدة أخرى.

وإضافة إلى فضيلة التقوى فللصوم فوائد أخرى فهو كفارة للذنوب والخطايا ويكسب الصحة والقوة لجسم الإنسان ويعمل على توحيد مشاعر المسلمين كذا الدعاء فيه مستجاب يُربي النفوس على مكارم الأخلاق.

ثالثا: الحج

يعرض هوفمان حيثيات سفره إلى الحج بمطار الدار البيضاء المغربية وقد حدث طارئ أخّر من موعد انطلاق الطائرة جاوز هذا التأخير خمسة عشرة ساعة، فلاحظ أنه لا أحد من الركاب القاصدين مكة للحج ثار أو احتج «لأن القرآن الكريم يعلمهم قائلا: " **اِلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ اَلْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي اِلْحَجِّ** "[2]**...ومعنى ذلك أن على الحاج أن يتحلى بالصبر، وأن يتفادى الدخول في خلاف أو حتى الشروع فيه. ناهيك عن أنه محرم عليه أن يجرح شخصا أو شيئا، أو أن يقتلع نباتا، أو يقتل بعوضة**»[3].

ولما حل هوفمان بالمدينة المنورة اتجه صوب قبر الرسول صلى الله عليه وسلم لزيارته وفي اليوم التالي قام بزيارة البقيع ثم زيارة المسجدين التاريخين: قباء والقبلتين، وجبل أحد، وفي اليوم الثالث عاد مع مرافقيه إلى جدة عاقدا النية على أداء فريضة الحج، وبعد الاغتسال وتلاوته الأدعية اللازمة، ارتدى ملابس الإحرام.

ولاحظ هوفمان أن ملابس الإحرام لا ترمز إلى تساوي البشر أمام الله فقط وإنما ترمز أيضا إلى يوم القيامة وشرع مع رفقائه ترديد دعاء التلبية[4].

---

[1]- سورة البقرة، آية 183.

[2]- البقرة، آية 197.

[3]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص 7.

[4]- المصدر نفسه، الصفحات، 12-13-14.

وفي اليوم الرابع أدى هوفمان عمرة رفقة وزير الشؤون الإسلامية السريلانكي، وبعدها بساعتين قام بالطواف حول الكعبة « **لم يغب عن خاطري طوال الطواف أننا نتوجه في طوافنا إلى الله. وأضفت إلى الأدعية المعتادة دعاء شخصيا مفاده :" اللهم اجعل الحق يقر في نفسي، واجعل الحق حقيقتي الشخصية**»[1].

ثم يذكر هوفمان أنه أتم الطواف، وشرب ما شاء له أن يشرب من ماء زمزم، ثم أدى صلاة ركعتين في مقام إبراهيم، وقبل صلاة الفجر لليوم التالي همَّ مُسرعا ليسعى سبعا بين الصفا والمروة وبعدها قام بقص إحدى خصلات شعره منهيا بذلك الشطر الأول من حجه، وفي الأيام اللاحقة اقتنى خروفين ليرسل لحمهما إلى مسلمي البوسنة.

وفي اليوم التاسع من ذي الحجة وقف بعرفة؛ لينتقل إثرها إلى المزدلفة وحل على الساعة الثانية صباحا بمنى ورمى الجمرات وفي الساعة الرابعة والنصف أدى صلاة الفجر ليوم عيد الأضحى وأخيرا عاد مع أصدقائه إلى بيت الضيافة مُعانقا أصدقائه مرددين: حجا مبروراً ومقبولاً إن شاء الله[2].

وتوجه هوفمان رفقة زوجته لتأدية صلاة المغرب في الحرم، وكان عليهما أن يفترقا، وبعد انقضاء الصلاة انتظرها كثيرا تحت أحد مصابيح الطريق ليصطحبها، لكن أمر التعرف على زوجته ليس بالأمر الهين، كون كل النساء كن يرتدين الحجاب ولا يسمح للرجال مخاطبة النساء.

وبينما كان ينتظر بدأ يُناقش بينه وبين نفسه مزايا وعيوب الحجاب، وخلص إلى أنه يجب على النساء الذاهبات لأداء فريضة الحج ألا يغطين وجوههن؛ لأن أمهاتهن المعاصرات لعهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلن ذلك قطعا فعندما كن يتوجهن إلى الحج[3].

نحن لا نتفق مع هوفمان في ملا حظته؛ بأن لا أحد من القاصدين إلى الحج في مطار الدار البيضاء ثار أو احتج بسبب تأخر الطائرة خمسة عشرة ساعة، وعدم الاحتجاج يعزوه إلى امتثال الحجاج إلى الآية التي استشهد بها، وهو أمر محتمل بيد أن

[1]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص ص 14- 15 .

[2]- المصدر نفسه، الصفحات من 18 إلى 26.

[3]- هوفمان ويلفريد، يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص ص109- 110.

الحاج بإمكانه الاستفسار عن سبب التأخر ومن حقه الاحتجاج والمطالبة بحقوقه ولا علاقة لهذا بالحج بل يعود الأمر إلى المواطنة والتنظيم الإداري، وأحسب أن الآية تتعلق بسلوك الحاج عند مباشرته الحج ببدء مناسكه وارتداء ملابس الإحرام.

من ناحية أخرى خالف هوفمان الصواب عندما قال:« **إذ يقوم كل حاج في نهاية الحج بنحر فدية أو أضحية، اقتداء بأن الله فدى ابن إبراهيم بكبش**»[1]؛ لأن الهدي أو الأضحية لا تجب على كل حاج، ذلك أن الأضحية تجب على قارنًا أو ممتعا، وأما المفرد فلا يلزم عليه الهدي أو الأضحية لقوله تعالى:﴿ **فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اَسْتَيْسَرَ مِنَ اَلْهَدْيِ**﴾[2]، وهذا يعني أن نحر الأضحية ليست من أركان الحج فهي لازمة في حالة القران بين العمرة والحج.

رابعا: الزكاة

يسلم هوفمان بأن الزكاة ركن من أركان الاسلام، ولا يستقيم إيمان المرء إلا إذا أدى هذه العبادة المفروضة. فالزكاة تقهر بخل الانسان وشحه، وتقلل من التفاوت المادي بين الأفراد في المجتمع. ويستشهد هوفمان على وجوب الزكاة بقوله جلّ وعلا: ﴿ **إِنَّ اَلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ اَلصَّالِحات وَأَقَامُواْ اَلصَّلاَةَ وَءَاتَوُاْ اَلزَّكَاةَ لَهُمُ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[3] ،واستشهد أيضا بقوله سبحانه وتعالى:﴿ **إِنَّمَا اَلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي اِلرِّقَابْ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اِللَّهِ وَابْنِ اِلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اَللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[4]، مُحللا الآيتين، ليُبين الغاية التي ترمي إليها الزكاة في الاسلام[5].

ثم يتساءل هوفمان عن موقف المسلم في الغرب من الزكاة، هل يسقط عليه أداءها؟، ومشروعية السؤال تتأتى من احتمالين: أولهما لأنه يحيا في دولة غير مسلمة، وثانهما لأنه يؤدي ضرائب على دخله كل شهر.

[1]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص 20.

[2]- البقرة آية 196.

[3]- البقرة، آية 277.

[4]- التوبة، آية 60.

[5]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص 87.

أما الجواب فكان بوجوب أداء المسلم في الغرب فريضة الزكاة، لأن الدولة الغربية لا توجه أي ضريبة كنيسية لخدمة طوائفها الإسلامية، وهي بذلك لا تنشد تجسيد غاية من غايات الزكاة في الإسلام وهو نشر الإسلام[1].

يقول هوفمان:« **فلقد انتهيت إلى أن أؤدي زكاة إضافية إلى مؤسسات إسلامية أختارها، وبصفة خاصة في ألمانيا، بحيث تكون حريصة كل الحرص على أن تنفق المال في مصارفه المحددة. وإلى جانب ذلك، فإنني أتنازل عن حقوقي كمؤلف لدور النشر الإسلامية، سواء في ألمانيا، أو الولايات المتحدة، أو الجزائر، أو المغرب، مساهمة مني في العمل من أجل إعلاء شأن الإسلام وانتشاره، أي مساهمة مني في العمل" في سبيل الله"**»[2].

الذي نفهمه من هذا القول أن هوفمان كان يتحرى الموضع الصحيح الذي يُؤدي إليه عبادته المالية حتى تصرف في مكانها المناسب عكس ما نراه في مجتمعاتنا الإسلامية، فالمسلم الذي تجب عليه الزكاة يدفعها وقلما يتحرى الدقة والحرص من أجل إيصالها لأصحابها الحقيقيين.

وما يسترعي النظر في موقف هوفمان من الزكاة هو إعلاء شأن الإسلام وانتشاره، بمنظار فكر عميق وعمل جاد قلما نجد مسلما يتعاطى مع هذه العبادة بهذه الطريقة، لأن غالبية المسلمين اليوم يُؤدون أموالهم إلى الفقراء والمحتاجين، دون التفكير في نشر الإسلام وإعلائه بفريضة الزكاة والصدقات حيث تنازل هوفمان عن الأموال التي تُدرها دور نشر كتبه رغبة في ذلك.

بصرف النظر عن مقصد هوفمان ونيته الطيبة أن غايته من وراء عبادة الزكاة كانت تصب في إعلاء شأن الإسلام، نعتقد أن هذا المقصد لا يوجد ضمن أهداف الزكاة في الشريعة الإسلامية، ذلك أن الزكاة لها مقاصد وغايات محددة، ومن بينها مالم يذكره هوفمان، كأن تُطهر أصحابها من الحسد والبغض الذي يُكنه بعض المعوزين لهم، مما يقطع أواصر المحبة بين أفراد المجتمع والقضاء على آفة التسول كما أنها تُمكن

[1]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص 88.

[2]- المصدر نفسه، ص 88.

الشباب المسلم من الزواج حسب ما قرره بعض الفقهاء؛ أما فيما يتعلق بنشر الإسلام فله أبواب خاصة به تتجاوز فريضة الزكاة.

خامسا: الأضحية

يُدرج هوفمان الدعوة إلى نحر الأضحية في مناسبة العيد الأضحى ضمن محاربة البخل والشح وفي مناسبات أخرى، يَعد النحر تكفيرا عن الذنوب والمخالفات، أو في مناسبة افتتاح محل جديد أو ميلاد طفل، إذ يستشهد بقوله :﴿ لَنْ يَّنَالَ اَللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَآؤُهَا وَلَاكِنْ يَّنَالُهُ اَلتَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ اَللَّهَ عَلَى مَا هَدَآكُمْ وَبَشِّرِ اِلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، معتبرا أن القرآن أشار إلى الشيء الأهم في نحر الأضحية.

ثم يذكر هوفمان أنه شاهد لأول مرة شاة تُذبح على إحدى شوارع إسطنبول، فبعث فيه هذا المنظر الاشمئزاز وعدم الارتياح[2]، ساقه إلى استحضار ماضٍ من الأفكار القديمة في لا شعوره حول ما كان يُروج ضد الإسلام من صور ومفاهيم شائهة، من مثل أن الإسلام يُعذب الحيوان ويذبحه بصورة وحشية لا تمت إلى الإنسانية في شيء وإلا فكيف نفسر اشمئزازه وعدم ارتياحه من رؤيته الشاة تُذبح.

ويروي هوفمان أنه أدى صلاة العيد في مدينة الرباط كجميع السفراء المسلمين مع الملك الحسن الثاني بمسجد أهل الفحص في المنطقة التي يقع فيها القصر، ثم بعد ذلك هم إلى منزله لأداء عبادة التضحية « **ويجوز لي حسب الشريعة، أن أنيب عني من ينحر الأضحية، ولكن لا بد لي من أن أكون حاضرا عملية النحر لأنطق بنفسي " باسم الله". ولم يكن يمضي سوى ساعات قليلة قبل أن نكون قد انتهينا من أكل نصيبنا من الأضحية، وهو الكبد مشويا. أما بقية الأضحية، فكنا نهديها في قطع كبيرة إلى العاملين الكثيرين بمنزلنا**»[3].

ولعل نحر أضحية قد تكون تعبيرا عن الشكر لله همَّ بفعله هوفمان لما انتقل إلى مسكن جديد في إسطنبول واتجه صوب المؤسسات الخيرية بمسجد السلطان أيوب عند القرن الذهبي، فهناك دفع ثمن الأضحية وحدد الشاة التي يضحيها، وشهد عملية النحر ووُضعت قطرة من دم الشاة على جبينه باعتباره المُضحي.

---

[1]- الحج، آية 37.

[2]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص ص 90-91.

[3]- المصدر نفسه، ص 91.

ويُذَكِّرُ هوفمان في الأخير أن الهدف الذي ينطوي عليه نحر الأضحية هو نيل تقوى الله وإجلاله وشكره، لأن الله لا ينال دم الأضحية ولا لحمها[1].

ويبدو أن هوفمان ينهج منهج الشافعية في كيفية توزيع الأضحية، أفتوا بأنه من الأفضل على المضحي أن يتصدق بالأضحية كلها إلا شيئا قليلا يتناوله منها؛ أما المالكية لم يحددوا ذلك، فللمضحي الحرية يأكل ما شاء له أن يأكل ويتصدق منها بما يشاء ويستدلون بقوله تعالى:﴿ **فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَآئِسَ وَالْفَقِيرَ**﴾[2]. وعلى العموم فتوزيع الأضحية والصدقة منها مسألة خلافية بين الفقهاء والعلماء[3].

سادسا: ذم المسكر

رغم عشق هوفمان للخمرة، وتغنيه بسحرها وجمالها وخبرته العتيدة حول أصنافها وألوانها فضلا عن ولوعه بذوقها و ارتياد مجالس الأصدقاء ومراهنتهم على من يكون له السبق في تمييزها عن أنواعها الأخرى، ينكفئ هوفمان إلى إنسان آخر، فتراه يحمل عليها حملة شرسة لحد كراهيتها ونعتها بأقبح النعوت.

ويصف هوفمان حياته قبل تحوله إلى الإسلام بزمن الظلام والجاهلية الشخصية، وأتاحت له حياته الدبلوماسية خبرة كبيرة بالخمور، فكان يميز نوعها وجنسها الذكوري والأنثوي بمجرد ملامسة قطرة منها لسانه و يحدد فورا درجة نُضجه من عدمه.

وكان يدعو أصدقائه ليقيم حفلات خاصة لاختبار النبيذ وتذوقه ، وكان بمجرد بلوغ النبيذ سقف حلقه، يحدد أنواع التربة والكروم وطرق التخمير[4]، وحيث أشهر اعتناقه للإسلام اجتنب الخمر نهائيا.

ويقول هوفمان:« **لقد وجدت مع ذلك التحريم القرآني للخمر والمخدرات ليس ضرورة اجتماعية فحسب، وإنما هو منفعة شخصية للفرد، إذ يمكنه أن يكون متيقظا صافي الذهن دائما. ومن ثم؛ أنهيت هذه المرحلة من حياتي مرة واحدة، وإلى الأبد. فإن الإنسان، بفضل قدرته على التفكير وإعمال عقله، يفاخر بأنه أعظم المخلوقات.**

---

[1]- ا الطريق إلى مكة، (م س)، ص 92.

[2]- الحج آية 28.

[3]- خالد بن سعود البليهد، "**كيفية توزيع الأضحية**"، اطّلع عليه بتاريخ 2020/03/01. بتصرّف، على : 13سا و45د، من الموقع التالي: https://saaid.net/Doat/binbulihed/f/445.htm

[4]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص ص 51-52.

فنحن البشر نستطيع أن نمعن التفكير في العالم من حولنا وفي أحوالنا، وأن نتصرف بحكمة»[1].

نفهم من قول هوفمان أن الخمر يدمر أساس العائلة، وشاربها يعد خطرا على المجتمع، فعندما يغيب وعيه، لا يحذر مما يرتكبه جريمة أو جناية ، وقد يهاجم الناس كالوحش بدون أية علة، ولا يستطيع الامتناع عن إيذاء الناس وترويعهم، وكم من جنايات القتل ارتكبت في حالة معاقرة الخمر.

فالخمر يضر بالإدراك ويسلب العقل فتصبح تصرفات المخمور وأفكاره غير منتظمة، لأن الإدمان عليه عامل من عوامل الجنون، والإحصائيات تشير إلى أن أغلب المجانين هم ممن قضوا عمرا طويلا في تعاطي الكحول. أضف إلى ذلك إن الدراسات الطبية الحديثة جلّها أكدت أن الخمر المسبب الأول لداء السرطان.

ويستطرد هوفمان قائلا:« **لقد حرّم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة بصورة كاملة المسكرات والمخدرات، باعتباره أمرا تفرضه الضرورة، رغم أن ذلك كان عملا جسيما يناقض الشائع»**[2].

لم يُحالف هوفمان الصواب فيما ذكره، ذلك أن تحريم الخمر لم يكن من طرف النبي بل كان من الله عز ّوجل؛ فالله وحده يحق له التحليل والتحريم، والنبي لا يحلل ولا يحرم ولا يجيب من عنده في مسائل التشريع، ومهمة الرسول بيّنها الله في القرآن قال تعالى: :﴿ مَّا عَلَى اَلرَّسُولِ إِلاَّ اَلْبَلاَغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[3]، ولو كان للرسول حق التحريم والتحليل ما قال له الله معاتبا[4]:﴿ يَا أَيُّهَا اَلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اَللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [5]. ونلاحظ أيضا أنه يُخلط كثيرا في التعابير، ففي القول الآنف استخدم عبارة "التحريم القرآني" وفي القول الأخير يستعمل عبارة " حرّم النبي".

---

[1]- الطريق إلى مكة، (م س)، ص 52.

[2]- هوفمان ويلفريد، يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص 99.

[3]- المائدة، آية 99.

[4]- أنيس محمد صالح، "**النبي لا يحلل ولا يحرم ولا يفتي من عنده في مسائل التشريع**"، أطلع عليه، يوم 2020/03/17، على: 6سا و12د، من الموقع التالي: http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=16969

[5]- التحريم، آية 1.

كما أنه أشار إلى أن النبي حرّم المخدرات، فكبا هوفمان كبوة أخرى، لأنه لا أحد ذكر يوما أن المخدرات كانت موجودة في عهد النبي، اللهم إلا إن كان هناك خطأٌ في الترجمة فإن اللوم يسقط عنه.

سابعا: القضاء والقدر

يستنكر هوفمان على المستشرقين والإعلام الغربي تسويقهم معلومات مغلوطة عن القضاء والقدر أو ما يعرف بالمكتوب عند العرب والقسمة عند الأتراك، ومعناها أن قدر الإنسان مسجل في كتاب كبير في اللوح المحفوظ.

وهذه المعلومات المغلوطة روجت لأفكار مثل شيوع الكسل واللامبالاة والتقاعس بين المسلمين، وبذلك يقر هوفمان أن المسيحية تأخذ بفكرة القدر والكثير من الفلاسفة المسلمين فكروا في القدر وحرية الإرادة، لكنه يُفضل اتباع نصيحة الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى لا نحطم رؤوسنا من التفكير دون جدوى[1].

يقول هوفمان: « **لقد صادفت في حياتي كثيرا من الأحداث المذهلة التي يمكن للمرء أن يلصق عليها بطاقة "قسمة"، والتي تجعلني وغيري من المسلمين نشعر بالسكينة والطمأنينة، لأن الله القادر العليم يرعانا في السراء والضراء على السواء**»[2].

والمسلم مسؤول عن أفعاله تمام المسؤولية، والله سوف يُجازيه على الحسن منها، ويُعاقبه على القبيح منها أو يغفر له لأن الله رحيم، ويدرك المُؤمن أن كل شيء بيد الله، فيستعين في بداية أي عمل أو نشاط باسم الله، ويرجو منه السداد والتوفيق بقوله إن شاء الله، وإذا وُفق ونجح يردد عبارة ما شاء الله، وهو في اطمئنان دائم لأن رعاية الله تُحيط به في كل زمان ومكان، وإذا نزل بالمسلم مصيبة أو طالع سيئ أو خسارة فإنه يلجأ إلى الله ويقنع بأن ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[3].

نلحظ هوفمان في قوله أن ما يصيب الإنسان سوى ما كتبه الله له ، وما على الإنسان إلا التوكل والسعي والاجتهاد ويترك ما بقي على الله.

---

[1]- الطريق إلى مكة، (م س) ص 75.

[2]- المصدر نفسه، ص 76.

[3]- الإسلام كبديل، (م س)، ص 65.

ويروي هوفمان عدة حوادث جرت في حياته نجى منها لأن الله لم يأذن بعد برجوعه إليه عندما نجى من حادثة تصادم سيارتين في منطقة المسيسيبي يوم 26 يوليو عام 1951م، وعندما أطلق أحد المعتوهين رصاصة في تنيسي اخترقت نافذة مقصورة القطار أخطأت رأسه ببضع مليمترات[1].

ومن هذا المنطلق أعتقد أن هوفمان رغم استنكاره لما يُشاع عن المسلمين من استسلامهم لعقيدة القضاء والقدر وشجبه لما يُسوقه المستشرقون من تصورات مغلوطة حيالها إلا أنه اكتفى بعرض أفكار متداولة بين عامة المسلمين وغيرهم وإزاء هذا الوضع تبقى عقيدة الجبرية والمكتوب على حالها متغلغلة في الأوساط الغربية، واستدل على بطلانها بتجارب وحوادث شخصية لا تُسمن ولا تغني من معرفة حقيقة القضاء والقدر ولا تف لدرء مزاعم الإعلام والمستشرقين.

ولو قارنا بينه وبين المتحول الأمريكي إلى الإسلام جيفري لانج أستاذ الرياضيات؛ أحسب أن ما طرحه هذا الأخير يرقى إلى حد ما للإقناع والرد على شبهات المغرضين، يقول: « **والقرآن يؤكد بشكل مطلق على أن خياراتنا لا تنقص من سلطة الله أو تُهددها، ولكن هذه الخيارات من شأنها أن تحمل نتائج خطيرة بالنسبة إلى الفرد على أنه المستفيد الأول حالة فعله للخير والضحية الأولى حالة فعله للشر**»[2].

مما سبق يعني أن الله ليس بمعزل عن حياة البشر، بعث الرسل والأنبياء، يتصرف في مجرى التاريخ حسب ما شاء لحكمة وغيرها، مثل تدخله في نجاة النبي إبراهيم أو في غزوة بدر، وما يجري في الكون كله بأمره، عكس ما يعتقده بعض العلماء، أن الله وضع قوانين لتجري وفق نظام صارم ولا يتدخل في الكون على الإطلاق أو إنه قدر علينا كل شيء ولا مجال للاختيار كما يتصور آخرون.

ويقول أيضا:« **فسلطته وتأثيره في خلقنا مستمران ونافذان في كل شيء، ولكن لا شيء من هذا كله يتعارض وحقيقة كون أن الله منحنا القدرة لاتخاذ قرارات أخلاقية وأن نقوم بتنفيذها، وأن الله يعيننا إذا ما طلبنا العون منه**»[3].

---

[1]- يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص 165.

[2]- جيفري لانغ، **حق الملائكة تسأل، رحلة إلى الإسلام في أمريكا**، تر: منذر العبسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الخامسة، 2013، ص 57.

[3]- المرجع نفسه، ص 118.

فهذا الفهم الذي يصدر من جيفري لانغ ناتج عن تأثره بالقرآن الكريم بمعني أن الإنسان مسؤول عن خياراته مادام الله منحه القدرة على الاختيار، وأن الشر لا يأتي من الله بل من طبيعة الإنسان وهذا الأخير إذا انتخب الشر فإنه يظلم نفسه وينحدر بها إلى الهاوية ويكون ضد مصلحته فيُحرم من محبة الله، وعندما يميل إلى الخير فإنه يرتقي بها إلى محبته ويكون الفائز بسببها.

ثامنا: التقزز من لحم الخنزير

عُقدت ندوة في بون 14 سبتمبر1983م تُبحث فيها بعض جوانب الإسلام، وكان هوفمان متواجدا معهم بهدف تقديم محاضرة موسومة " عن دور الفلسفة الإسلامية"، وعندما حل وقت الغذاء، قدم النادل لحم الخنزير لهوفمان ورفاقه، بيد أنهم سببوا حرجا كبيرا عندما رفضوا تناول لحم الخنزير، مُحتجين بأنهم مسلمين[1].

يقرف هوفمان لحم الخنزير ويجنح إلى بيان أضراره على جسم الإنسان، فهو يتسبب في رفع نسبة كولسترول الدم ويعرقل عملية التمثيل الغذائي مما ينتج عنه الإصابة بسرطان الأمعاء، إضافة إلى ظهور الدمامل والأكزيما والروماتيزم دون أن ننسى أن فيروسات الأنفلونزا الصيفية الخطيرة تتنامى بتواجد الخنازير.

ولما انصرف هوفمان عن تناول لحم الخنزير صار يشعر بالتقزز والغثيان من رائحته الكريهة؛ أما إذا استساغ الإنسان لحم هذا الحيوان الدسم فبات من المحتمل أن ينزل به الألم الشديد في معدّته.

[1]- يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص 126.

المبحث الثالث: التفاعل بين الأنا والآخر

***

كان مراد ألفريد هوفمان في حين من الدهر الآخر الذي ينبغي لنا محاورته والتفاعل معه، بيد أنه اليوم أضحى يبحث في الأساليب التي تُتيح الحوار مع الآخر ويجتهد أيما اجتهاد لإحلاله من القوة إلى الفعل، وهو الحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة ميونيخ الألمانية في القانون وتقلد العديد من المناصب السياسية العظيمة، منحته تدقيقا في النظر وعدم التسرع في إصدار الأحكام، كيف لا وكان اعتناقه للإسلام بعد أكثر من ثلاثين عاما من البحث والقراءة والتدقيق وكرس زمنا لا يستهان به من حياته يطير من بلد إلى آخر، يُحاضر ويشرح فكر كل جانب الإسلام والغرب ليُذيب ويزيل مشاعر الحقد والعداء اللذان يُواجه بهما كل طرف للآخر راميا إلى رأب الصدع بين الإسلام والغرب، فهو على دراية تامة بالمنطلقات والأبعاد والدوافع التي يُخاطب بها كل منهما الآخر دون كذب أو بهتان.

أولا: معوقات التفاعل بين الأنا والآخر

1- وسائل الإعلام

يعزو هوفمان عدم التفاعل ببن الغرب والإسلام واللاتسامح المستمر إزاء كل ما هو إسلامي إلى وسائل الإعلام التي تُمارس في مجال الدين عملا سياسيا وتحرص على إبقاء كل ما هو سلبي في الذاكرة الجماعية الغربية اتجاه الإسلام، ويستحيل انتصار المسلمين في لعبة الإعلام هذه والسبب حسبه يعود إلى أن الإعلام يجتذب إليه الكثيرين ممن لا يعبرون عن رُؤية دينية ويمثلون اتجاهات لا دينية[1].

وتُصور وسائل الإعلام الإسلام وتتعامل معه على أنه إيديولوجية وليس عقيدة دينية تنضوي تحتها مبادئ ومعاملات، ويجنّد هوفمان مثالا واقعيا يدعم به موقفه وهو الصورة التي خصصتها مجلة المرآة Der Spiegel في يناير عام 1998؛ حيث يتصدرها عنوان عريض « الإسلام اللغز»، وغلاف الصورة يُظهر امرأة مسلمة حواجبها على هيئة سيوف تتوسط شعار الراية الوطنية لبلاد الحرمين[2].

---

[1]– هوفمان مراد، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، (م س)، ص 81.

[2]- المصدر نفسه، ص 82.

كما أن هناك صور شائهة عن الإسلام والمسلمين لا تعد ولا تحصى، فوسائل الإعلام الغربية لا تتوان على إظهار الإسلام بأنه دين عدواني وتوسعي يميل إلى التعصب والقتل والإرهاب. وقد أجرت مجلة المرآة حوار مع فريش بيتر peter Frisch(1935– 2018) رئيس المجلس الاتحادي لحماية الدستور حول موضوع الإسلام فكانت العبارة التي ختم بها كلامه هي: سيغدو الإسلام في القرن المقبل خطرا داهماً، وحذرت قناة RTL عام 1994م في برنامج معنون" بالإرهاب باسم الله" من مد أصولي إسلامي عالمي، ناهيك عن وصف الإسلام بأنه دين أكل عليه الزمن وشرب ولا أمل في تنويره وإصلاحه[1].

ولقد ادعى البروفسور السوري بسام طيبي أن العلاقة بين الإسلام وحقوق الإنسان مثلها مثل العلاقة بين الماء والنار، ويستحيل على الإسلام أن يُفرد للمسلمين مساحة لإبداء حرية الرأي، وبلغت الجرأة إلى حد السخرية من الدين والرسول الكريم، إذ نشرت مجلة الوقت Die Zeit سنة 1995م على لسان أحد الساخرين معرفا بالإسلام: « **لم يكن عند محمد ثلاجة، كان يقضي حاجته أمام النسوة، وكان يسكر بعد تناول كوبين من البيرة. هذا هو الإسلام كله**»[2].

ولقد بعث الدكتور بول إيسرpaul Esser (1913– 1988)خطاب إلى جريدة Frunkfurter Allgemeine عام 1997 مفاده أن الإسلاميين غير متسامحين ولهم موقف بدائي من العلم والفن وتستبد بهم السلطة الأبوية ونظامهم الاجتماعي غير ديمقراطي، والسبب في ذلك كله يعزوه إلى القرآن، ذلك أنه نص قديم يتعلق بالإقطاع، بل يرجع إلى العصر الحجري ويطفح بالتفسيرات الطفولية للعالم. وفي جملة واحدة الإسلام "عودة إلى البربرية والوحشية[3].

لقد استاء هوفمان وتأسف جدا من هذه السموم التي تنفثها وسائل الإعلام ضد الإسلام والمسلمين، ويُحملها وزر تصدع العلاقة بين الشرق والغرب، وينعت هؤلاء بالصحفيين السيئين لأنهم زادوا في توسيع ظاهرة الخواف من الإسلام، يقول:« **ومن المؤسف أن تحريض الناس وتأليبهم على الإسلام بهذا الشكل ينسف الفرص كافة**

[1]- الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، (م س)، ص ص 82- 83.
[2]- المصدر نفسه، ص 83.
[3]– المصدر نفسه، ص 84.

لإعادة ميلاد علاقة طبيعية بين الغرب والشرق، حيث إن الآراء التي أشرنا إليها تقرأ في العالم الإسلامي، أي إنها تقاوم فيه بناء جسور من الثقة المطلوبة لإقامة علاقة إيجابية بين الغرب والإسلام»[1].

ولذلك تعتبر وسائل الإعلام من أبرز العوامل التي تعيق التفاعل بين الإسلام والغرب، لما تبذله من جهد جهيد تُعبئ به الرأي العام وتختزل الإسلام في التعصب والعنف وظلم المرأة، ناهيك عن أنها تضع المسلمين في نمط واحد؛ تحملهم وزر ما يقع في العالم من أزمات وتجاوزات.

كما أن الغرب يفسر دوما ما يفعله المسلم تفسيرا متحيزا مرتكزا إلى دينه فقط، وبالخصوص عند تصاعد ظاهرة التطرف الإسلامي، فعندما يجترح يهودي أو نصراني جرما، فيُعزى هذا الأخير إلى دواع نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية، إلا المسلم فإن جنوحه الإجرامي يُنسب إلى دينه[2].

وعندما يهاجم مسلم غير مسلم جهة معينة تنعته التقارير الغربية بأنه مقاتل من منظمة ETA أو IRA أو غيرها، لا تستعمل أبدا مصطلح " متعصب كاثوليكي" أو ما يُشبه ذلك، أما إذا اقترف امرؤ مسلم عمل مماثل فيرجعه الإعلام الغربي فورا " لمسلم متعصب" بصرف النظر عن حيثيات الحدث[3].

نحن نتفق مع هوفمان على أن وسائل الإعلام الغربية قدمت صورة نمطية ومتحيزة وجامدة ضد الإسلام والمسلمين، لكنه تغاضى عن تواجد بعض القنوات الغربية التي ترغب في نشر صور موضوعية عن الإسلام؛ على سبيل المثال ظهورالبروفيسور جون اسبوزيتو John Esposito (1940) في كثير من المؤسسات الإعلامية الدولية لتحسين صورة الإسلام في العقل الغربي.

والمشكلة لا تلقى على عاتق الإعلام الغربي وحده، بل تقع أيضا على المواطن الغربي؛ لأنه انساق مع المعلومات التي يتداولها الإعلام، وهذا الأخير ليس له سلطة عليه إذا تحلى باليقظة والفطنة ورفض أسلوب التعمية بتحليله للمعلومات المعطاة،

---

[1]- الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، (م س)، ص 85.

[2]- هوفمان مراد ولفريد، وعبد المجيد الشرفي، **مستقبل الإسلام في الغرب والشرق**، (م س)، ص 140.

[3]- هوفمان مراد ويلفريد، **الإسلام عام 2000**، تر: عادل المعلم، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 2003، ص ص 55- 56.

ويُصور لنا الإعلام والسينما أن الرجل الغربي يتصف بالاستقلالية والعقلانية واتخاذ القرارات بنفسه دون تأثير الآخرين عليه، العامل الذي يمنحه تميزا عن الرجل الشرقي.

كما فات هوفمان أن الإعلام العربي والإسلامي أيضا يُمارس التكتيك نفسه والاستراتيجية بمؤازرة من التيار الإسلاماوي الذي يحجب الإسلام، فعلى سبيل المثال النساء اللواتي يرتدين الحجاب في أوروبا، أو في أي مكان من العالم هل ينسبن أنفسهن للتيار الوهابي؟ بالطبع الجواب لا، لكن سواء أكنا في لندن أم في الجزائر أم في السعودية يوهمن بأن ارتداء لباس يميزهن عن غيرهن من النساء واجب وشرط لإسلامهن.

ويتوارى وراء هذا المشكل دعوة إسلامية تُسوقها بلدان الخليج، ذلك أن أغلب القنوات الفضائية ممولة من قِبل الدعاة الإسلامويين بواسطة البترودولارات؛ وهذا الوضع لا يُفسح المجال للتيارات الفكرية التي تقف ضد هذا الخطاب المتخلف وترد عليه، وبعدا عن هذه الصور النمطية المجانبة للمبادئ الأصلية على الإعلام أن يحذر حين يصدر المعلومة[1].

ولم يقترح هوفمان حلا لمعضلة الإعلام الغربي الذي يصنع الوهم والسراب، علما أن أمريكا وحدها تُجند ما يربو عن 20 مؤسسة فيدرالية تُنتج آلاف الأنباء المرئية المصورة والمفبركة والواقعية تصل إلى ما لا يقل عن 254 مليون دولار، كما يُخبرنا جون نيكسونJohn B. Nixon (1928– 2005)[2]. ولهذا يحق لنا أن نتساءل: ما السبيل لمجابهة هذه الإمبراطورية الإعلامية الشرسة؟

و إن خوض غمار المنافسة وتحدي وسائل إعلام غربية شامخة؛ تتميز بالجودة في الصورة والصوت والفعالية والحضور القوي، تتمكن يوميا من استقطاب نسبة مهولة من المشاهدين في العالم، يبدو أمرا عبثيا وعويصا، فضلا عن غياب إعلام عربي فاعل، غير أنه ليس مستحيلا، فالأمة الإسلامية العربية حباها الله جلّ وعلا بثروات مادية تقدر ببلايين الدولارات وطاقات بشرية هائلة تستطيع إذا هي تحاشت

[1]– الشيخ خالد بن تونس وبرونو سولت، **الإسلام والغرب الدعوة للعيش معا**، تر: عصام طوالبي الثعالبي، دار القصبة للنشر، الجزائر 2019.ص 44.

[2]– بوفرة عبد الكريم، **من قضايا الإسلام والإعلام في الغرب**، روافد، الكويت، ط 1، 2008، ص 96.rawafed@islam.govkw

إيديولوجياتها الدينية الراديكالية المنغلقة وأرست مبادئ الإسلام الروحية الأصلية المتسامحة أن تؤسس لفكر إسلامي معتدل وسليم في المشهد الإعلامي الغربي والعالمي.

ولا يتحقق هذا الأمر إلا إذا خصصت الأمة الإسلامية ملايين الدولارات لإنشاء مرصد يجمع المادة الإعلامية يدرسها ويُحللها معتمدا على نخبة من المثقفين المهتمين بقضايا الإسلام والإعلام في الغرب، يُتقنون اللغات الأوروبية، بغية تحليل النصوص[1] وتنقيحها مما علق بها من تحريف وزيف في المعلومات، والسعي على مقابلتها بالرد الصحيح.

حتى ربط الصلة بين عامة المسلمين والمثقفين العرب المسلمين المستقرين في الغرب؛ بهدف تنبيههم إلى الأخطاء التي يقترفونها عن قصد أو جهل وهؤلاء العامة يدّعون معرفة كاملة بالإسلام في شقه التشريعي والفقهي والعقدي والتاريخي وغيره.

إضافة إلى عقد لقاءات مستمرة مع بعض المالكين لوسائل الإعلام الغربية الراغبين في تقديم صورة منصفة عن الإسلام في الغرب، والعمل على التعاون معهم وتبادل التجارب والبرامج وإنشاء قنوات فضائية من عدة لغات تتوجه إلى الرأي العام الغربي لتعرف بالإسلام المعتدل، متجاوزة النعرات الطائفية والنزعات العرقية[2].

2- الذاكرة الغربية مشحونة بالعداء والحقد

إن التعصب المتأصل حيال الإسلام تضرب جذوره في الماضي إبان الحروب الصليبية إذ جنّد مؤسسو هذه الحروب كل الوسائل سواء أكانت مادية أم فكرية لإشعال نار الكراهية، وحُجبت كل المعلومات الصحيحة عن الإسلام؛ لنشر كل ما هو خاطئ وكاذب عنه بين الناس يقول هوفمان:« **لم تمنع الحروب الصليبية تأثيرات هذه الحضارة. وبالرغم من ذلك، فالآن، لا يعد في الغرب الجهل بهذا الازدهار لهذه الحضارة العظيمة ثغرة ثقافية أو نقص معلومات. فكل الذي انطبع من الإسلام في أذهان الغربيين على مر العصور هو المعارك الحربية، مثل الحروب الصليبية وحروب الأتراك العثمانيين التي أوصلتهم إلى أبواب فيينا، وليس الازدهار الحضاري**

[1]- بوفرة عبد الكريم، من قضايا الإسلام والإعلام في الغرب (م س)، ص 128.

[2]- المرجع نفسه، ص 128.

والثقافي للإسلام وفضله على حضارة الغرب وتقدمه، وإلا لما بدا الإسلام لماكس فيبر(max weber) كدين حرب»[1].

يتبين من قول هوفمان أن الذاكرة الغربية لازالت أسيرة للمفاهيم القديمة المتأثرة بالتراكمات التاريخية التي تحكمت فيها المسيحية، لا يمكن اجتثاثها بسهولة ويسر، بل يتغذى منها العقل الغربي في كل آن وحين، ورغم كل المحاولات التي بُذلت ومازالت تُبذل؛ لمحو الصور المغلوطة وإزالة ما رسب بالذاكرة من مفاهيم غير صحيحة فإن سلطة ذلك الموروث يحول دون أي محاولة لرأب الصدع بين الإسلام والغرب.

ويعجب المرء من أن رواسب الماضي السحيق المنحرف ضد الإسلام والمسلمين يَلقى استجابة وترحابا من أكبر أعلام الفكر الغربي مثلما رأينا مع ماكس فيبر الذي يعتبر الإسلام دين حرب.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يتعداه إلى درجة أن ملك اليونان عندما حاول فرض المسيحية عنوة عام 1922م على المناطق خارج ميناء أزميز، حرص أن تطأ قدماه الثرى الذي وطأها العاهل الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد في الحروب الصليبية الثالثة سنة 1190م[2].

وتُؤيد مواطنته صاحبة كتاب" شمس العرب" المستشرقة زيغريد هونكه ما ذهب إليه هوفمان، حينما أكدت على أن علاقة الغرب بالإسلام تؤججها العواطف السلبية والأوهام بين الطرفين ووصفت الأيدي التي كانت السبب المباشر في تكوين هذه الصورة المشوهة؛ وأجهضت أية فرصة لإحلال الحوار والتسامح الديني بمحدودي الأفق، تقول:« **إن علاقة الغرب بالعرب منذ ظهور الإسلام حتى هذا اليوم لهي مثال تقليدي عن مدى تأثير المشاعر والعواطف في كتابة التاريخ، وكان هذا له مبرراته في عصر اعتبر فيه تأثير معتنقي دين آخر أمرا غير مرغوب فيه لخطره الوهمي. إن نظرة القرون الوسطى هذه لم تمت بعد، إذ أنه مازالت، حتى يومنا هذا، جماعة محدودة الآفاق بعيدة عن التسامح الديني تبني الحواجز في وجه النور، ولو بطريقة لا**

[1]- هوفمان ويلفريد، الإسلام في الألفية الثالثة، (م س)، ص69.

[2]- المصدر نفسه، ص 73.

شعورية نابعة من تصرف غائص متشعب الجذور في أنفسهم إزاء أناس جعلت الدعاوة منهم أبالس مجرمين بشعين، وعبدة أوثان وفنانين مزورين»[1].

لا نختلف مع هوفمان فيما ذهب إليه هوفمان، لكنه أغفل أن بعض الحركات الإسلامية هي الأخرى مشحونة بأفكار نمطية حاقدة ومغلوطة عن الغرب، فالغرب ككل عدو حضاري وملحد وصليبي مستعمر، تتكرس هذه النظرة بالخصوص عند الحركة الإسلامية السلفية، رغم استقلال جل الدول الإسلامية، مازالت صورة الغرب كمحتل سابق عالقة في عقول الحركات الإسلامية المعاصرة، كما يرتسم في العقلية المتطرفة صورة للغرب المنحل أخلاقيا المبيح للجنس والمسوغ لكل أنواع الجرائم[2]. ونعتقد أن رؤية الحركة الإسلامية المزعومة غير مؤسسة، وترفض رفضا مطلقا لجل منجزات الحضارة الغربية.

3-المستشرقون

نسج المستشرقون صورة سلبية عن الإسلام أهم ملامحها:

- ✓ أن الإسلام لا ينسجم مع الحداثة.
- ✓ أن الإسلام عدو للديمقراطية وحقوق الإنسان.
- ✓ أن الإسلام مناهض للقيم الغربية وأسلوب الغرب في الحياة.
- ✓ أن الإسلام غريب عن التراث الإنساني المسيحي الغربي.
- ✓ أن الإسلام يطبق قانون عقوبات وحشي يسمى الشريعة[3].

كما يهدف المستشرقون إلى تشويه صورة الإسلام وتعاليمه ومبادئه؛ لزرع بذور الشك في نفوس المسلمين بطريقة تضعف فيهم التمسك بدينهم والتمهيد لعولمتهم وصهرهم في الثقافة الغربية، إضافة إلى ذلك يعمل المستشرقون على ترسيخ الموروث الثقافي وتعميقه والبحث عن الأدلة الملفقة لإضفاء المشروعية عليه، يقول هوفمان: **«يعكس تفكير المستشرقين في أسوإ صورة كما اعتنقه ومارسه مستشرقون بريطانيون وفرنسيون وهولنديون في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين...ولقد عمل هؤلاء**

---

[1]- هونكه زيغريد، **شمس العرب تسطع على الغرب**، تر: فاروق بيضون و كمال دسوقي، دار الجيل بيروت، الطبعة الثامنة 1993، ص ص 12-13.

[2]- البيومي غانم إبراهيم، **صورة الغرب عند الحركات الإسلامية المعاصرة**، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، عدد 1115 ، شهر سبتمبر1994، ص 41.

[3]- هوفمان مراد ولفريد، وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، (م س)، ص 154.

المستشرقون على زيادة المعرفة بالإسلام للجهات التي خدموها ولكنهم عرقلوا المعرفة الحقيقية ومنعوا العلم بها عند عامة الناس بسبب الأحكام المسبقة ضد الإسلام»[1].

ويكاد يتفق هوفمان مع التحليل الذي اضطلع به إدوارد سعيد في أن الصورة التي رسمها الغرب عن الشرق هي في جزء كبير منها نتيجة لانعكاس ميول ورغبات وإسقاطات الغرب على الشرق من دون أن يعترف الغرب أنها متجذرة في أعماقه نفسيته ومتغلغلة في شعوره الدفين[2].

ولا يختلف اثنان أن الاستشراق رسم صورة زائفة عن الإسلام والمسلمين، لكن في المقابل من ذلك هناك مستشرقون كثر عملوا على إنصاف الإسلام وذادوا عنه، ومنهم من رفض ما يشاع على الإسلام جملة وتفصيلا، ورد على التهم التي ألصقت به مثل آنا ماري شيميلAnnemarie Schimmel الألمانية*، ومنهم من درس الإسلام دراسة مستفيضة، وانفتحت قلوبهم إليه، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ألفونس إيتيان دينيه * Alphonse-Étienne Dinet ، ولا يفوتنا في هذا المقام ذكر المستشرق موريس بوكاي Maurice Bucaille (1920– 1998) مؤلف « الكتاب المقدس والقرآن والعلم» الذي يشيد به هوفمان تارة وينتقده تارة أخرى ضمن كتابه" يوميات ألماني مسلم"[3]، ولقد قام موريس بوكاي بالمقارنة بين الأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحة والإسلام؛ ليدرك أي كتب هذه الديانات نقلت الوحي الإلهي الصحيح .

4- تحميل المسلمين وزر غيرهم

يُبغض هوفمان الكثير من الإحداثيات التي تتم في أوروبا ضد المسلمين، ذلك أن المجتمع الغربي يتصيد ويتحين الفرص لإطلاق مشاعر الحقد والكراهية عليهم، فامتداد مشكلة البطالة التي تشهدها أوروبا يتحمل المسلمون أعباءها، لأنهم يستولون على جل فرص الشغل التي تعرض في الغرب، وتغدو هذه المشكلة قيمة إضافية تُدرج مع الأحكام المسبقة ذات الطبيعة الدينية والعنصرية، رغم أن الغرب يدفع بالمسلمين إلى

[1]- الإسلام في الألفية الثالثة، (م س) ، ص ص 74- 75.

[2]- المصدر نفسه، ص 72.

* ولدت في 7 أبريل 1922 من ديانة بروتستانتية، اعتنقت الإسلام، توفيت 2003.

* ولد في باريس عام 1861م واعتنق الإسلام سنة 1913، توفي 1929.

[3]- أنظر إلى الكتاب، الصفحات، 178- 179- 180.

مزاولة أعمال لا يرغب فيها مواطنوه مثل شق الطرق والمناجم وأعمال النظافة وسائر الأعمال الخطيرة.

ويزداد الأمر سوءا عندما يُلاحظ أن المسلمين في الغرب يتحملون أوزار كل ما يحدث في العالم الإسلامي والغربي« **وسرعان ما يحولهم الغربيون إلى كبش فداء لكل الأحداث المُفزعة، مثل إلقاء قنبلة على قرية كردية في العراق، ومثل حادثة لوكربي أو مجزرة الجزائر(بغض النظر عمن قام بهذه المجزرة)، أو أي اغتيال لمفكر إيراني، أو إلقاء قنبلة يدوية على سائح غربي في مصر. أي حوادث من هذا النوع يحملها الغرب لكل مسلم شخصيا**»[1].

ومعنى هذا أن الغرب يُسوق لإيديولوجية مفادها: لا عدو للإنسانية وللعالم قاطبة إلا الإسلام، فما يشهده العالم من إرهاب وإجرام وتقييد للحريات وشر وبطالة كلها الإسلام مسؤول عنها.

نوافق هوفمان هوفمان في أن المسلمين فعلا يتحملون جل أوزار ما يحدث من مصائب يقترفها آخرون، ومن الجانب الآخر غاب عنه أن الحركات الإسلامية التي تقترف أعمال قتل وعنف ضد السياح الأجانب الغربيين في شتى دول العالم، تنطلق من المُسَلمة نفسا وتُحمل المواطنين الغرب جرائر الساسة والإعلاميين والحركات العدائية، وقتلى 11 أيلول 2001 الذي يربو عن 2823، ومذبحة الأقصر في مصر عام1997 والتي أسفرت عن حوالي 62 من جريح وقتيل لدلالة واضحة على هذا الأمر وغيرها كثير.

5- انتشار الحركات المعارضة للإسلام

رغم الجهود المبذولة من طرف الجالية المسلمة للتفاعل والاندماج في المجتمعات الغربية، إلا أن الكثير من الحركات المعارضة للإسلام والمسلمين تحول دون ذلك يقول هوفمان:« **ولقد عبر مسلم ألماني عن هذا الوضع منذ فترة قصيرة، حيث قال:" إنني كلما اندمجت بشكل أعمق في الجماعة الإسلامية، يتم انتزاعي أو طردي من المجتمع الألماني " ويضيف: "لقد تعلمت أن بعض الألمان لا ينظرون إلى الدستور على أنه ركيزة أساسية للتعايش الديني والثقافي " وانطباعه الشخصي هذا ليس خادعاً، فبناء على استبيان تم في**

[1]- الإسلام في الألفية الثالثة، (م س)، ص 206.

أبريل عام 1997 يرى نصف تعداد الشعب الألماني فقط أن للمسلمين نفس الحقوق التي يتمتعون بها، وقدر 30% من الذين شملهم الاستبيان أن المسلمين الذين يعيشون في ألمانيا...إنما يشكلون خطراً جسيما»[1].

ونفهم من قوله أن جل الشعوب الغربية تقف موقفا سلبيا من الإسلام والمسلمين، لذا زادت وتيرة عداء اليمين المتطرف وحركة النازيون الجدد خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 إلى حد المطالبة بطرد المسلمين من الغرب وإلغاء هجرتهم.

وقد أُحرق مبنى يضم مسجدا للجالية التركية في ألمانيا، وأكدت الشرطة أن الأدلة تثبت أن الحريق وراءه مجموعة يمينية ألمانية متطرفة معادية للأجانب، كما حرق متطرفون مسكن لعائلة بوسنية مسلمة شمال ألمانيا، وسجلت جامعتين ألمانيتين مونستر وترير وفق دراسة قامتا بها حالات اعتداء على أجانب مورست خلالها أساليب التعذيب النفسي والبدني ضدهم مثل الاعتداء الجنسي والإعدامات الصورية كإطلاق النار على رأس المعتدى عليه بمسدس فارغ[2].

6- اعتقاد الغرب الخاطئ أن الإسلام ديانة عربية

هناك اعتقاد سائد عند الغرب مفاده أن الإسلام دين شرقي خاص بالعرب والسود والملونين ولا شأن له بالبيض وهذا الطرح نلمسه أيضا عند القوميين العرب؛ إذ يؤكدون أن الإسلام دين قومي عربي، بيد أن هوفمان يستنكر هذا الاعتقاد ويرد عليه قائلا:« **ويعد سؤال ماذا يريد الإسلام في الغرب صياغة لسؤال: ما شأنه أصلا بالغرب؟ ويتضمن هذا السؤال اعتقادا خاطئا بأن الإسلام ديانة عربية، وبالتالي شرقية، وهي بصفتها هذه لا تصلح لأوروبا وأمريكا»**[3].

ويعزو هوفمان السبب إلى أن الإسلام مثله مثل المسيحية واليهودية نشأ في الشرق بل إن تاريخ المسيحية يؤكد أنها ديانة شرقية أكثر من الإسلام« **إذا قارنا الإسلام؛ بالمسيحية من ناحية التاريخ الفكري، لوجدنا أن المسيحية تعد دينا شرقيا أكثر من الإسلام؛ لأن المسيحية على نقيض الإسلام استوعبت عناصر كثيرة بجانب ميراثها**

[1]- الإسلام في الألفية الثالثة، (م س)، ص 205.

[2]- الأصور خالد محمد، **الجاليات الإسلامية في أوروبا**، دار الاعتصام للنشر، القاهرة 1998، ص ص 132 - 133.

[3]- الإسلام في الألفية الثالثة، (م س)، ص 200.

اليهودي... من الديانات ومدارس الفكر الشرقية مثل الزرادشتية، والمانوية، والمازدكية، والأفلاطونية الجديدة، والغنوصية، والعبادات السرية الرومانية وتأثيرات إيرانية»[1].

ثانيا: عوائق سببها المسلمون

1- المسلمون الليبيراليون

يشجع الغرب الإسلام الليبيرالي ويرى فيه أنموذجا يتعين على بقية المسلمين الاحتذاء به، لأنه إسلام عصري يتكيف مع الليبيرالية الغربية ويحمل أفكارا متفتحة لا يكترث بحدود الإسلام ومحرماته ويتمتع بجميع الحريات « **وهناك ضرر بالغ يلحق بمستقبل الإسلام في ألمانيا، وهو متمثل في النشاط الذي يمارسه بعض الأفراد الذين استوطنوا ألمانيا من القادمين من العالم العربي، خاصة هؤلاء ممن لهم خلفية ليبرالية أو ماركسية. هؤلاء المسلمون الثقافيون يستغلون المصداقية التي يحظون بها في وسائل الإعلام للدعاية لما يسمى بال"Euro – Islam". اليورو إسلام (قليل من الإسلام وكثير من الأوروبي) وهؤلاء يجعلون المسلمين النشطين يظهرون بمظهر المتطرفين»**[2].

وكأن لسان حال الغرب يقول حسب هوفمان:« **لماذا لا تستطيعون أن تكونوا مثل هؤلاء المثقفين؟ فهم لا يريدون بناء مساجد، ولا يحجون، ولا يصلون دوما، كما أنهم يتناولون الخمر ويسمحون لنسائهم بالخروج مكشوفات الأذرع. أو ليسوا هم الآخرون مسلمين؟»**[3].

وتطفح المدن الغربية بالحانات والمراقص التي يملكها المسلمون، وكثيرا من محلات بيع الخمور والمجلات الخلاعية وبيع لحوم الخنزير يديرها مسلمون.

ويتباهى بعض المسلمين في الغرب فيما بينهم عندما يتلاقون ويكشفون عن عدد القاصرات اللائي فقدن عذريتهن بسببهم، ومعظم المتورطين في تجارة المخدرات وتسويقها ينحدرون من أصل إسلامي[4].

---

[1]- الإسلام في الألفية الثالثة، (م س)،ص 200.

[2]- المصدر نفسه، ص 206.

[3]- المصدر نفسه، ص 206.

[4]- أبو زكريا يحيا، **الإسلام والغرب**، حقوق النشر الإلكتروني محفوظة www.nashiri.net ، 2004، ص ص 60-61.

2- تشتت المسلمين الطائفي والمذهبي

يتمركز المسلمون في الغرب في شكل تكتلات طائفية ومذهبية عقدية أو فقهية كما نألف ذلك في بلدهم الأصل، فانقسموا إلى فرق منها ما يقوم على اللغة كالعربية، أو البوسنية أو التركية أو الإيرانية ومنها ما يتأسس على الطائفية كالسنة والشيعة، وهناك مجموعات تنتمي إلى قومية معينة مثل القومية البنغلاديشية أو الأوردية أو الألبانية، وهذا يُفضي حسب هوفمان إلى ظهور أقليات إسلامية ضعيفة ومتفرقة، ويقلل ذلك من تقبل الغرب لهم« **يقلل سلوك المسلمين في الغرب– للأسف– من فرص تقبل هذا الغرب لهم وله. ويعود هذا إلى تفرقهم وتشرذمهم. فإنك دائما وأبدا تجد منظمات متصارعة واتحادات تحكمها العلاقات الإثنية. فالصراعات الفردية تعوق استعداد المسلمين للعمل الجماعي. ويضاف إلى ذلك اتجاه يمارسه المسلمون الأقل تعليما وثقافة... يمارس هذا الاتجاه التراشق بالألفاظ والتفسيرات المختلفة للقرآن وأحاديث الرسول، ويركز مجهوداته في الكشف على العناصر التي تجعل الإسلام يبدو وكأنه دين يعادي الحياة ويعارض المتع كافة»**[1].

لا اعتراض على صحة ما ذكره هوفمان، و نضيف أن من بلايا هذا العصر أن الكثير من المسلمين في الغرب حفظوا حديث أو حديثين، وقرأوا تفسير آية أو آيتين وتجدهم يكفرون هذا ويبدعون آخر ولا تسمع منهم إلا هذا حرام وهذا مكروه واختزلوا الإسلام في هاتين الثنائيتين، لذا فإنهم بسلوكهم هذا يقللون من فرص تقبل الغرب لهم.

كما أن جل الذين يديرون المساجد في الغرب يمزجون بين الدين والثقافة، ويسلكون مسلكا دينيا متشددا ويدّعون معرفة بالإسلام تامة وصحيحة حتى وإن كان ذلك مجرد زعم، يقول جيفري لانغ: « **إذ يدير غالبية المساجد في أمريكا مهاجرون أو طلبة أجانب زائرون؛ كثيرون منهم يساوون الإسلام بنسخه المعروفة في مواطنهم التي تدمج في إطارها العادات والمواقف التي لا علاقة لها أساسا بما يتطلبه النص الديني صراحة. ولموائمة المنظورات الثقافية المتنوعة مع الجالية الإسلامية الأمريكية، يتبنى زعماء الجالية غالبا وجهة النظر الأكثر تشددا، ولو كان ما يعززها من الأحاديث**

[1]– هوفمان ويلفريد، الإسلام في الألفية الثالثة، (م س)، ص 207.

ضعيفا أو من القرآن غامضا... ربما يكون الجمود نتيجة كون المحافظين أكثر الفئات توحدا وحزما في المسجد»[1].

ويمكن تحاشي هذا المشكل بالعمل على بذل الأموال من طرف الأمة الإسلامية لإعداد جيل من الدعاة ذوي أفق واسع ضالعون في مختلف اللغات، يتمتعون بمعرفة كبيرة عن الإسلام في شقه التشريعي والفقهي والعقدي والتاريخي وغيره يديرون المساجد والمراكز الإسلامية في الغرب ويصلحون ما تم تخريبه وإفساده.

3- عدم وجود شكل دولة إسلامية نموذجية بالفعل

يعتقد هوفمان أنه توجد ثغرة كبيرة عند المسلمين تحول دون تقبل الغرب لهم هي عدم توصل المسلمين إلى شكل معترف به لنظام حكم سياسي يكفل مسألة حقوق الإنسان ووضع المرأة، وينهج نظام اقتصادي واضح « **إنه لأمر محزن أن يرتبك المسلم عندما يسأل عن دولة إسلامية نموذجية موجودة بالفعل. ولكن ما يربك أكثر من السؤال هو حقيقة أن هذا هو الأمر الواقع فعلا. ولذلك فلابد أن يتم تغيير ما**»[2].

ويبدو أن هوفمان على الصواب عندما أثار هذه المشكلة وذلك أن المسلمون اليوم يعيشون معضلة سياسية صارخة ويشهدون تخلف سياسي بائن مما يدل على ضعفهم ونكوصهم.

ومما لا شك فيه أن المسلمون يطالبون بالالتزام بالدين الإسلامي في حياتهم ومماتهم، غير أنهم لا يلتزمون به مرجعا للدولة، فالمسلمون يختلفون ويتنازعون حول جعل الإسلام مرجعية أساسية للمشروع الحضاري[3].

ولقد فشلت الحركات الإسلامية المعاصرة في صياغة نموذج دولة، وهي بذلك تعيش أزمة في النصوص، و في المفاهيم و في الفعل.

أما على مستوى النصوص، فمنذ الكتابات المؤسسة لأبي الأعلى المودودي وحسن البنا وسيد قطب وعلي شريعتي ومحمد باقر الصدر لم يعد هناك في كل لغات الأمة غير الوعظ الديني والشروحات المبتذلة والاستشهاد بكبار الكتاب الدينيين[4].

---

[1]- جيفري لانغ، **ضياع ديني، صرخة المسلمين في الغرب !!** تر: إبراهيم يحيى الشهابي، دار الفكر، دمشق 2007، ص ص 20-21.

[2]- الإسلام في الألفية الثالثة (م س)، ص 207.

[3]- عمارة محمد، **أزمة الفكر الإسلامي الحديث**، دار الفكر دمشق، ط 1 1998، ص66.

[4]- أوليفييه روا، **تجربة الإسلام السياسي**، ترجمة نصير مروة، دار الساقي، بيروت- لبنات، ط 3، ص 65.

وتتجلى الأزمة على مستوى المفاهيم في غموض والتباس هذه الأخيرة مما أفضى إلى انسداد في الأفق مثل غموض مفهوم الأمير الذي يطغى على المستوى التنظيمي للإسلاميين وتسكت الكتابات الإسلامية حول طريقة تسمية الأمير وحول صلاحياته وحدودها[1].

وهذين الأزمتين تفضيان إلى أزمة ثالثة على مستوى الفعل« **لا الثورة الإسلامية في إيران الغارقة في الأزمة الاقتصادية، وصراع الفصائل والمجموعات، ولا المناطق المحررة من أفغانستان، التي تمزقها النزاعات القبلية والعرقية، قد تكون مثالا لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع الإسلامي** »[2].

وقد أشار هوفمان إلى أنه لابد أن يتم تغيير ما، إلا أنه لم يقترح تصورا لكيفية هذا التغيير.

4- وضع المرأة

يعد هوفمان وضع المرأة من أكبر الحواجز التي تقلل فرص التفاعل بين الإسلام والغرب « **لا يوجد ما يضر بفرص الدعوة الإسلامية مثل اقتناع الغرب أن النساء في الإسلام مواطنات من الدرجة الثانية، مهمشات، مقموعات، محنطات، أو مدفونات بالحياة**»[3].

ويستطرد قائلا:« **سيكون أصعب من ذلك، أي من التعدد، بل ومستحيل إلى فترة ما، إقناع الغرب بوجهة النظرة الإسلامية، خلق الرجال والنساء ليقوما بأدوار مختلفة متماثلة في الكرامة، بنفس اختلافهما ولكنهما، أي الأدوار، مكملة لبعضهما**»[4].

وأما معارضو تعدد الزوجات فنسوا أنها كانت ظاهرة منتشرة لدى مختلف الشعوب كما ورد ذلك في الكتاب المقدس بخصوص حرم سليمان وداود. وفي عصرنا هذا لاتزال موجودة باسم –العلاقات خارج إطار الزواج–، من قبل شخصيات مشهورة ورؤساء دول، أما الإسلام فقد اكتفى بتنظيمها تشريعيا، وتحقيقا للعدل حدّد القرآن عدد

[1]– عفيف عثمان، **إخفاق الإسلام السياسي**، مجلة منبر الحوار، السنة التاسعة، عدد31، 1994، ص 131.

[2]– أوليفييه روا، تجربة الإسلام السياسي، (م س)، ص 65.

[3]– هوفمان ويلفريد، **الإسلام عام 2000**، (م س)، ص 51.

[4]– المصدر السابق، ص 51.

الأزواج بأربعة[1]. والآن يحق لنا أن نتساءل، لماذا يعتبر تعدد الزوجات عند المسلم رغم مشروعيته عيبا ومهانة للمرآة، ولا يعد تعدد خليلات الإنسان الغربي جرما وانتقاصا للمرأة الغربية رغم عدم مشروعيته وصلاحيته؟

وإن شيوخ إندونيسيا Kiai التقليديون لا يرون أن تعدد الزوجات تشريعا إسلاميا، بل يرونه أنه تقليد غير إسلامي، أي ينتمي إلى تراث سابق على الإسلام، ولكن الإسلام استخدمه لحل مشكلة اليتامى، من أجل تحقيق العدل في التعامل معهن[2].

كما أن عادة تعدد الزوجات لا تتعلق بالإسلام على الإطلاق، لأنها كانت شائعة قبل الإسلام بين جميع شعوب الشرق من اليهود والإيرانيين والعرب وغيرهم[3].

ويعد مرتضى مطّهري أن الزواج حق من حقوق الإنسان، ولائحة حقوق الإنسان جاءت ناقصة، لأنها لم تدرج هذا الحق ضمن ديباجة حقوق الإنسان العالمية، فكلا الجنسين له الحق في بناء عش الزوجية والظفر بزوج وإنجاب أطفال وبما أن عدد النساء يزدن على عدد الرجال، ومادام الزواج حق طبيعي للإنسان، فإن الاكتفاء بزوجة واحدة سيحرم شريحة كبيرة من النساء من حق طبيعي إنساني هو حق الزواج[4].

وتشهد المواطنة الألمانية التي اعتنقت الإسلام الكسندرا براون Alexandra Braun عن كذب المستشرقين وغسيل الدماغ الذي مارسه عليهم الإعلام في ريعان شبابهم عن الإسلام والمرأة قائلة: « **كثير مما يقدمه الغرب عن الإسلام مشوه، ولم أجد أمامي سوى الكتب المشوهة التي ألفها المستشرقون؛ حيث كانت تمدني بمعلومات خاطئة كالقول كذبا أنه ظلم المرأة وحارب الغرائز الطبيعية في الإنسان بدليل أنه حرم الزنا**»[5]

---

[1]- الشيخ خالد بن تونس، **الإسلام والغرب الدعوة للعيش معا**، (م س)، ص ص 85- 86.

[2]- نصر حامد أبوزيد، **التجديد والتحريم والتأويل بين المعرفة العلمية والخوف من التكفير**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2010، ص 52.

[3]- مطهري مرتضى، **نظام حقوق المرأة في الإسلام**، دار الكتاب الإسلامي ستار، إيران، الطبعة الأولى، 2005، ص 360.

[4]- المرجع السابق، ص ص401- 402.

[5]- حلمي محمد، **علماء الغرب يدخلون الإسلام**، النهضة العربية للصحافة والإعلان، الطبعة الأولى، 1994، ص http://kotob.has.it.113

ثالثا: قواعد التفاعل بين الأنا والآخر

1- محاولة تقليل حيز الاختلافات والنزاعات

يعتقد هوفمان أن هناك أربعة معايير يتمظهر فيها تباين المسلمين عن الأوروبيين، وهذه الاختلافات تزيد من توسيع الهوة بين الطرفين وتتجلى في:

أ- المظهر الخارجي للمسلمين ممثلٌ في حجاب المرأة واللباس واللحية واللغة المنطوق بها والعبارات الأكثر شيوعا مثل الحمد لله، إنشاء الله كلها تثير ردود أفعال هيستيرية.

ب- تبضع المسلمين في الأسواق الأوروبية يفضي إلى تقزز الأعصاب وفورانها، فهم يقرأون محتويات السلع بدقة حرصا منهم على ألا يتناولون منتجا يحوي لحم خنزير، أو أيس كريم يقدم لهم في مطعم تكون فاكهة الكريزر المحلى بها الأيس كريم قد تشربت بأي نوع من الخمور. إضافة إلى ذلك قد لا يطعمون إلا السمك؛ لأن اللحوم لا تذبح بما يتناسب مع دينهم ولا يستسيغون لقمة إلا بأيديهم، ناهيك عن حرصهم على تناول الطعام وهم جلوس.

ت- يُزعج المسلمين بسلوكاتهم وكثرة طلباتهم، فهم يبدأون صلاتهم في الظلام وأثناء مزاولة أعمالهم، ويصومون فترة طويلة في السنة ويأخذون إجازة خارج موعدها المحدد إذا تعلق الأمر بالحج إلى جانب مطالبتهم ببناء المساجد وتخصيص مقابر خاصة تتجه صوب مكة، فضلا عن ذلك فإنهم يبخلون على موتاهم بتابوت فيقبرونهم بدونه.

ج- يتبعون في حياتهم ما جاء به قرآنهم، وما توصي به تقاليدهم إلى جانب موقفهم الرجعي من المرأة[1]، وكل هذه السلوكات والصوارف قد عفا عنها الزمن وتقف حاجزا بين التعايش والتفاعل بين الطرفين.

وليس معنى هذا حسب هوفمان أن يتخلى المسلمون عن اختلافاتهم وما يميزهم كمسلمين والتماثل مع الحضارة الغربية والاندماج فيها بصورة نهائية؛ لأن هذا سيفضي إلى نتائج سلبية لكلا الجانبين وذلك أن المسلمين يعتبرون الإسلام وأنفسهم كبديل لأسلوب الحياة الغربية القائمة على الملذات المادية والحسية.

[1]- الإسلام في الألفية الثالثة (م س)، ص ص 202- 203.

وما ينبغي على المسلمين الاضطلاع به من أجل التعايش بينهم وبين الغرب هو تقليص حجم الاختلافات إلى الحد الذي يذيب ردود الفعل الهستيرية وينقص من الحساسيات بين الطرفين والتصرف بمنأى عن النقاط التي تُؤجج النزاعات عن طريق التمييز بين الجوهري في الإسلام أي الدين والثانوي أي الموروث الثقافي، برغم علو شأنه عند المسلمين.

ويرى هوفمان أن بإمكان المسلمين التغاضي عن الموروث الثقافي من أجل اندماج أفضل وتعايش ممكن؛ لكن بدون انصهار وذوبان كامل؛ وللظفر بذلك على المسلمين أن يغيروا من أسلوب حياتهم في الأكل وفي الهندام وذلك باستخدام أدوات الأكل وغسل أسنانهم بالمعجون عوض السواك وارتداء ربطة العنق وهذا كله يصب في مصلحتهم وُييسر أمر تقبل الغرب لهم.

أما فيما يتعلق بالعقيدة والعبادات والأخلاق وما تنص عليه الشريعة فلا مجال للدنو منه والمساومة فيه، و ما يخرج عن هذا فهو أمر ممكن وجائز قابل للتطبيق[1].

ويشير هوفمان أنه رغم الجهود المبذولة من طرف المسلمين سعيا وراء اندماج أفضل، غير أن أسلوب الحياة الغربية يستفز الشباب المسلم ويغريه ويقلبه عن دينه بإقناعه أن هذه العقيدة هي سبب تخلفه.

ويدعو هوفمان المسلمين إلى استدراك ما فاتهم عن طريق عمل تنويري إصلاحي إسلامي وإن لم ينهضوا بذلك فلا يمكن للإسلام أن يكون بديلا للحضارة الغربية، إذ يظل حضارة متخلفة جامدة[2].

ولا أعتقد في ما ذهب إليه هوفمان أن التقليل من حجم الاختلافات بين المسلمين والغرب يفضي إلى تفاعل أكبر بينهما، والدليل تجربة هوفمان الإيمانية، حيث رغم انتمائه لدولة ألمانيا وارتدائه زيّهم وربطة العنق ومخاطبتهم بالألمانية، ونفوذه الدبلوماسي إلا أن ذلك لم يشفع له قط، فكان ضحية حملات شرسة وراءها الإعلام وحركات مناهضة لإسلامه « **ووجهت لي الحملة اتهامات عديدة، منها أنني أؤيد الزواج بأكثر من امرأة واحدة، وكذلك أؤيد الاعتداء بالضرب على النساء، وبتر**

[1]- الإسلام في الألفية الثالثة (م س)، ص 204.

[2]- المصدر نفسه، ص 206.

الأيدي، ورجم الزاني... أنني أرغم السيدات اللاتي يعملن معي في السفارة بالرباط على ارتداء الحجاب... وأني دفعت أحد العاملين معي إلى الموت»[1].

ولعل الحركات المعادية للأجانب ذات الانتماء اليميني المتطرف حرقت واعتدت وتحرشت بكل شخص ثبت أنه أجنبي، لأنه لا يهمها إن كان المعتدي عليه مسلم أو غير مسلم.

أما قوله إن أسلوب الحياة الغربية يستفز الشباب المسلم في الغرب ويُغريه هو قول صحيح، وربما لم ينتبه هوفمان أن الغرب يُغري ويستفز كل العالم وحتى المسلمين في عقر دارهم، ويجتهد في بيان أن كل ما ليس غربي سواءً أكان دينا أو أفكارا أو سلعة فهو متخلف وغير ناجع.

ويبدو أن هوفمان يُخلط من جديد في الأوراق عندما أقر «**بأن المسلمين إذا لم ينهضوا، لا يمكن للإسلام أن يكون بديلا للحضارة الغربية؛ إذ يظل حضارة متخلفة جامدة**»[2]، وهو لا يُميز بين الإسلام كعقيدة وشريعة مبادئ وقيما، وبين المسلمين من حيث تمثلاتهم وسلوكاتهم، تطورهم وتخلفهم، لأن الإسلام ليس له علاقة بالتخلف أو التقدم المادي، وإنما له صلة بالتقدم الروحي والقيم الأخلاقية ولو تأملنا في آيات القرآن الكريم لعهدناها دائما تُميز بين السلوك الخيّر والسلوك الشرير وتُنير الطريق للرقي الروحي؛ ناهيك على أن الالتزام بمبادئ الإسلام وشريعته يُفضيان إلى ذروة الحضارة وقمتها.

كما عرفت الحضارة الإسلامية ذروتها لما وضعت الإنسان في قلب الانشغالات العلمية والروحية وكان الإنسان يسعى ليكون خليفة الله في الأرض« **فقد دعت رسالة الإسلام، منذ بدايتها الإنسان إلى السمو نحو الضمير العالمي الذي يجعل منه خليفة الله في أرضه. إن هذا المنظور الجوهري يحث على التحلي بمكارم الأخلاق، بواسطة الإحسان، وذلك قبل المعتقدات والعبادات. لذلك نجد الإسلام في زمن ذروته يمجد فكرة "العيش معا"، من خلال تشييد حضارة تضع الإنسان في قلب الانشغالات الاجتماعية**

[1] – هوفمان ويلفريد، الطريق إلى مكة (م س)، ص 157.

[2] - الإسلام في الألفية الثالثة (م س)، ص 206.

والفلسفية والعلمية والروحية. بفضل ذلك عرفت حضارة الإسلام عصرها الذهبي بين القرنين التاسع والحادي عشر للميلاد»[1].

وبناءً على ما سبق يمكننا أن نتساءل: ما أسباب تحول هوفمان وغيره من الغرب إلى الإسلام؟

هل التطور الحضاري والتكنولوجي الذي ينعم به الإسلام أم الارتقاء الروحي والأخلاقي الذي يُميزه؟

أعتقد أن القلق الروحي الذي تكبده هوفمان هو الذي دفعه إلى التفكير والبحث عن الأجوبة خارج ديانته الأصل وبحث عنها في دين آخر هو الإسلام رغم أنه ينحدر من ديانة متطورة ومتحضرة هي الديانة المسيحية الغربية ، والدين الإسلامي ينتمي إلى قوم متخلفين حضاريا كما عبر هوعن ذلك، وما يُثبت أن الغنى الروحي والسمو الأخلاقي للمسلمين هما اللذان جذبا هوفمان إلى اعتناق الإسلام والاطمئنان إليه؛ هو ذِكره حادثة جرت له حينما تعرضت زوجته للإجهاض وبدأت تفقد وعيها، وتحسبا للطوارئ أخبرته أن فصيلة دمها هي(0) ذات(RH) وسمعها سائق سيارة الإسعاف الجزائري، فعرض عليهما التبرع بدمه الذي هومن نفس فصيلة دمها، فأدهش هذا التصرف هوفمان وشرع يبحث عن السر في ذلك السلوك في قراءة (كتابهم) والتعبير لهوفمان، ومن هنا بدأت رحلة إيمانه.

وأمام القتل البشع والمعاملة السيئة التي تعرض لها الشعب الجزائري من طرف منظمة الجيش السري الإرهابية وشدة تحمله للآلام والتزامه في رمضان، ويقينه من الانتصار، كل ذلك كان مدعاة لإسلامه[2].

2- مراجعة التراث وضبط السنة الصحيحة

تعود أسباب الخلافات بين المسلمين حسب هوفمان إلى تعدد معاني وتفسيرات السنة النبوية الشريفة وهذا ما نلمسه من صورة أحاديث تختلف عند الفرق الإسلامية من سنة وشيعة وإباضية.

[1]- الشيخ خالد بن تونس وبرونو سولت، الإسلام والغرب الدعوة للعيش معا، (م س)، ص22.

[2]- هوفمان ويلفريد، الطريق إلى مكة، (م س)، ص ص32 - 33.

حاج هوفمان عن ذلك بأن السنة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم وعلى أساسها يمكن تفسير الوحي ولا يمكنها أن تسلم من التشكيك في صحتها، ناهيك على أن الرسول الأكرم كان قد نهى عن كتابة أقواله حتى لا يتم خلطها بالقرآن الكريم، ثم سمح بذلك لاحقا، كما أن السنة لم تحفظ في القرن الهجري الأول وقتما حُفظ القرآن الكريم بل تم تدوينها في القرن الثاني بعد الهجرة، ويعتقد هوفمان أن الخطر الحقيقي يكون في وضع أحاديث غير صحيحة لتحقيق أهداف سياسية معينة.

ورغم وضع علماء الحديث شروط دقيقة لكي لا يقعوا في شرك هذه الظاهرة، غير أنهم انشغلوا بصحة السند و أهملوا المتن- فحوى الرواية- ولم يستخدموا اللغة والتاريخ والأوضاع السياسية كآلية لفحص المتون وهنا تكمن المشكلة.

وحسب هوفمان ثغرة يلج من خلالها المستشرقون لاستبعاد السنة بحجة عدم تمكنهم من التحقق منها*، ولهذه الأسباب ينصح هوفمان علماء الإسلام القرضاوي ومحمد الغزالي وغيرهم إلى اتباع أحدث المناهج العلمية للفصل في صحة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

ونحن نوافق هوفمان أنه يستوجب على علماء الإسلام استثمار المناهج الحديثة لتطهير السنة النبوية الشريفة من الشوائب التي علقت بها، ذلك أنه لا يأمن المسلمون من إمكانية وضع أحاديث من الحاقدين والأعادي؛ يُريدون النيل من الإسلام والمسلمين ويسعون إلى تشتيت شملهم، مثلما نلمس ذلك في واقع المسلمين بين الفرق الإسلامية وعلى الخصوص فرقتي السنة والشيعة، بيد أن هذا لا يفيد بأن المسلمين الأوائل لم يبذلوا قصارى جهودهم في تحقيق الأحاديث وإخضاعها للتجريح والتمحيص لبيان غثها من سمينها، وضعيفها من صحيحها، وهذا ما تعهده العالم الفرنسي موريس بوكاي في دراسته الفكرية المجردة الهادفة إلى كشف الحقائق بالحجج الدامغة والأدلة الساطعة، يقول: « **إن مجموعات الأحاديث التي تعد صحيحة، قد مُورس عليها نقدا وتجريحا عميقا من قبل أساتذة الفكر الإسلامي لإدراك مدى صلاحيتها والعمل وفقها، عكس**

* يشير هوفمان إلى أن محمد توفيق صدقي يوافق على رأي المستشرقين من خلال كتابه "**الإسلام هو القرآن وحده**" ويؤيده كل من **روجي غارودي** والسوري **محمد شحرور** الذي يعتبر التنزيل الإلهي هو الوحيد المقيد، وكل ما خلاه إنما هو إرث قانوني.

[1]- هوفمان ويلفريد، الإسلام في الألفية الثالثة، (م س)، ص ص 210-212.

الأناجيل القانونية التي لم تخضع للنقد والاعتراض، رغم أنها دُوّنت بأيدي رجال لم يشهدوا بالعيان لما قد دوّنوه»[1].

وتقريبا وجهة النظر نفسها نلحظها عند هوفمان عندما قارن بين الديانة المسيحية والإسلام؛ ليستنتج أنه لم يسمع مطلقا حديثا رواه اليسوع بنفسه « **وفي هذا الصدد فإن أكثر الأمثلة إثارة للحرج هو محاولة تطبيق مبادئ البحث التاريخي الإسلامي على "العهد الجديد" حيث نضطر إلى حذف كافة رسائل القديس بولس منه، لأنه لم يشاهد المسيح قط أو يقابله أو يتحدث معه»**[2].

3- تجديد علوم الشريعة

ويبدو لهوفمان أن الفقه الإسلامي القديم المستخلص من القرآن والسنة يعتبره الكثير قانونا إلهيا لا ينبغي المساس به، بيد أنه في نهاية المطاف ليس إلا اجتهادا بشريا قابلا للخطأ والصواب، ويستدل على ذلك باختلاف المدارس الفقهية الأربعة التي لم يدّع أحد من أقطابها أنه معصوم من الغلط؛ ولهذا السبب تطور الفقه أمر واجب ليقدم إجابات عن المشكلات المعاصرة المستجدة، وليس معنى هذا أن القرآن والسنة يخلوان من القواعد القانونية، ولكن بدون شريعة لا يتمتع الإسلام بأنموذج يكون بديلا عن النظام الغربي[3].

ويُهيب هوفمان الأمة الإسلامية تطهير العقيدة الإسلامية مما علق بها من شوائب وطفيليات والاستفادة من تاريخها العريق بتحليله وإدراك العوامل التي كانت سببا في نهضتها وتألقها وقتئذ، لتكون نبراسا تضيئ به طريقها نحو المستقبل« **لا أعلم شيئاً أفضل اقتراحه من حث العالم الإسلامي على أن يصبح أصوليًا أي إعطاء معنى أصيل للعالم بالعودة إلى الأسس الحقيقية لعقيدتنا الإسلامية ، وتحليل التجارب التي كانت مفيدة للمدينة والأندلس ودولة العباسيين»**[4].

---

[1] - Bucaille Maurice, **La bible le Coran et la science, les Ecritures saintes examinées à la lumière des connaissances modernes**, Editions seghers, paris, 1976, p 246.

[2]- هوفمان ألفريد، يوميات ألماني مسلم، (م س)، ص 60.

[3]- الإسلام في الألفية الثالثة، (م س)، الصفحات، 212 - 213- 215.

[4]- Hofmann, Murad wilfried, "**Backwadness and the rationality of the Muslim World**", Encounter, UK. March1966, 86.

لا جدال فيما دعا إليه هوفمان من ضرورة تجديد الفكر الديني مراعاة مع مستجدات الحداثة والتطور التكنولوجي الذي نحياه اليوم؛ ولا نفهم من كلمة التجديد ترك الأصول الفقهية والتنكر لها، إنما الخروج من أسر الماضي وإعادة إنتاجه، والاستظلال بظله باسم الأصالة، والخروج من أسوار التبعية السياسية والفكرية التامة للغرب باسم المعاصرة؛ والعمل أيضا على تحقيق عملية التواصل الخلاق التي هدفها إعادة النظر في كل المسلمات، وسعيا لتحرير مشروع نهضتنا من تلفيق أضحى فيه عجز واضح من خلال الهزيمة الشاملة[1].

ومما لا يدع مجالا للشك أن كبار فقهائنا قديما كانوا يتمتعون بحداثة فكرية وبعقلانية تُدين أي شكل من أشكال الدوغمائية، يندهش منها العالم الغربي اليوم، فكانوا يختلفون في تصوراتهم وأفكارهم وفتاويهم، ولكن هذا الاختلاف لم يُنقص من وُدّ بعضهم بعض، ولم يتجرّأ أحدٌ منهم أن يسم زميلا له بالكفر والمروق عن الدين لمجرد مخالفته له في الرأي.

خلاصة الفصل

ومن خلال ما تم معاجته في ثنايا هذا الفصل خلصنا إلى ما يلي:

أن شغف "هوفمان" في إدراكه الحقيقة دفعه لوضع الديانة الكاثولوكية محل شكوك وتساؤلات حيث أفضى به البحث إلى بيان تهافتها، ثم درس الشيوعية والحداثة دراسة مستفيضة موضحا أسباب فشل الشيوعية في العالم وكيف حلّت مرحلة ما بعد الحداثة في الغرب موضع الحداثة، وما نتج عنه من استغراق في الملذات المادية والحسية، لينتهي به الأمر إلى حل لا يكمن في نظره إلا في الإيمان بالله وفي الإسلام كبديل للنظام الغربي والمسيحي معا.

وقد نهج هوفمان نهجا أكاديميا في دراسة الإسلام، إذ عوّل على القرآن والسنة ليكشف عن معرفة صحيحة بالإسلام وهو يعترض دوما على التمثلات الخاطئة التي أخذ بها الغرب من المستشرقين والإعلام.

[1]– نصر حامد أبوزيد، التحديد والتحريم والتأويل بين المعرفة العلمية والخوف من التكفير، (م س)، ص 24.

إضافة إلى أنه أدرك بأن لا قيمة لدين المرء بعيدا عن التدين، ولا يكفي أن يكون المرء مسلما بأفكاره، بل يصير مسلما من خلال سلوكاته، هكذا كان حال مراد هوفمان قبل أن يتغير جذريا ويستجيب لنداء القرآن ويُشبع شغفه الروحي. وترجم ذلك من خلال الصلاة والصوم والحج والزكاة والأضحية وذم المسكر وترك لحم الخنزير والإيمان بالقضاء والقدر.

ويعزو هوفمان عدم التفاعل بين الغرب والإسلام إلى علتين: الأولى سببها الغرب نفسه وتتمثل في وسائل الإعلام والذاكرة الغربية المشحونة بالعداء والحقد والمستشرقين وتحميل المسلمين وزر غيرهم وانتشار الحركات المعارضة للإسلام واعتقاد الغرب الخاطئ أن الإسلام ديانة عربية، والثانية سببها المسلمون أنفسهم وتتجلى في المسلمين الليبيراليين، وتشتتهم الطائفي والمذهبي، أضف إلى ذلك عدم وجود شكل دولة إسلامية نموذجية بالفعل ووضع المرأة، مما دفعه إلى الاجتهاد وسنّ قواعد من خلالها يتفاعل الأنا مع الآخر وتتقلص الهوة بينهما.

الفصل الثالث:
الإسلام بين الشرق والغرب

- المبحث الأول: إيجابيات وسلبيات العلاقة بين الأنا والآخر
- المبحث الثاني: مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب
- المبحث الثالث: الثابت والمتحول ومستقبل الإسلام بالغرب

الفصل الثالث: مستقبل الإسلام بين الشرق والغرب

توطئة

إن الحديث عن علاقة الأنا بالآخر يعتبر بمثابة مؤشر لفهم وتحديد موقف كل طرف من الآخر، وكذا معرفة أهم الإحداثيات أو الاحتمالات المستقبلية التي يُمكن أن تؤول إليها العلاقة بين الإسلام والغرب، ومن ثم بات من الضروري التطرق أولا إلى إيجابيات وسلبيات التفاعل بين الأنا والآخر، ثم إلى مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب وأخير إلى إشكالية الثابت والمتحول ومدى تأثيرها على هذا التفاعل.

المبحث الأول: إيجابيات وسلبيات التفاعل بين الأنا والآخر

****

يعتبر تحليل علاقة التفاعل بين الأنا والآخر من بين أهم العوامل التي تُتيح معرفة أسباب التوتر وإمكانية التلاقي بين العالمين الغربي والإسلامي، ولأجل ذلك ارتأينا أن نتناول بعض تصورات المفكرين الإسلاميين الغربيين، ذلك أنهم عايشوا العالمين الإسلامي والغربي عن كثب، ويُمكن الاستفادة منهم لقياس مدى تقبل أو نفور العالمين لبعضهما بعض؛ ومن ثم تطرقنا أولا إلى موقف مراد هوفمان، ثم إلى موقف جيفرى لانغ ، ومن بعدهما أشرناإلى موقف محمد أسد.

أولا: موقف مراد ألفريد هوفمان

رأينا في المبحث الفارط أن مراد هوفمان بسط العوائق الذاتية التي جعلت من أمر تفاعل المسلمين مع الغرب أمرا في غاية الصعوبة والتعقيد والتي كان سببها المسلمون ذواتهم وليس للغرب أي إسهام مباشر فيها، وهي تعكس واقع المسلمين في مسقط رأسهم، فهم استوطنوا الغرب واستوطنت معهم أنماط تفكيرهم من مذهبية وطائفية وغيرها، إضافة إلى العوائق الغربية التي لم يكن للمسلمين دور في حدوثها؛ فكانت حصيلة عوامل تاريخية أو استجابة لبعض ما يحدث في الشرق الإسلامي من صراعات إسلامية غربية عكست ظلالها ونتائجها على المسلمين الكائنين في الغرب، ونتيجة لبعض الإيديولوجيات الغربية المتطرفة.

ولذاك اهتدى مراد هوفمان إلى جملة من القواعد والحلول التي تُمكن من رسم إحداثيات التفاعل بين الإسلام والغرب وإن كان يبدو بعضها غير قابل للتحقق مثل السعي إلى مراجعة التراث وضبط السنة الصحيحة لدرء أسباب التشرذم والخلاف بين المسلمين السنة والشيعة والإباضيين باتباع أحدث المناهج العلمية للفصل في صحة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويعتقد هوفمان أن التفاعل بين الإسلام والغرب سوف يكون إيجابي إذا لم تكن هناك مخاوف تُقلق المجتمع الغربي، فهو منشغل البال بما سيحدث له وما سيصيب أسلوب حياته إذا ما أضحى المسلمون أغلبية ساحقة في الغرب؛ بسبب تزايد مواليدهم،

وهناك بعض الأطراف تسعى جاهدة لتغذية ومضاعفة هذه التوجسات أمثال كتابات ويهيم ديلت Wiheim Dielt وبالخصوص كتابه " الحرب المقدسة في سبيل الله" وكذلك جيرهارد كنزلمانGerhard Konzelmann(1932– 2008) في مؤلفه الموسوم "في التحدي الإسلامي" وغيرهم كثير[1].

ويقارن هوفمان بين الحماية التي يكفلها الغرب للجالية الإسلامية والحماية التي تتمتع بها الأقليات الدينية المتواجدة في البلاد الإسلامية بما فيها الجالية الغربية، ليستنتج أن الإسلام أكثر تفتحا وليبيرالية من الغرب، وذلك لما يُخوله للأقليات حماية وحقوقا لا نكاد نجدها في أي نظام من الأنظمة التي عرفها العالم حتى اليوم.

ويوضح هوفمان أن المسلمون في الغرب يطالبون دوله بالنزر القليل من الحقوق والحماية والتسامح مقارنة مع ما يمنحه الإسلام من حقوق وما يتسامح به إزاء الديانات الأخرى، ويُدعم توضيحه؛ بقوله عزّ وعلا:﴿ وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ اَلاِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي اِلاَخِرَةِ مِنَ اَلْخَاسِرِينَ﴾؛ هذه الآية حسب هوفمان أسيء فهمها؛ لأن كلمة الإسلام معناها الأصل هو التسليم لله، وهذا المعنى هو الذي فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم و صحابته[2].

ويتضمن الإسلام مبدأً أساسًا للمساواة بين البشر ولا يفرق بينهم على أساس اللون أو شيء آخر، ويستشهد هوفمان بعدة آيات ليثبت تسامح الإسلام مع كافة الأديان؛ ويصل إلى أن الإسلام يرى في التنوع الديني والعرقي طبيعة أرادها الله وأقرها، كما أن الإيمان شأن يُعزى إلى الفرد ولا يخضع لأي ضغوط، أما الخلافات والنزاعات الدوغمائية فهي غير ناجعة، وهذا الموقف جدير بالإعجاب إذا كان يسعى إلى التعايش السلمي فحسب، ولكنه يتجاوز هذا لأن الإسلام اهتم بالوحدة والتنوع بين البشر كمبدأين في حد ذاتهما[3].

ويرتكز الإسلام على الوحدة الكونية لكل المخلوقات والموجودات، فالناس جميعا شركاء في الفطرة البشرية، كما أن الرابطة الإبراهيمية هي أيضا تجمع بين الموحدين،

[1]– هوفمان مراد، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، (م س)، ص ص243– 244.

[2]– المصدر نفسه، ص 244.

[3]– المصدر نفسه، الصفحات، 245– 246– 247.

ويأخذ هوفمان على المسيحيين سوء فهمهم لوحدة المخلوقات وما يقصده الإسلام منها، إضافة إلى تشكيكهم المستمر في الرابطة الإبراهيمية اعتقادا منهم أنها كمينا نُصب لهم. ويعزو هوفمان نجاح أي حوار يهودي مسيحي إسلامي إلى الرابطة الإبراهيمية لأنها القاعدة والمنطلق والفهم السليم والروح المطمئنة لأي إنسان[1].

وتتمتع الأقليات الدينية في الإسلام بحكم شخصي في المسائل الدينية سواء تعلق الأمر بالأسرة أو الميراث أو الحدود، بدليل أن المسيحيون قاموا بتربية الخنازير والمتاجرة في الخمور تحت نير هذا القانون، كما تعامل اليهود بالربا في المسائل الاقتصادية، باختصار منح الإسلام أهل الذمة كل الحقوق التي تتعلق بالنفس والجسد والحياة والملكية وممارسة الشعائر الدينية العلنية، ناهيك عن تشييد الكنائس والمعابد التي أعطاها الإسلام نفس حقوق المساجد[2].

ولقد أحاط الإسلام الأقليات بكرم بالغ إلى الحد الذي ألحق الضرر بالأغلبية المسلمة في القرن التاسع عشر، فلقد أوشك العثمانيون على الانهيار*؛ بسبب حرصهم على بلورة حقوق هذه الأقليات من صرب وبلغار ويونانيين، باتت تُكوّن قوميتها؛ ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل امتد إلى الملحدين والمشركين فلم يتم إكراههم على شيء؛ إذ طبق الإسلام هذه القوانين فعليا إلا في حالات نادرة كالحرب مثلا. وليس هناك نص قرآني يخوّل سلوك غير مهذب ضد غير المسلم؛ ولهذا السبب استطاع اليهود والمسيحيون وغيرهم أن يكون لهم تفاعل إيجابي في المجتمعات الإسلامية[3].

وعلى غرار ما سبق التوصل إليه يتساءل هوفمان ليس عما يشغل بال الغرب من التخوف الذي يكتنفه إذا ما أصبح المسلمون أغلبية في دولة؟ ولكن السؤال الأهم هو كيف تتصرف الأغلبية في الدول الغربية اليوم إزاء الأقلية المسلمة؟ هل يبدي الغرب سلوكا ليبراليا كما سلكه الإسلام إزاء المسلمين؟[4]

---

[1]- الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، (م س)، ص ص247- 248.

[2]- المصدر نفسه، ص 249.

* كان المسلمون أغلبية في دول البلقان، ثم تحولوا بعد ذلك إلى أقلية بسبب القهر والتعذيب والقتل.

[3]- الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، (م س)، الصفحات، 250- 251- 252.

[4]- المصدر نفسه، ص 252.

رغم تراجع كل أشكال الاضطهاد وعدم التسامح حيال كل ما هو إسلامي مذ نهاية القرن الثامن عشر، حيث بدأ التفاعل ينمو ويتطور بشكل إيجابي بين الإسلام والغرب خاصة من ناحية التعدد والتنوع الديني نتيجة ما أقرته الولايات المتحدة وأوروبا من قوانين لحماية حقوق الإنسان عامة والحريات الدينية خاصة، إلا أن هذه القوانين تظل أقل بقليل مقارنة بكرم ما يمنحه الإسلام للأقليات منذ 1400 سنة، لهذا السبب يعتقد هوفمان أن المسلمين هم أحق بالخوف من الآخر الغرب وليس العكس[1].

ولا يحلم المسلمون اليوم أو يتوقعون أن تمنحهم دولة غربية حقوقهم كاملة، رغم أنهم مستعدون تمام الاستعداد للانصياع للقوانين والنظم التي يتواجدون فيها كأقلية.

ووضعت الشريعة الإسلامية قوانين تتيح للمسلم المقيم في بلد غير إسلامي؛ إذا ما استطاع أن يمارس شعائره الدينية وواجباته الإسلامية، وتجب عليه المغادرة في حالة عدم تمكينه من أداء تلك الواجبات، وبلغت هذه القوانين إلى حد أن المذهب الحنفي أعفى المسلم بعدم التزامه ببعض المبادئ الإسلامية مثل عدم التعامل بالربا، ومرة أخرى يتساءل هوفمان فمن الذي ينبغي أن يخاف الآخر؟[2] بالطبع الإجابة الضمنية هي أن على الإسلام أن يخشى الغرب وليس العكس كما هو متداول.

ولم يستطع الغرب التكفل حتى بأبسط الحقوق التي يتمتع بها المهاجر الآخر غير المسلم في الغرب، فما بالك بمطالبته بحقوق الأقليات كما أقرها الإسلام، ويسوق هوفمان جملة من الأمثلة يثبت من خلالها صعوبة تحقيق هذه المطالب كحق تشييد مسجد حيث لا يتحصل المسلمون على التصريح إلا بعد مرور عدة أعوام، وعندما يحصلون على التصريح بعد نفس طويل يكون مكانه في موضع غير مناسب إما بجانب مذبحة أو خلف القطارات وبدون استخدام المئذنة.

كما لا يترك للمرأة حرية ارتداء ملابسها كيف ما شاءت، علما أن الغرب لا يمنع من يرتدي قلادة الصليب، ناهيك عن تفسير القرآن للمسلمين من طرف السلطات غير المسلمة من رئيس الكنيسة الإنجيلية أو وزير الثقافة؛ كإحلال تناول جميع اللحوم وارتداء البيكيني، أو السماح لليهودي بالذبح وفق شريعته، أما إذا سلك المسلم السلوك

[1]- الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود (م س)، ص ص 252- 253.

[2]- المصدر نفسه، ص 254.

نفسه عده الغرب اعتداء على حقوق الحيوان، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل حظرت إحدى المحاكم عملية الذبح الشرعي بحجة أن الإسلام يبيح في حالة الضرورة تناول ما حرمه وبالخصوص إذا كان هناك قانون دولة غربية يحظر عملية الذبح، إلى جانب هذا هناك مضايقات كثيرة يمارسها الغرب على المسلمين لا يتسع المقام لبسطها[1].

ما يقلق هوفمان ويُضجره هو أن المسلمين اليوم لا يعيرون أي اهتمام لمسألة حقوقهم؛ رغم أن هذه الحقوق وردت في دستور فايمار* المتعلقة بالدين، وأننا بلغنا الألفية الثالثة والغرب يتفاعل مع الإسلام بسلبية صارخة ولا يفسح له المجال ليقوم بتأدية دوره الإيجابي[2]، ولذا فالإسلام هو الذي يجب أن يخاف الغرب.

ونستفيد من موقف هوفمان أثر العلاقة بين الإسلام والغرب كسلاح ذي حدين، الأول: إن الإسلام طوال 1400 سنة كان كريما ومتسامحا مع الغرب وغيره؛ مما أتاح للآخر- اليهود والمسيحيون وغيرهم- أن يكون لهم تفاعل إيجابي في المجتمعات الإسلامية؛ ولهذا لا ينبغي الخشية من الإسلام.

أما الثاني: لم يستطع الغرب التكفل حتى بأبسط الحقوق التي يتمتع بها المهاجر الآخر غير المسلم في الغرب، فما بالك بمطالبته بحقوق الأقليات كما أقرها الإسلام، ولهذا ينبغي أن يخشى الإسلام من الغرب وليس العكس.

وهناك وجهات نظر كثيرة تُؤيد ما ذهب إليه مراد هوفمان في أن الغرب هو الذي يجب الخشية منه، لأنه نصب الحواجز والعراقيل التي تحول دون التفاعل الإيجابي بين الحضارتين الإسلامية والغربية، ومن بينهم السياسي الألماني ولفجانج تيرزا Wolfgang tereza، حيث يقول:« **إن الرؤية الخاطئة من قبل الغرب نحو الحضارة الإسلامية منذ قرون، ساهمت في عرقلة التأثيرات الإيجابية بين الحضارتين لاسيما في مجالي العلم والثقافة** »[3].

---

[1]- الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، (م س)، ص ص255- 256.

*كتاب القانون الألماني التي تم اعتماده سنة 1919م في جمهورية فايمار، ولقد تم إضافة المواد 136-141 الخاصة بالدين تصب كلها في حق الاعتراف بأي جماعة دينية لها كافة الحقوق.

[2]- الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، (م س)، ص 258.

[3]- ولفجانج تيرزا، **مجلة العربي الكويتية**، عدد 513، آب 2001، ص 35.

نتفق إلى قدر ما مع هوفمان في أن التاريخ يؤكد غير المسلمين قد عاشوا حياة كريمة في كنف الإسلام، وشاركوهم في الإدارة والحكم والسلطان ولما سقط عَلَمُ الخلافة الإسلامية وأتيحت لهم الفرصة استباحوا دم المسلمين وأعراضهم أو تركهم الإسلام[1].

وإن السلطة الإسلامية هي أول سلطة في تاريخ البشرية اعترفت بحق رعاياها في اعتناق دين مُخالف للدين الرسمي للدولة، وعبر عشرة قرون لم يعذب أو يعدم أحد بسبب معتقداته ولم يُجبر المسلمين مسيحيا واحدا في الأندلس على الإسلام، ولم يغلقوا كنيسة في وقت كان بوسعهم إبادة جميع المخالفين دون خسائر مادية[2].

ولذلك فإن الغرب ينظر عكس ما يراه هوفمان في أن الإسلام هو الذي ينبغي الخشية والخوف منه، ذلك أن المسلمين الذين يعيشون في الغرب يتمتعون بالمزايا نفسها الدستورية والقانونية والحقوقية التي يتمتع بها المواطن الغربي، فمن حق المواطن المسلم إنشاء الأحزاب السياسية أو المعارضة أو تكوين جمعيات ثقافية أو اجتماعية، فعلى سبيل المثال لا الحصر يحق للمهاجر الحاصل على الجنسية السويدية كائنا ما كان دينه ومذهبه أن يرشح نفسه للانتخابات البلدية والتشريعية، وهناك في دوائر قرار البلديات في السويد بعض المهاجرين العرب والمسلمين من فلسطينيين ولبنانيين وأكراد وإيرانيين صلاحيات واسعة في تنظيم شؤونها[3].

وعلى الرغم من أن ظاهرة الحجاب في الغرب أضحت مُقلقة وخطيرة ومعبرة عن فشل الساسة الغربيين في إدماج المسلم وصهره في المجتمع الغربي، إلا أن الكثير منهم بدأوا يتفهمون هذا الأمر، فقد أسلمت فتاة سويدية تشتغل بائعة في متجر ألبسة للنساء، وطردت من المتجر ورفعت دعوة على صاحب العمل، فأنصفتها المحكمة وأعادتها إلى شغلها مُعترفة بحقها في ارتداء الحجاب واعتبرت حجابها لا يتنافى مع العمل[4].

---

[1]- شلبي عبد الودود، **قضايا إسلامية معاصرة، هل انتشر الإسلام بالسيف؟**، دار الفتح للإعلام العربي، ط 1، 2005، ص 7.

[2]- المرجع نفسه، ص 14.

[3]- أبو زكريا يحيى، الإسلام والغرب، (م س)، ص 10.

[4]- المرجع نفسه، ص 13.

ولقد انتشرت ظواهر خطيرة في الغرب ومن بينها ظاهرة التحايل على المؤسسات الغربية برسم علماء الإسلام، فمئات المهاجرين المسلمين يتفقون مع زوجاتهم على الطلاق فتقوم المؤسسات الاجتماعية بالتفريق بين الوالدين كي لا يحدث تمزق نفسي للأطفال وبعد محاولات عديدة للإصلاح بين الزوجين تتحايل الأسرة على أن الأمر ميؤوس منه، فتقوم المؤسسة بتحويل الملف إلى المحكمة التي تقضي بالطلاق. وهكذا تبقى المرأة في بيتها بينما يعطى للزوج منزلا آخر ويضاعف راتبه بحكم فراقه لأسرته؛ على أن راتب الأسرة يُراعى فيه عدد أفرادها، وبعد أن يتحصل الرجل على المنزل يُؤجره بطريقة غير قانونية دون علم السلطات، مع العلم أن إيجار منزله يُسدد من طرف المؤسسة الاجتماعية ويرجع ليعيش مع زوجته معتقدا أن الطلاق الذي قضته المحكمة هو طلاق صوري ليس إلا، وعندما كشفت المؤسسات الاجتماعية هذه الحيل أصبحت تُطالب الذي يريد الطلاق أن يأتي بنسخة طلاق من المؤسسات الدينية المعينة شيعة و سنة، وأصبح حتى الشيوخ يمنحون شهادات طلاق للمهاجرين ويشاركون في هذا التحايل[1]، وهناك طرق كثيرة للتحايل متداولة بين المسلمين في الغرب، وأن هذا الفعل الشنيع يُسيء إلى الإسلام والمسلمين ويدفع الغرب إلى الخشية من الإسلام والمسلمين.

ونجد العديد من المسلمين يقفون ضد الإسلام في الغرب وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فقد يُحاضر الكثير من المشايخ في مساجد دول غربية وتجده يُخاطب المسلمين المقيمين في الغرب بعبارات غارقة في الدجل الفكري والعاطفة المزيفة الواهمة مُستخدما خطابات مثل: أيها المسلمون إحذروا الكفار الذين تعيشون بينهم، فهم يسعون لإخراجكم من النور إلى الظلمات وينسى السادة المشايخ أن هؤلاء الذين يطعن فيهم ويُؤلب المسلمين ضدهم هم من يُقدم لهم الحياة الكريمة من راتب ومأوى وعلاج وراحة[2] لم ينالوها في بلدانهم المنحدرين منها.

وإلى جانب هذا يتمتع المسلمون اليوم في الغرب بحقوق كثيرة لا تحصى ولا تعد، غير أن الجالية الإسلامية في الغرب لا تُحسن استغلال هذه الحقوق لصالحها، لذا

[1]- أبو زكريا يحيى، الإسلام والغرب، (م س)، ص 30.

[2]- المرجع نفسه، ص 59.

يُمكن القول إن الخوف لا يكون من طرف واحد فهو يتخلل الجانبين ومشروع بالنسبة للطرفين وليس من طرف واحد كما أشار إلى ذلك مراد هوفمان.

ثانيا: موقف جيفري لانغ

يطرح جيفري لانغ*معاناة شباب المسلمين من الجيل الثاني في الغرب والمعتنقين الجدد للإسلام والأسباب التي تحول دون تفاعل إيجابي بينهم وبين القائمين على المراكز الإسلامية في الغرب الذين يوغلون في التزمت؛ إذ أخلطوا بين العادات والتقاليد التي نهلوها من بلدانهم، وشددوا عليها الحرص أكثر من حرصهم على تجسيد جوهر الإسلام وروحه في الغرب، وإذا كان هذا هو حال التفاعل بين المسلمين في الغرب، فكيف يكون حالهم مع الآخر الذي لا يقاسمهم المعتقد والثقافة والفكر؟

إن الهم الذي يُؤرق جيفري لانغ شباب كُثر مولودون في أمريكا وفي الغرب ينحدرون من أسر مسلمة متدينة مرتبطون بالمساجد ويُشكل الإسلام محور حياتهم، لكن عندما يبلغون سن معينة يبدأ إيمانهم وإسلامهم في التآكل والانحدار وربما سوف ينتهي إلى الزوال، والسبب أن هؤلاء الشباب تُساورهم أسئلة وشكوك لا يجدون لها مخرجا ومُخلصا لهم منها وثقافة المسجد ومحيطه تدعوهم إلى الاتباع والانصياع، بينما الثقافة الخارجية تحثّهم على ضرورة الحرية والفكر والإبداع[1].

ونفهم من موقف جيفري أن هؤلاء الشباب المسلمين أصابهم تصدع في الفهم بين الدين والمجتمع أو الدولة، فوقعوا في انفصام بين الثقافة الغربية الأمريكية المفعمة بالاستهلاك والإغراء واللذة والمعاملة غير الصالحة التي يعانونها من قبل المسؤولين عن المساجد والمراكز الإسلامية من مهاجري الجيل الأول، ولهذا كان تفاعلهم مع الإسلام تفاعلا سلبيا قد يصل في الكثير من الأحيان إلى المروق الديني أو على الأقل فتورهم منه وهذا دون شك سيفضي بهم إلى ضياع ديني صارخ.

يقول جيفري لانج: « **ومن الصعب أن تتسامح مؤسسات المساجد مع مقاربات الشباب المسلم ومنظوراتهم، إذ يطرحون المعتقدات والممارسات الراسخة للتساؤل.**

---

* من مواليد 30 يناير 1954، بروفيسور أمريكي في **الرياضيات**، نال شهادة **الفلسفة** من جامعة بيردو عام 1981، وكانت الرسالة عن سطح زاريسكي (Zariski surface)، وفي بدايات عام 1980، قرأ نسخة مترجمة من القرآن، وأعلن **إسلامه**، وله عدة مؤلفات، منها: الصراع من أجل الإيمان، حتى الملائكة تسأل: رحلة الإسلام إلى أمريكا، ضياع ديني: صرخة المسلمين في الغرب.

[1]- لانغ جيفري، **ضياع ديني**،(م س)، ص 245.

وعندما يتحدى الجيل الثاني التقاليد، فإنما يفعلون ذلك بطريقة أمريكية معترف بها، تُعد في نظر مؤسسة المساجد غير إسلامية...والذي ننتهي إليه، على ما يبدو، هو جيل لا يمكن إقامة جسر بينه وبين ما قبله، وهو فجوة ثقافية حيث ينبذ كل فريق فكر الآخر وآرائه ويراها خارجة عن المألوف»[1].

هذا يعني إخفاق التفاعل بين جيلين من المسلمين وهو أمر خطير؛ فالجيل الثاني مولود بالغرب وترعرع ضمن بيئة تختلف تمام الاختلاف عن بيئة الجيل الأول، غارق في الثقافة الغربية متعطش للتساؤل ولمعرفة أكثر عن الإسلام والمسلمين، جيل منفتح لا يريد الانكفاء على ذاته، يبحث عمن يضيء له سبيله؛ أما الجيل الأول بغروره وتطرفه وعدم تفهمه يسعى إلى حجب النور عنه والتضييق عليه وتطويقه بسلاسل الماضي التي تُبعده عن الواقع الذي يحياه.

وإن موقف الجيل الأول تُقوضه السلبية، لا يرغب في التفاعل والتنامي، يريد من أبنائه أن يصبحوا مجرد منفعلين متلقين لا فاعلين ناقدين ومتبعين غير مُبدعين، وإذا لم يجد الجيل الثاني الإجابة عن أسئلته عند ذويه سوف يبحث عنها خارجهم في الإعلام وكتب المستشرقين والأقلام المناهضة للإسلام وعوضا أن يُضمد الجيل الثاني جروح الجيل الأول ويُبرئها يزيدها فتقا وشروخا مُفرزا الكارثة.

ويخشى جيفري لانغ من تفاقم الهوة بين الجيلين الذي يعمل على خروج الجيل الثاني من المجتمع الإسلامي، لهذا يُحيل العلماء والزعماء المسلمين إلى البحث في هذه القضية علنا، كما يدْع الآباء والأمهات المسلمين الأتقياء الذين يرون ضياع إسلام أبنائهم عدم مخاطبتهم خوفا من إرباكهم، ناهيك عن أن الجالية الإسلامية لم تجتهد في إيجاد حل لهذه المشكلة المعقدة التي تكاد تعصف بكيان هؤلاء الشباب المغرّبين[2].

والقائمون على المساجد والمراكز الإسلامية في الغرب وبالخصوص في أمريكا بهيمنتهم وفرضهم جوا خاصا من الأفكار وعدم المناقشة والجدال لم يتجرع مرارته أجيال المسلمين فقط، بل طال أيضا معتنقي الإسلام الجدد يقول:« **التقيت الكثير بمن اعتنقوا الإسلام، ألفوا ثقافة المسجد ومتمسكين بمواقفه، وعاداته وسلوكه الاجتماعي،**

[1]- لانغ جيفري، ضياع ديني،(م س)، ص 246.

[2]- المرجع نفسه، ص 247.

ويدافعون عنها بحماس بوصفها تجسيدا للإسلام الحقيقي. ولكنهم ليسوا أكثرية. ويرتد عن الإسلام نصف الذين يعتنقونه من الأمريكيين على الأقل، والنصف الثاني يظل بعيدا عن الجالية الإسلامية... كثير من معتنقي الإسلام يعبرون عن هلعهم من التعصب العرقي والتحزب القومي الذي يشعرون أنه يوهن المجتمع الإسلامي ويضعفه»[1].

ونفهم من هذا أن مزج الدين بالثقافة أمر مروع ويضر بالإسلام ضررا كبيرا، خاصة في المجتمع الغربي بما فيه أمريكا، فالحقيقة أن هذه المجتمعات الحديثة تُؤمن بفكرة الحرية ولا تُغامر في قبول شيء والاقتناع به إلا إذا غدا واضحا ومعقولا وزال عنه الريب، فهم يُؤمنون بعقولهم قبل أن تُؤمن قلوبهم، ويجتهدون في البحث عن إجابات شافية وكافية عن تطلعاتهم الإيمانية، بيد أن أسلوب الجالية الإسلامية القائمة على شؤون المساجد والمراكز الإسلامية بضيق أفقها وتعاملها الدوغمائي تطعن الإسلام لا شعوريا وتتوهم أنها جند من جنوده.

كما نفهم أيضا أن العديد من معتنقي الإسلام الجدد لا يسافرون إلى منطقة الشك ويعيشون أزمة هوية، ذلك أنهم يتلقفون الإسلام على يد المهاجرين المسلمين بدون تفكير أو نقاش ويُقبلون في ثقافة المسجد ويمارسون نفس أسلوب القائمين على المراكز الإسلامية.

وهذه الممارسات تُساهم في القضاء على الإسلام من الداخل قبل أن يُهاجم من الخارج، فهي تُسممه عندما تفرض عادات دينية مشبوهة، وبدلا أن تستجذب الناس إلى الإسلام ويغدو طريقا إلى النماء الروحي والحياتي؛ تعمل على إخراج الناس منه أفواجا وأفرادا.

ولقد بلغ الأمر بالجالية الإسلامية في أمريكا إلى تجسيد التمييز العنصري، ذلك أنها تُؤثر الذين يدخلون إلى الإسلام من الأمريكيين البيض في المعاملة على الأمريكيين السود، علما بأن هذا التصرف مرفوض جملة وتفصيلا، ويا ليت الأمر يتوقف هنا بل

[1]- لانغ جيفري، ضياع ديني،(م س)، ص ص 252- 253.

يتعداه إلى غاية أننا نجد مساجد عرقية؛ مما يدل على أن الأخوة التي يتشدق بها المسلمون في الغرب مجرد أخوة مصطنعة ومزيفة[1].

وكل هذه العوامل تفضي إلى تفاعل سلبي بين الإسلام والغرب، وللحؤول دون هذه المشكلة المعقدة يقترح جيفري لانج جملة من الحلول لعلها تُنير الطريق لمن أضاعوه ومن أهمها ما يلي:

أ- تهيئة مجموعات طلبة باحثين تتألف من أبناء المهاجرين ومعتنقي الإسلام من الأمريكيين، لم يلتحقوا بعد بجمعية الطلبة المسلمين أو بالمسجد المحلي، والهدف هو تكوين بيئة غير ترهيبية لهؤلاء الطلبة، حيث يتعلمون الكثير عن الإسلام، ويستكشفون أي قضايا وإشكالات لديهم بحرية، ويتواصلون مع بعض الزملاء المؤمنين، والأمل هو كسب هؤلاء الثقة بالدين، وتنبثق لديهم الإرادة ليُشاركوا بتصوراتهم وجهودهم بعد ذلك في نماء المجتمع الإسلامي الأمريكي.

ب- تعزيز مشاعر الانتماء إلى المسجد من طرف أبناء المسلمين الأمريكيين، ويجب أن يبدأ منذ طفولتهم بالمشاركة في أنشطة الجالية، وجعل المسجد أسرة واحدة يساهم الآباء والأمهات والأبناء في مهام الجالية كأنهم كيان أسري واحد، حتى يأمن من خطر امتصاصهم من طرف الثقافة المحيطة بهم.

ج- يغدو المسجد محورا فكريا للجالية حيث يُشجع المؤمنين وخاصة الشباب من بحث ومناقشة قضايا دون خوف من عتاب أو عقوبة مع تشكيل جماعات للبحث متكونة من شباب لطرح انشغالاتهم وضم ممثلين عن الجيل الثاني إلى خلية الإدارة لتواصل أفضل وتفاهم أعمق بين جيل المهاجرين والجيل الثاني، وذلك يستوجب احتراما كبيرا للحرية واختلاف الرأي على غير ما هو معروف في غالبية الجاليات. كما ينبغي تجنيد علماء مسلمين نشأوا في الوطن الأصل مدربين أكاديميا ومرتبطين بالمسجد، يسعون إلى مساعدة الجيل الثاني على حل مشكلاتهم ودحض شكوكهم[2].

نتفق مع جيفري لانغ في توجسه من سوء فهم الإسلام في صورته النقية من قبل الجيل الأول ومزجه مع العادات والتقاليد التي أخذوها من بلدانهم مما يؤول إلى تفاعل

[1]- المرجع نفسه، ص 253.

[2]- لانغ جيفري، ضياع ديني، (م س)، ص 251.

سلبي بينهم وبين الجيل الثاني والمعتنقين الجدد للإسلام، ومن جانب آخر يتعين علينا الحفر والتنقيب في الدواعي والأسباب التي آل إليها وضع هؤلاء المسلمين(الجيل الأول) للتصرف وفق هذه الطريقة السلبية، وهذا بدوره يحتاج إلى بحث مستقل يُسلط الضوء على هذه المشكلة، وربما لم يلتفت إليها جيفري لانغ، إذ إن معظم هؤلاء المهاجرين المسلمين الذين استوطنوا أمريكا غير مثقفين ومن العمال البسطاء ودأبهم الوحيد هو التحصيل المالي، ونظرا لضعف تعليمهم وجهلهم باللغة الإنجليزية لقوا حواجز في التفاعل والاندماج مع المجتمع الأمريكي، ولتغطية هذا المشكل لجأوا إلى تمتين علاقاتهم وتفاعلهم مع أمثالهم المسلمين الذين يتقاسمون معهم الثقافة الأصل.

هؤلاء المسلمون من الجيل الأول، يتهيأ لهم بصنيعهم هذا أنهم يجتهدون في لم شتات المسلمين ودعمهم ومساعدتهم للمحافظة على هويتهم التي يُخشى عليها أن تُهضم من الثقافة الأمريكية.

كما أن جيفري لانغ ركز في بحثه عن المشاكل التي تصدر من الأقليات المسلمة أنفسهم، ولم يتطرق للضغوطات والمضايقات التي تصدر من الولايات المتحدة الأمريكية بدعم من اللوبي اليهودي ضد الإسلام والمسلمين وتحول دون تفاعل واندماج لائق بين أجيال المسلمين والمتحولين الجدد إلى الإسلام.

ثالثا: موقف محمد أسد

يعتقد محمد أسد Leopold Weiss(1900– 1992) أن التفاعل بين الإسلام والغرب سلبي إلى حد كبير، ولا يعدو أن يستفيد من بعض المنجزات الفكرية والعلمية التي قُيض للغرب الظفر بها، أما ما خلا ذلك فهو بمثابة سم زعاف يقضي على ثقافة المسلمين القائمة على القيم الدينية والأخلاقية، كما أن أسس المدنية الغربية الحديثة لا تتناغم مع الإسلام يقول:« **على أن هذا يجب ألا يحول أبدا دون إمكان أخذ المسلمين من الغرب ببعض البواعث في ميدان العلوم المجردة والعلوم التجريبية، ولكن صلاتهم الثقافية يجب أن تبدأ عند هذا الحد وتنتهي عنده أيضا. أما أن يخطو المسلمون إلى أبعد من ذلك أو أن يُقلدوا المدنية الغربية في روحها وأسلوب حياتها العملي وفي تنظيمها**

الاجتماعي فهو المستحيل، إلا إذا سُددت ضربة قاضية إلى الإسلام كدولة إلاهية وكدين»[1].

ونفهم من هذا أن الحضارة الغربية ما فتئت تتيه في عالم الرفاهية واللذة، فهي تقوم على الكدح المادي وهدفها جعل الحياة الاجتماعية أكثر يسرا وسهولة ودينها الذي تتعبده هو الرخاء المادي، إذ أضحى المال إلاها يُعبد من دون الله، ويتجلى ذلك بوضوح في أسواق الأموال الغربية من بورصات وبنوك ومصارف.

وما يلاحظ اليوم أن غالبية المسلمين تأثروا بهذا المنهج وتفاعلوا معه سواءً في مسقط رأسهم أو في خارج ديارهم، كذلك جنوح غالبية المسلمين إلى هذا الاتجاه سوف يُعجل بالقضاء على الإسلام والمسلمين، مما يُحيل إلى أن تفاعل المسلمين مع الغرب يسير في خط سلبي ينزع نحو حياة مادية خالصة تنأى عن جميع مظاهر القيم الروحية.

أما الإسلام فذو اتجاه ديني يقوم على تفسير الحياة تفسيرا شاملا، وثمة إلاه يُدبر هذا الكون ويديره ويعجز البشر عن الإحاطة به واستيعابه، والإسلام دين يُزاوج بين المادة والروح دون تناقض بينهما حيث يفضي إلى كمال الإنسان وارتقائه الدنيوي والأخروي، متمتعا بحياته الدنيا إلى أقصى حدودها دون أن يضر ذلك بمسلكه الروحي، يجعل من الإسلام صاحب دورٍ جوهريٍ في الحياة الإنسانية.

ويعزو محمد أسد عدم التفاعل الإيجابي بين الغرب والإسلام أيضا إلى شبح الحروب الصليبية التي تُطارد العالمين، وتُعبئ الإنسان الغربي في كل وقت وحين تجاه الإسلام والمسلمين يقول:« **التجارب التاريخية التي اصطبغت صباغا شديدا بعداوة غربية للإسلام»**[2].

وهذا الكره المتجذر في عواطف المجتمع الغربي يتنامى ويتصاعد ويُأتي أكله مع المستشرقين المغالطين والحاقدين ضمن ما يدونوه حول الإسلام والمسلمين، ليُؤجّجوا نار العداوة ويغرسوا بذور الكراهية ويُؤجلون دوما مبدأ التسامح بين العالمين بغض

[1]– أسد محمد، **الإسلام على مفترق الطرق**، تر: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت 1987، بدون ذكر الطبعة، ص 51.

[2]– أسد محمد، الإسلام على مفترق الطرق، (م س)، ص 52.

الطرف على أن العالم الإسلامي يحوي في باطنه رغبة كبيرة نحو التسامح، لكنه تسامح غير كفئ ينبع من عين واحدة.

كما أن التربية التي نُربي بها النشأ والتدني الأخلاقي والفكري الذي يشهده العالم الإسلامي في المدارس والجامعات والبيوت والبرامج التعليمية التي تتخذ أسس المناهج الغربية كأنموذج لها تأذن بأن دين هؤلاء النشأ سوف يُولّى ويرتد، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل قد يصل إلى الحد الذي يُبدي فيه أبناء الإسلام كراهيتهم لهذا الدين، وهو أمر واقع وملموس نراه في أشباه المتنورين الذين أخذت المدنية الغربية بألبابهم ، مما يُسفر عن تفاعل سلبي بين العالمين الغربي والإسلامي« فإن التنشئة الغربية لأحداث المسلمين ستفضي حتما إلى زعزعة [إرادتهم] في أن يعتقدوا أو أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم هم ممثلو الحضارة [الإلهية] الخاصة التي جاء بها الإسلام. وليس [ثمة] من ريب في أن العقيدة الدينية آخذة في الاضمحلال بسرعة بين " المتنورين" الذين نشأوا على أسس غربية»[1].

وسوف يقبع المسلمون في سلبيتهم ولن يشهدوا تفاعلا مقبولا مع الغرب، إذا هم لم يعدلوا عن الفكرة القائلة أن الحضارة الغربية هي الوسيلة الصحيحة لإيقاظ همة المجتمع الإسلامي، فالتاريخ يُسجل أن المسلمين بلغوا ذروة الحضارة وأوج العطاء، بينما كان الغرب يعيش في دهاليز الجهل والأمية والظلام.

فالمسلمون إذا اتخذوا ثقافة غربية تختلف جوهريا عن مبادئهم الدينية فسوف ينعون أنفسهم بأيديهم ولن تقوم لهم قائمة، وهم اليوم في مفترق الطرق وعليهم التريث والتحلي بالحكمة ومجانبة الطريق المسدود–الغرب–، واختيار الطريق الواصل إلى الحقيقة –الإسلام– يقول أسد:« **إن المشكلة التي تُواجه المسلمين اليوم هي مشكلة مسافر وصل إلى مفترق طرق: إنه يستطيع أن يظل واقفا مكانه، ولكن هذا يعني أنه سيموت جوعا، وهو يستطيع أن يختار الطريق التي تحمل فوقها هذا العنوان:" نحو المدنية الغربية " ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه إلى الأبد، أو أنه يستطيع أن يختار**

[1]– أسد محمد، الإسلام على مفترق الطرق، (م س)، ص ص67– 68.

الطريق التي كتب عليها: " إلى حقيقة الإسلام ". إن هذه الطريق وحدها هي التي تستميل أولئك الذين يعتقدون بماضيهم وباستطاعتهم التطور نحو مستقبل حي»[1].

ولاح لمحمد أسد منذ البواكير الأولى من تحوله إلى الإسلام أن تعالي الغرب على الإسلام والمسلمين لن يُثمر ولن يُجدي نفعا في عملية التفاعل بينهما، ذلك أن هذا التعالي سوف يفضي إلى ممارسات غير منصفة حيال هذا الدين، ويزيد ذلك تخلف المسلمين، إذ يعتبرهم الغرب مجرد أناس حالمين يقدسون الخرافات؛ متمسكين بعقيدة القضاء والقدر وغارقين في العواطف والمشاعر الرديئة يقول: « **ولعله من الغريب أن يبقى هذا التعالي والازدراء حيال الإسلام دفينا في اللاوعي [الأوروبي] حتى بعدما نبذت أوربا الدين بالكلية، ولكن هذا لن يبدو عجيبا إذا ما علمنا أن الشخص قد يبتعد تماما عن المعتقدات الدينية التي تكونت لديه في مرحلة الطفولة ولكنه لا يفقد ارتباطه العاطفي ببعض مكوناتها ويحملها داخله بقية حياته، وهذا بالتحديد ما حدث في الكيان الكلي للحضارة الغربية، فمازال شبح الحروب الصليبية يحوم حول الغرب حتى هذه الأيام، ويُؤثر على كل ردود أفعاله تجاه الإسلام والمسلمين**»[2].

ويُؤكد محمد أسد أن الغرب لم يكن بعيدا عن الإسلام مثل اليوم، وعداوة الغرب للإسلام تتنامى بمرور الأعوام والأحوال وتتضاعف يوما بعد يوم، وحتى لو لاح لنا أن مشاعر العداوة شرعت في التهاوي والانحدار، فهذا لا يُسوغ لنا الفهم بأن الغرب سوف يدنو من الإسلام ويتفاعل معه، إن هذا يشير إلى عدم مبالاة الغرب بالإسلام ليس إلا.

وإن الغرب اليوم أكثر مناهضة للإسلام، وليس هناك ما يدل مستقبلا على تبدل اتجاهه حيال الإسلام، وإن انتشار بعض الدعاة المسلمين في الغرب وتحول بعض الغربيين إلى الإسلام من دون أن يستوعبوا جوهره ليس حجة على تفاعل الغرب معه، فالغرب يعتنق أيضا البوذية[3].

---

[1]- المرجع نفسه، ص ص 85- 86

[2]- خليلوفيتش صفوت مصطفى، **الإسلام والغرب؛ رؤية محمد أسد**، تر: هدير أبو النجا، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط1 2007، ص 33.

[3]- أسد محمد، الإسلام على مفترق الطرق، (م س)، ص ص64- 65.

ويدعو محمد أسد المسلمين إلى التجديد والكدح على الرغبة في أن يكونوا خيرا مما هم عليهم الآن، وذلك بدون استكانة أو اعتذار والتيقن أن الإسلام هو المعيار الذي ينبغي علينا أن نحكم به على العالم وليس العكس، أي الحكم على الإسلام بمعيار الحضارة الغربية « **على المسلم الذي يعمل على إحياء العالم الإسلامي أن يُحرر نفسه أولا من روح الاعتذار عن الهيكل الديني والاجتماعي للإسلام، فعلى المسلم أن يرفع رأسه عاليا، وعليه أن يدرك أن يختلف ويتميز عن بقية العالم، وعليه أن يتعلم كيف يفخر بهذا الاختلاف. فعليه الحفاظ على هذا الاختلاف وأن ينظر على أنه ميزة غالية، ومن ثم يجهر به أمام العالم، بدلا من أن يحاول إخفاءه والاعتذار عنه ومحاولة الذوبان في دوائر ثقافية مختلفة**»[1].

مما سبق، يدفعنا إلى القول إن محمد أسد نظر إلى التفاعل بين الإسلام والغرب نظرة سلبية، استمدها من الواقع المعاش الذي يجمع بين العالمين، فجل المؤشرات والسياسات التي ينتهجها الغرب، والمواقف المتبادلة بينهما تمخض عنها تصورات سلبية من كل طرف عن الآخر، وليس ما يدل مستقبلا على تحول هذه العلاقة إلى الجانب الإيجابي.

ورغم أن أسد ينبذ فكرة الصراع ويرفض علمانية الغرب التي تحصر الدين في باطن ضمير الفرد، فهو يعتقد أن التفاعل سيؤول إلى نعي المسلمين أنفسهم بانبهارهم بالمدنية الغربية وتخليهم عن حقيقة الإسلام.

وعلى صعيد آخر نستشف أن محمد أسد يعزو سلبية التفاعل بين العالم الإسلامي والعالم الغربي إلى الغرب ويرفع المسؤولية عن المسلمين، ويبدو أن هذا ينْأى عن الصواب، ذلك أن الإسلام اليوم يُستغل من طرف تيار منغلق متخلف رافض لكل أشكال التغيير، عاجز عن مواكبة التقدم الحتمي للمجتمع[2]، لهذا ينبغي على المسلمين الإحساس بالمسؤولية والتحلي بالوعي الحضاري لقاء تحسين صورة الإسلام وتقديم الصورة الحقيقية له.

[1] – خليلوفيتش صفوت مصطفى، الإسلام والغرب؛ رؤية محمد أسد، (م س)، ص 86.

[2] - الشيخ خالد بن تونس، الإسلام والغرب، (م س)، ص 13.

وإن الإسلام في أندونيسيا وماليزيا متساوق مع الحداثة وأكثر انفتاحا مما هو عليه في بعض الدول العربية، التي يتوهم ممثلوها بأنهم يمتلكون الإسلام الصحيح المطابق للأصل، لعلّة أنه انبثق في هذه الأراضي[1].

[1]- الشيخ خالد بن تونس، الإسلام والغرب، (م س)، ص 14.

المبحث الثاني: مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب

* * *

ويشغل اليوم مستقبل الإسلام والغرب بال الكثير من الباحثين والمفكرين، كما أنه بات من المواضيع الحساسة التي تطرح في الأوساط السياسية ومراكز البحوث العلمية ومعاهد الدراسات الاستراتيجية، بيد أن جل هذه الدراسات صدرت من باحثين غربيين يعكسون توجهات إيديولوجية معينة، ولهذا سوف نعرض لوجهات نظر مختلفة، تبدو أنها تقترب نوعا ما من النزاهة والشفافية كونها تصدر من مفكرين غربيين اعتنقوا الإسلام، وقد لا يتسلل الشك إلى صدق نواياهم وكمحاولة للإلمام بنواحي هذا المبحث عرضنا أولا لاستشراف مراد هوفمان، ثم إلى موقف روجي غارودي.

أولا: مراد ألفريد هوفمان

قبل أن يتطرق مراد هوفمان لمصير الإسلام ينطلق من مسلمة مفادها أن أمر التنبؤ بالمستقبل مستحيل وخطر، وهو نشاط يضطلع به الأنبياء فقط[1].

ويُصنف مراد هوفمان المسلمين المتطلعين إلى مستقبل الإسلام في مُؤلفه الموسوم الإسلام عام 2000، يتصدر عنوان " قليل من مستقبليات الإسلام" إلى ثلاثة فئات:

الصنف الأول يرى أن المسلمين في هبوط مستمر منذ ميلاد الإسلام إلى يومنا هذا، ويستشهد برؤيته هذه بالحديث النبوي الذي رواه عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **خير أمتي القرن الذي بُعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يُستشهدون، ويحلفون ولا يُستحلفون**»[2]

والصنف الثاني يرى تاريخ المسلمين بين مد وجزر، يتقدم مرة وينحدر مرة أخرى.

أما الصنف الثالث فيغلب عليه التفاؤل ويرى أن الإسلام في تقدم مستمر، وهؤلاء الأصناف الثلاثة؛ بإمكانهم الأخذ من القرآن والسنة ما يؤكد رؤيتهم[3].

---

[1]– هوفمان مراد، الشرقي عبد المجيد، مستقبل الإسلام في الشرق والغرب،(م س)، ص 115.

[2]- أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (3/ 171)، برقم: (2651)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (4/ 1964)، برقم: (2535).

[3]– هوفمان مراد، الإسلام عام 2000، (م س)، ص 11.

ثم يستطرد ليسوق جملة من الأمثلة والشهادات التي يُمكن أن تكون سندا لمُختلف أصناف المسلمين الثلاثة من أهمها ما ينتقيه المتفائل « عد أبو حامد الغزالي(505- 1111) نفسه مجددا كما يظهر من عنوان كتابه" إحياء علوم الدين". كذلك يمكن أن يعد ابن تيمية(728- 1328)، وشاه ولي الله(1176- 1763)، ومحمد عبد الوهاب(1201- 1787)، ومحمد عبده(1323- 1905)- الأستاذ الإمام- أيضا مجددين»[1].

كما يمكن للمتفائل أن يستعين بالآية التالية:﴿ إِنَّ اَللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[2]، أي إن الله سوف يُساعدنا على إصلاح الإسلام إذا ما أصلحنا مواقفنا وأفعالنا تجاه الإسلام، ويستطيع المتشائم أن يستشهد بالحديث التالي على انحدار الإسلام مستقبلا " يدخل الناس الدين أفواجا ويخرجون أفواجا*"[3].

ويبدي هوفمان تفاؤلا حذرا بشأن الإسلام في أن يكون الدين الأكثر انتشارا في القرن الواحد والعشرين.

تنبأ في القرن الماضي سياسيون ومستشرقون كُثر بأفول الإسلام، لذلك عكفوا على دراسته واعتبروا واجبهم تسجيل إرهاصات اختفائه لأجيال المستقبل، ودراسة الإسلام لم تعد على طريقة لورانس العرب، بل اضطلعت به نخبة من الأكاديميين بعضهم تحول إلى الإسلام وبعضهم الآخر يُوشك على اعتناقه.

وبدأت تتنامى الحركات الإسلامية منذ ثلاثينات القرن الماضي، حيث غدت جزءا من الأجندة السياسية في جل البلدان الإسلامية، وهذا النماء فُسِّرَ بأنه تهديد أصولي؛ الأمر الذي جعل الإعلام العالمي ينشغل بالإسلام أيما انشغال[4].

---

[1]- هوفمان مراد، الإسلام عام 2000، (م س)، ص 12.

[2]- الرعد، آية 11.

* يُعلق هوفمان على الحديث:« لم أجد هذا الحديث في الكتب الستة ولا موطأ مالك ولا مسند أحمد، ولكن رواه الحاكم وصححه». بينما يرويه ابن رشد في كتابه البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل العتبية في فقه الإمام مالك، على أنه حكاية لابن هريرة، رضي الله عنه قائلا: « قال مالك: وحدثني من أصدق عن أبي هريرة أنه كان يقول: " إِذَا جَاءَ نَصْرُ اَللهِ وَاَلْفَتْحُ وَرَأَيْتَ اَلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اِللهِ أَفوَاجاً" (النصر) ثم يقول: والذي نفسي بيده لقد دخلوا في دين الله أفواجا، وإنه ويخرجون منه أفواجا. قال محمد بن رشد: إنما قال ذلك ابن هريرة حين توفي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وارتد من ارتد من العرب فأقسم على ما رأى حقيقته، وبالله التوفيق »، تحقيق محمد عثمان الجزء 11، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص 390.

[3]- هوفمان مراد، الإسلام عام 2000، (م س)، ص 13.

[4]- المصدر نفسه، ص 17.

وسوف يصبح الإسلام مستقبلا هو العدو الكبير، حيث تعداد المسلمين في الغرب في تزايد رهيب والمساجد تنتشر كما أن هوفمان يُدعم أطروحته بموقف محمد أسد بصعود الإسلام وتراجع الحضارة الغربية، وبالخصوص بعد سقوط الشيوعية، مما اعترى نفوس منظري الغرب وعلمائه الريب والشك[1].

ويُرجئُ هوفمان أمر تصاعد الإسلام في الغرب وفي الشرق إلى مستوى التدين واتجاهاته إجمالا[2]، إذ يعود السبب إلى انحدار التدين في الغرب حسبه إلى الفيلسوف الألماني كانط Immanuel Kant (1724– 1804) ومن حذا حذوه، ذلك أن القرن العشرين استعاض عن الدين بالإيديولوجية من نازية وفاشية وستالينية وماوية وأدى إلى إغراق البشرية في حروب مدمرة[3].

ومعنى هذا أن العقل والفكر التنويري هو الذي أسقط الغرب في العدمية ونسبية القيم والأخلاق المبتذلة وأنبت مجتمعا استهلاكيا شعاره اصطياد أكبر عدد ممكن من اللذات والمتع، وغاص في غياهب المادة يأتي أكلها في كل وقت وحين.

وينزع العالم عموما نحو التدين ويدافع عنه دفاعا مستميتا، ويُظهر الناس تعطشا نحو الروحانيات، بيد أن الوسائل التي تُسخر لهذا الأمر لا تُحسن تلبيته بطريقة مناسبة، مثل الكنائس وغيرها، ولما تغيب الوسائل الناجعة للتدين يتأزم الوضع وقد يفضي بالناس إلى العزوف عن التدين، ولعل هذا ما دفع بهوفمان إلى القول:« **يستخلص المرء أن كمية التدين الإجمالية ثابتة دائما إنما تتغير في الشكل فقط**»[4].

وإن الدين عاد للنهوض من جديد، ولا يكاد يوجد بلد في العالم اليوم ينعدم فيه الدين، وهذا بدوره يعتبر نبأً حسنا للإسلام، لأنه هو المستفيد الأكبر من بين الأديان، إضافة إلى عامل التحرك[5].

ويقصد هوفمان أن العولمة التي كان يُخشى منها وكانت تُشكل عقبة كأداءً على الإسلام والمسلمين قد خدمت الإسلام من حيث لا تشعر وفي وقت وجيز عن طريق

[1]– هوفمان مراد، الإسلام عام 2000، (م س)، ص ص 18- 19.

[2]– هوفمان مراد، الشرقي عبد المجيد، مستقبل الإسلام في الشرق والغرب، (م س)، ص 118.

[3]– المصدر نفسه، ص ص 119- 120.

[4]– المصدر نفسه، ص 125.

[5]– المصدر نفسه، ص 133.

الثورة المعلوماتية ووسائل الاتصال حيث أصبح معروفا في كل العالم، بعد ما كان المستشرقون يتكهنون باختفائه وأفوله.

ويتقدم الإسلام اليوم ويتعاظم مقارنة مع بقية الأديان الأخرى، فهو الدين الثاني في أوروبا وأمريكا بعد المسيحية، ويكاد يوجد مسلم واحد في كل بيت في العالم، ففي العالم الغربي يوجد أكثر من ستة عشر مليونا من الناس يدينون بدين الإسلام، وبالخصوص مع تدفق السيل الهائل من المهاجرين إلى أوروبا وأمريكا بعد الحرب العالمية الثانية[1].

ويقلق هوفمان كثيرا من مصير الإسلام ومستقبله في العالم جراء التعصب والعنف اللذان يُمارسان ضد الأبرياء باسم الإسلام، ذلك أنه منذ أحداث 11 أيلول 2001 في أمريكا و11 مارس في إسبانيا أُقترن بين الإسلام والإرهاب، وأصبح منذ ذلك الوقت يهلع الكثير من كل ما هو إسلامي ويصدقون بما جاء به صامويل هنتينغتون حول صراع الحضارات[2].

وهذه المشكلة خطيرة جدا وتزداد استفحالا يوما بعد يوم ويصعب احتوائها، وتحول دون إنصاف الإسلام والمسلمين، وتزيد من الأعادي والمناوئين للإسلام.

ويضيف هوفمان عوامل كثيرة تُقلص من فرص انتشار الإسلام في الغرب والعالم منها:

- مناهضة الإسلام الحياة الغربية.
- لا يتساوق مع الحداثة.
- عدو للمرأة وحقوق الإنسان والديمقراطية.
- له صلة بالعنف والإرهاب، إضافة إلى تطبيقه لقانون عقوبات متوحش باسم الشريعة.
- غريب عن التراث الإغريقي والمسيحي.
- المسلمون في الغرب يغرقون في المشاكل، كمشكل العرقية والطائفية وتعلقهم بأوطانهم مما يُضعف عملية اندماجهم.

[1]- شيرين. تي. هنتر وسيمون سرفاتي وآخرون، الإسلام الدين الثاني في أوروبا، (م س)، ص 29.

[2]- هوفمان مراد، الشرقي عبد المجيد، مستقبل الإسلام في الشرق والغرب، (م س)، ص 136.

– شرك الإعلام الذي يريد تفسير الإسلام، ويتناقل الأخبار السلبية ضد المسلمين
– الذاكرة التاريخية المشحونة بالأحقاد.
– مشكلة بيت المقدس وإسرائيل.
– مشكلة الإسلام الأوروبي أو الإسلام المجرد أو المنعزل.[1]

ينسب هوفمان أمر مصير الإسلام وتطوره إلى المسلمين الغربيين وليس المسلمين الأصل والسبب يعود إلى خلط هؤلاء بين الدين والحضارة « **أريد أن أشير... إلى أن المستقبل العالمي للإسلام مرتبط في أنحاء العالم بظهور دور للمسلمين الغربيين. وكلي أمل في أن تطور الجالية المسلمة الغربية مبادرة متألقة تؤثر على البلدان الإسلامية وتفيد الإسلام على الصعيد العالمي**»[2].

وحسب هوفمان هؤلاء المسلمون الغربيون الجدد شأنهم شأن المسلمين الأوائل الذين كانوا بمعية النبي، ليس لديهم فكرة عن أي مذهب، وعليهم أن يجتهدوا في إيجاد إجابات للقضايا المستجدة المطروحة مثل تجميد الجينات والاستنساخ والموت الدماغي واختيار جنس المولود وغير ذلك.

ويُشيد هوفمان بظهور مجالس للفقهاء في الغرب بعلماء أزهريين متمكنين مثل يوسف القرضاوي وفتحي عثمان وطه جابر العلواني. ويحتفي باللغة الإنجليزية كونها لغة الإسلام الثانية إذ بإمكانها خدمة الإسلام، لأن أكثر المطبوعات الإسلامية الغربية الراقية تُدون بها، كما أنها سوف تعمل على تذويب الخلافات العرقية وظهور أمة عالمية غير منقسمة، وإن حصل ذلك سوف يتضاعف الإسلام في العالم ويضحى بديلا عن المسيحية. وهذه التطورات من شأنها أن تُفضي إلى تبادل مثمر بين مسلمي الغرب والشرق*، وربما يكون التنوع بين المسلمين في الغرب نعمة وقوة ينبغي أن يؤدي إلى وحدتهم وأخوتهم وانتصارهم[3].

[1]– مستقبل الإسلام في الشرق والغرب، (م س) ، ص ص 155– 165.
[2]– المصدر نفسه، ص 182.
* يهيب هوفمان المسلمين العرب **العدول عن فكرة أن الغر ب الذين اعتنقوا الإسلام سوف يعملون على تدميره**، كونهم لم ينشأوا في بيئة عربية ومن ثم فهم لن يفهموا الدين الإسلامي على الإطلاق. خاصة اليهود منهم مثل محمد أسد.
[3]– مستقبل الإسلام في الشرق والغرب، (م س) ، ص ص 184– 188.

وفي رأيي لا أجاري هوفمان فيما ذهب إليه- الغيب نشاط يضطلع به الأنبياء فقط- ذلك أن الأنبياء لا يعلمون الغيب ولا يعرفون المستقبل إلا بوحي من الله، أي إذا أراد الله لهم ذلك، يقول سبحانه وتعالى :﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[1] .

وإن عالم الغيب محصور بيد الله عزّ وجل مصدقا لقوله تعالى :﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَّرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وإذا كان أمر الاستشراف والتنبؤ أمر خطر ومستحيل، فلماذا ينفق هوفمان هذا الوقت ويُكرس هذا الجهد لعمل لا غاية تُرتجى منه.

وإن دراسات المستقبل واستشرافه ليست ترفا فكريا، بل ضرورة لازمة للوجود البشري، إذ بإمكانها التقليص من الأزمات عن طريق التنبؤ بها قبل حدوثها وتصير كوارث تُهدد البشرية والعالم. والآن يوجد ما يسمى علم المستقبليات نحته هربرت جورج ويلزHerbert George Wells (1866- 1946)[3]. وهناك العديد من الأمثلة على دراسات استراتيجية وتنبؤات علمية في مختلف الميادين أمضاها علماء مثل جيمس كلارك ماكسويل James Clerk Maxwell (1831- 1879) الذي تنبأ بالموجات الكهرومغناطيسية، وبعد موته بسنين اكتشفها العالم هارتزHeinrich Hertz (1857- 1894).

أما اعتبار هوفمان أن ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب مُجددين للإسلام، فاعتبار لا يستسيغه الكثير، حيث يعد بعض النقاد أن كتب ابن تيمية عبارة عن موسوعة بدع منحصرة في القول بالجهة والتشبيه وإنكار التوسل لقبور الصالحين، وتعد كتبه مجرد تكرار وإعادة لنفس القضايا في أثواب متعددة، وهناك معارضين كثر لكتبه مثل: تقي

[1]- سورة الجن، الآيتان 26- 27.

[2]- سورة الأنعام، آية 59.

[3]- محمد إبراهيم منصور، "**الدراسات المستقبلية ماهيتها وأهمية توطينها عربيا**"، أطلع عليه يوم 2020/03/25، على: 17سا و2د، من الموقع التالي: https://archive.org/details/montlq330_gmail_20190331/page/n19/mode/2up

الدين السبكي، ويحيى ابن اسماعيل بن جهبل، والأخنائي قاضي المالكية، وابن حجر والسخاوي وغيرهم كثير[1].

يقول الدكتور عبد المجيد الشرفي: « **لقد قرأت بتمعن جل مؤلفات ابن تيمية، ولم أقتصر على ما يشيعه عنه أنصاره وأعدائه، فما رأيت سوى فكر نصوصي ثنوي (بمعنى أن ليس فيه مكان إلا للخير الخالص والشر المحض) وفتاوي لا حظ لها من الاجتهاد، اللهم إلا من حيث التشدد في الدين**»[2]

ويأخذ محمد أسد على محمد عبد الوهاب ومن نهج منهجه، ضيق أفقهم في فهم وتطبيق النصوص الدينية على معناها الحرفي دون الغوص في أبعادها الروحية، إضافة إلى تعصبهم لرأيهم ونبذهم لمُخالفهم[3].

ويقول الدكتور أحمد الديري:« **أدرك محمد عبد الوهاب أنه لا يمكن للمكتبة وحدها أن تحول التكفير إلى قتل، فكفر بها، وراح يبحث عن قوة تجعل من خطابه وحشا ضاريا في صحراء نجد، أراد أن ينبت لنصوصه التكفيرية مخالب ضارية، فكان سيف الدرعية**»[4].

ويُوجه الدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المعطي في مؤلفه الموسوم" استدراكات مراد هوفمان على الإسلام: عرض وتقويم" لكتاب هوفمان " الإسلام عام 2000 "، غير أنني أحسبه لم يستوعب ما كان يرمي إليه هوفمان، فهو يقول:« **فاته أن يفرق بين أمرين مهمين: بين الإسلام عقيدة وشريعة، مبادئ وقيما وتوجيهات، وبين المسلمين من حيث شدة تماسكهم بالإسلام، وقوة صلتهم به، أو ضعف ذلك التماسك، وتلك الصلة. والتقسيم الذي ذكره موضوعه هو واقع المسلمين، وليس واقع الإسلام**»[5].

وإن هوفمان لا يُخلط بين الإسلام وواقع المسلمين والدليل أنه استخدم عبارة " أن المسلمين" وعبارة " تاريخ المسلمين" وعبارة ثالثة هي" هل طبق الإسلام نموذجيا في العصور الأموية والعباسية والعثمانية، أو حتى في الأندلس؟"، كما أنه عندما أشار إلى

---

[1]- اليعقوبي محمد بن أحمد مسكة بن العتيق، **فتاوي ابن تيمية في الميزان**، مركز أهل السنة بركات رضا للنشر، إعداد مركز بحوث والدراسات، تاريخ الطبع ذي الحجة 1423ه، 2003م، ص ص 2- 3.

[2]- هوفمان مراد، الشرقي عبد المجيد، مستقبل الإسلام في الشرق والغرب، (م س)، ص 209.

[3]- خليلوفيتش صفوت مصطفى، الإسلام والغرب؛ رؤية محمد أسد، (م س)، ص ص 71- 72.

[4]- الديري علي أحمد، **إله التوحش: التكفير والسياسة الوهابية**، مكتبة الفكر الجديد للنشر، بيروت، ط1، 2017، ص 4.

[5] - المعطي عبد العظيم إبراهيم محمد، **استدراكات مراد هوفمان على الإسلام**: عرض وتقويم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005، ص ص 5- 6.

أصناف المسلمين الثلاثة وظف عبارة " قد"[1] وكلمة قد تُفيد احتمال الوقوع، الشك، أو التقليل، وأصناف المسلمين الثلاثة هو مجرد افتراض صاغه هوفمان، ليستنتج بناءً عليه استشرافا محتملا في المستقبل القريب أو البعيد لمصير الإسلام ليس إلا، يُمكن أن يحدث، ويمكن أن لا يحدث، وليس في اعتقادي تأكيدا أو جزما أو اتهاما لمبادئ الإسلام وانتقاصا لشريعته، وهذه هي طبيعة الدراسات المستقبلية والاستراتيجية.

ويستطرد قائلا: « **ليس في تاريخ الإسلام حركات صعود وهبوط، لأن الإسلام في حالة صعود دائما منذ أنزله الله، لم يهبط في زمان حتى يصعد في زمان آخر**»[2].

رغم أن هوفمان لم يطرق إطلاقا لعبارة الإسلام فهو يقول بالضبط ما يلي: « **قد يرى مسلم آخر تاريخ المسلمين على شكل موجات فيها سلسلة متعاقبة من الارتقاءات والانحدارات، تتقدم، إن جاز التعبير– في شكل حلزوني**»[3].

ويبدو أن صاحب كتاب استدراكات مراد هوفمان من أنصار فكرة أن الغرب الذين اعتنقوا الإسلام سوف يعملون على تدميره كونهم لم ينشأوا في بيئة عربية ومن ثم فهم لن يفهموا الدين الإسلامي على الإطلاق.

ويبدي هوفمان تفاؤلا حذرا بشأن تصاعد الإسلام، ونحن نشاطره الرأي؛ لما نلمسه في واقع المسلمين من ركود وكسل ولا مبالاة بشؤونهم العقدية والأخلاقية، ووهنهم من الناحيتين السياسية والاقتصادية، إضافة إلى العداء الذي يُكنه لهم الغرب بجميع أطيافه وعملائه.

ونلاحظ أن هوفمان أسرف في استعراض الأسباب التي تعترض انتشار الإسلام مستقبلا في الغرب، وقد سبق لنا وناقشناها في المبحث الثالث من الفصل الثاني (التفاعل بين الأنا والآخر)، غير أنه أبدى شحا في الحلول التي من شأنها أن تُضاعف من حظوظه.

ويرى هوفمان أن مستقبل الإسلام عالميا يتوقف إلى حد كبير على مستوى التدين واتجاهاته إجمالا، غير أن الدكتور عبد المجيد الشرفي يُعاكسه في الرأي، إذ يرى « **أن**

[1]- هوفمان مراد، الإسلام عام 2000، (م س)، ص ص 11- 12.

[2]– المعطي عبد العظيم ابراهيم محمد، استدراكات مراد هوفمان على الإسلام، (م س)، ص 7.

[3]– هوفمان مراد، الإسلام عام 2000، (م س) ، ص11.

مصير الإسلام رهين في الدرجة الأولى بمستوى المسلمين الحضاري، وهم في الجملة في أسفل السلم حين يقارنون في هذا المجال بما عليه أمم وشعوب أخرى»[1].

ويقصد الشرفي أنه قد يكون للإسلام حظوظ لعدد هائل من البشر في العالم، لكن ليس بمستوى التدين، بل بمضمون هذا التدين ودرجة نقائه، وأيضا بالتطور الحضاري بشتى مجالاته، وأسمح لنفسي هنا بمشاطرة الدكتور الشرفي ومقاسمته رأيه، ولنا في تاريخنا الإسلامي ما يعضد هذا الرأي.

فالمسلمون الأوائل تفوقوا حضاريا وبرعوا في شتى مجالات العلوم، من طب ورياضيات وكيمياء وفقه والفنون مثل الموسيقى والعمارة والحروب، إضافة إلى سمو أخلاقهم وصدق تديّنهم، وهذا ما يُفسر حسن سمعتهم وارتفاع شأنهم وقتئذ.

ونُؤيد هوفمان في قلقه بشأن العنف الذي يُمارس ضد الأبرياء ويُلصق بالإسلام، مما أسفر عن بزوغ ما يسمى بالإسلاموفوبيا أو الخواف من الإسلام، إذ بات خطرا ينخر مستقبل الإسلام وفرصة انتشاره، وخابت كل المحاولات والاستراتيجيات التي جُنّدت من أجل الحد من هذه الظاهرة.

أما على صعيد آخر يرى الدكتور هوفمان أن مصير الإسلام ومستقبله رهين بالمسلمين الغربيين، ويعقب عليه الدكتور عبد المجيد الشرفي قائلا: « **وإن كان للإسلام الأوروبي أو الأمريكي من دور إيجابي يمكن أن يُؤديه فهو متوقف على مدى استطاعة المسلمين في هذه الربوع الاستفادة من حداثة المجتمعات التي يعيشون فيها، والتخلص من الفكر القروسطي الذي حملته معها الأجيال الأولى من المهاجرين ذوي الثقافة المحدودة، في أمور الدين كما في غيرها»**[2].

بيد أنني أعتقد أن هناك سوء فهم من عبد المجيد الشرفي لهوفمان، ذلك أن هذا الأخير يقصد بالمسلمين الغرب الذي ينحدرون من أصول غربية مثل هوفمان، ومحمد أسد(ليوبوند فايس)، روجيه غارودي، موريس بوكاي... وليس أي مسلم يستوطن الديار الغربية، أو منحدر من أصول شرقية، وما يشهد على ذلك قول هوفمان: « **إن الذين اعتنقوا الإسلام من الغربيين مثلوا الإسلام دينا أنزله الله على أساس القرآن**

[1]- هوفمان مراد، الشرفي عبد المجيد، مستقبل الإسلام في الشرق والغرب، (م س)، ص210.

[2]- المصدر نفسه، ص ص223- 224.

والأحاديث الصحيحة دون أية صفقة ثقافية معه، على نقيض المسلمين المهاجرين إلى أوربة، إنهم مسلمون مجردون من أي خلفيات، وأصوليون بالمعنى الحقيقي لهذا المصطلح الذي أسيء استخدامه»[1].

أما أن المسلمون الغربيون مثلوا الإسلام دينا أنزله الله على أساس القرآن والسنة، فلا أجاري فيه هوفمان وما يبرهن على ذلك قول جيفري لانج عن المسلمين المنحدرين من أصول أمريكية والذين جاروا المسلمين المهاجرين من الشرق الإسلامي في شرك المزج بين الثقافة والدين « **وبسبب رغبة الكثيرين من معتنقي الإسلام في أنهم يقبلوا في ثقافة المسجد يحاولون إعادة تكوين أنفسهم بما يتلاءم مع أعراف المجامع و الجالية، لدرجة أنهم يكبتون ضمائرهم وعقولهم، الأمر الذي يجعل الكثيرين منهم يصفون حالتهم بأنها انفصام ثقافي وعقلي، إذ يتحلون بالأخلاق والمواقف السياسية والاجتماعية وغيرها التي تتخذها شعوب الشرق الأوسط عندما يكونون بين المسلمين، ثم يعودون إلى شخصيتهم الأمريكية في مواضع أخرى»**[2].

وإذا كان يعتقد هوفمان بأن مصير الإسلام ومستقبله مرهون بالمسلمين الغربيين، فلماذا يُشيد بمجالس الفقهاء في الغرب وبالعلماء الأزهريين الذين يعدّهم من الفطاحل مثل يوسف القرضاوي وفتحي عثمان وطه جابر العلواني، وكما هو ملاحظ جعل الشيخ القرضاوي في طليعة هؤلاء ومن دون شك يعتبره هوفمان مرجع من مراجع الفقه الإسلامي وفتواه، وفي المقابل من ذلك بعض المفكرين لا يستسيغ الوصف الذي وصف به هوفمان الشيخ القرضاوي ويعتبرون فتاويه شاذة، يقول الكاتب محمد إبراهيم مبروك:« **لكن الخطب الأكبر لا يقف عند... منطوق الفتوى التي أجاز من خلالها شيخنا الجليل أن يقاتل الجندي الأمريكي المسلم إلى جانب القوات الأمريكية في أفغانستان ولكن في الحيثيات التي استندت عليها الفتوى فالقول أن الجندي الأمريكي المسلم مُكره على ذلك وإلا تعرض لفقد وظيفته أو حتى سجنه وأن ذلك يقوم من باب فقه الموازنة بين الأضرار يجعل المرء يتساءل: هل يبلغ فقدان الوظيفة أو حتى التعرض للسجن...درجة من الضرر يمكن المقارنة بينها وبين الضرر الواقع عند**

[1]- مستقبل الإسلام في الشرق والغرب، (م س)، ص 183.

[2]- لانغ جيفري، ضياع ديني، (م س)، ص 254.

مشاركة المسلم للغير في قتال المسلم والذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم:" إن قتاله كفر"»[1].

ويستطرد إبراهيم مبروك مستاءً ومُؤاخذا تصريحات ومواقف الشيخ القرضاوي بقوله:« **فهل يجب الحفاظ على الوجود الإسلامي في الدول الغربية حفاظا كميا وشكليا حتى ولو تعرضت الأسس الإسلامية نفسها للضياع. وهل يجب الدفاع عن الجهود الدعوية والتربوية الهائلة التي بذلت لعشرات السنين حتى ولو تم التضحية بمفهوم المرجعية الإسلامية ذاته بوضع مفهوم القومية الغربي والانتماء للإسلام موضع المفاضلة؟ أم الدفاع عن الأسس الإسلامية واعتبار ما يتعرض له الوجود الإسلامي هناك عند ذاك هو من باب المحنة والابتلاء»**[2]

ومما يزيد من بيان عدم توفيق هوفمان في إدعائه السالف، قضية الحجاب فهو يوافق أحمد أسد ويعتبره من العلماء القلائل الذين أجابوا إجابة محددة على أن الحجاب ليس مطلب قرآني، إذ يعلق على ذلك قائلا:« **هناك قلة من العلماء المسلمين من أتباع محمد أسد يعتقدون أن الحجاب ليس مطلبا مطلقا، بل يعتمد على الظروف**»[3]. ثم يستطرد قائلا:« **ونكرر أن القضية هنا ليست هي أن القرآن والسنة أمرا بالحجاب وإلى أي مدى، بل القضية هي من يجيب على هذا السؤال إجابة محددة سواء كان مسلما أو غير مسلم. هذه القضية جديرة بالدراسة لأنها توضح بصورة نموذجية مبدئية ما يتوقعه المسلم(وما لايتوقعه) من الوضع القانوني الذي يبدو للوهلة الأولى(وليس للوهلة الثانية) أنه لصالحهم**»[4].

ونفهم من هذا أن مفهوم الحجاب لم يحدد بصفة واضحة في القرآن والسنة الشريفة، وإنما هو مفهوم فضفاض يتبع التغيرات الاجتماعية والتطورات الأخلاقية، ويا ليت الأمر توقف عند الحد، بل يزداد عجبا عندما يعد هوفمان صديقه محمد أسد من العلماء القلائل الذين فهموا واستوعبوا استيعابا صحيحا قضية الحجاب.

---

[1]- مبروك محمد إبراهيم، **الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار، نظرية في دوافع الصدام واحتمالات المستقبل**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط 1، 2002، ص 316.

[2]- المرجع السابق، ص 316.

[3]– هوفمان مراد، الشرفي عبد المجيد، مستقبل الإسلام في الشرق والغرب، (م س)، هامش ص 179.

[4]– المصدر نفسه، ص 179.

وهل يعقل أن لو لم يقدر لمحمد أسد إدراك الإسلام، يظل المسلمون في حال جهل تام بقضية الحجاب إلى غاية تخريج ذلك الفهم من قِبَلِه، ولكن المسلمين كانوا محظوظين بإسلام هؤلاء.

ولا أشاطر هوفمان لاعتباره محمد أسد من العلماء القلائل الذين رأوا أن الحجاب ليس مطلب قرآني وإنما يتبع الظروف الاجتماعية، لأن هناك مجتهدون كثر قالوا بذلك، وعلى سبيل المثال لا الحصر الشيخ خالد بن تونس بصرف النظر عن صحة موقفه من عدمه، إذ يرى بأنه يوجد من الحجاب بحسب المناطق، لكن هناك من استغل الحجاب وأنشأ جوا من التوتر، مما ينأى بنا عن روح النص القرآني الذي يريد كل طرف في تأويله تغذية جدال لا فكاك منه[1].

وإن كلمة جلباب غدت مجهولة في عصرنا، وهناك خلط بين الجلباب والحجاب الذي يعني الستار، فقد كان بيت الرسول صلى الله عليه وسلم متحّد مع المسجد ولا يفرق بينهما إلا ستار، فقضت الآية بسدل الحجاب – الستار– لحفظ أسرار الرسول وأسرته والفصل بين حياته العامة وحياته الخاصة، وبهذا فقد كان يقصد بكلمة الحجاب الستار، لينقلب أخيرا إلى لباس بتأويلاته الإيديولوجية التي نعرفها[2].

ويستطرد الشيخ خالد أن الشريعة الإسلامية لم تسن أيّة عقوبة أو حد في حق النساء اللواتي لا يرتدين الحجاب، من هنا لا يعد الحجاب من فرائض الشريعة، ناهيك على أن المرأة لا يجوز لها ستر وجهها ولا يديها في مناسك الحج، مع أنها تُؤدي الحج مع الرجال[3].

ثانيا: روجيه غارودي

ينطلق روجيه غارودي Roger Garaudy (1913– 2012) في بحثه مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب من سؤال مركزي مفاده: هل باستطاعة الإسلام أن يُسهم بالإجابة على جزع الحضارة الغربية التي أوشكت على حفر قبر للإنسانية جمعاء بتعاليها وجبروتها؟[4]

---

[1]- الشيخ خالد بن تونس، الإسلام والغرب، (م س)، ص 88.
[2]- المرجع نفسه، ص ص 89- 90.
[3]- المرجع نفسه، ص 90.
[4]– روجيه غارودي، **وعود الإسلام**، تر: قرقوط ذوقان، دارالرقي، بيروت، ط 2، ص ص 22– 23.

فيُبرز روجيه غارودي انتصار الإسلام في شبه الجزيرة العربية وتقدمه على العالم قاطبة باستثناء جزء من أوروبا وبلاد الصين دفعنا إلى الاعتراف بالمكانة الشامخة لرسالة نوعية الإسلام المرتكزة على جماعة لها عقيدة ونظام حياة.[1]

ونفهم من هذا أن الإسلام تمكن من الوصول إلى نصف الشمال الجنوبي من الكرة الأرضية في غضون قرن من الزمان، رغم أنه انحدر من بيئة صحراوية تنعدم فيها الحياة، يستوطنها أقوام قلائل غارقين في البداوة والترحال، يمتهنون مهنة الرعي؛ لا خبرة لهم بفنون الحرب والقتال.

ولما أصبح الله حاضرا في وجود هؤلاء الأعراب كوّنوا حضارة متطورة وقوية ومبدعة، سخّر الله لهم بموجبها العالم، ليحققوا ما يفوق تصور الإمبراطوريات والثقافات القوية وقتئذ.

والإسلام دين الوسطية والتوازن بين المادة والروح، لم يفصل بين العالم الدنيوي والعالم الأخروي، ربط الإنسان بالسماء وحرص على السمو الأخلاقي دون أن يقصي الجانب المادي؛ حيث الإسلام نبعٌ فياض ينتح منه من حذا حذوه؛ لهذا السبب استطاع أن يؤثر تأثيرا بالغا في كل الشعوب، فهو باختصار عقيدة ونظام حياة.

ويقول روجيه غارودي:« **اليوم إذا لم يتجمد الإسلام في ماضيه وإنما عرف كيف يحل مشكلات عصرنا بروح مجتمع المدينة، متذكرا أن البقاء على الإخلاص للأجداد لا يكون بنقل الرماد من موقدهم...بل الشعلة وإن النهر باتجاهه إلى البحر يكون وفيا لمنبعه، إذن لاستطاع أن يشق لنفسه، ليس فحسب من أجل المسلمين، وإنما بصورة شاملة، آفاق اشتراكية لا تشلها قط العلموية الوضعية ولا الفردانية الغربية وإنما تخصبها القيم الأساسية التي سبق لها أن ابتعثت مجتمع المدينة ببزوغ شعلة الأمل: التسامي والمجتمع**»[2].

ومعنى هذا أنه كما ساهم الإسلام في بناء حضارة العالم وإعلائها وتطويرها بفضل العلماء المسلمين في ميادين العلوم المختلفة في ميدان الرياضيات والفلك

[1]- روجيه غارودي، وعود الإسلام، (م س)، ص 24.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 37- 38.

والفيزياء والكيمياء والطب العمارة والموسيقى والتجارب العملية، بإمكانه اليوم أن يحل المشاكل التي تغرق فيها المدنية الغربية بخلاله الحميدة.

وتسير الحضارة الغربية نحو هلاك البشرية، ولم يسع العلم الوضعي ولا التقنية ولا الحداثة حل مشاكل الإنسانية، بل كل هؤلاء فاقموا من حدة هذه المشكلات؛ وتتوهم الحضارة الغربية أنها جلبت السعادة والراحة للعالم، لكنها في الحقيقة أفرزت بمنهجها المادي البراغماتي الكثير من النزاعات والمشاحنات بين الدول والأمم، وفشلت في حفظ كرامة الإنسان وطمأنته، ناهيك عن فقدانه للجانب الروحي.

ولقد ساهمت أخلاقيات الإسلام على تحقيق الأخوة بين الأفراد والمجتمعات، وقضت على العداء القومي والعرقي والطبقي والكراهية بين الناس، وهذا هو العلاج الذي تحتاجه اليوم المدنية الغربية لكي تبرأ من سقمها الذي بات ينخر جسدها في كل وقت وحين.

ويُشيد روجيه غارودي بأهمية الحضارة الإسلامية، باعتبارها أهم منبع يمكن أن تتشرب منه الحضارة الغربية في مختلف الميادين العلمية والأخلاقية والإنسانية، إضافة إلى انفتاحها وتسامحها « **الحضارة الإسلامية باعتبارها منهلا ثالثا للحضارة الغربية، وريثة حضارتي اليونان والرومان؛ إذ من الانصاف الاعتراف بوجود مصدر ثالث لها قد يكون أخصب وأهم من المصدرين اللذين يعترف بهما الغربيون**»[1].

ومعنى هذا أن الغرب يعزو مصدر ثقافته إلى مصدرين أساسيين: الأول إغريقي روماني، والثاني يهودي مسيحي وأقصى الدور الذي لعبته الحضارة الإسلامية؛ لإدعائه أنها مجرد ناقلة للثقافات القديمة ومترجمة للتراث اليوناني.

ويرفض روجيه غارودي هذه النظرة غير منصفة للحضارة الإسلامية ويورد جملة من الحجج والدلائل ليقوض ذلك الزعم، معتبرا أن الرياضيات اليونانية تقوم على فكرة المحدود، بينما الرياضيات العربية تنبني على نظرية اللامحدود، والمنطق اليوناني صوري، في حين المنطق العربي تجريبي، وفن البناء العربي الإسلامي يُشكل

[1]- غارودي روجيه، **لماذا أسلمت؟**، نصف قرن من البحث عن الحقيقة، دراسة أعدها محمد عثمان الغشت، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، بدون ذكر طبعة، ص 88.

بأقواسه وقبابه سيمفونية فنية رائعة، تُعاكس المعابد اليونانية، أما البناء اليوناني يقوم على الثوابت والخطوط المستقيمة[1].

ويتطلع روجيه غارودي مستقبلا أن يرى انفتاح تام بين الحضارتين الغربية والإسلامية بعضهما على بعض ولا يكون ذلك إلا بتغيير طبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب، مبتعدين عن كل الأسباب الرامية إلى الحرب والاحتلال والعداوة والكراهية، متبعين مبادئ الإسلام العالمية التي من شأنها إنقاذ البشرية جمعاء « **دعونا نفكر بحلم عظيم: الحلم بأن نرى الأمم الغربية الكبرى وفي بداءة الأمر الأمم التي لقحت عبقريتها ثقافة الإسلام وعقيدته وقد أنشأت في الأمكنة التي ازدهر فيها الإسلام نفسها، في قرطبة وباليرم وباريس، مراكز لقاء وبحث وتَكوُّن ونشر مكثف لما في وسع الإسلام اليوم أن يجلب لنا وما في مكنته أن يقول لنا ونقول له**»[2].

وهذا يعني أنه على العالمين الغربي والإسلامي أن يتخلوا عن حساباتهما الضيقة، والتحلي بالحكمة والاستفادة من بعضهما بعض، كأن يستفيد الإسلام من مادية الغرب ويستفيد الغرب من روحانية وإنسانية الإسلام، ويُحققا الحوار باحترامهما حياة الإنسان وتقديسها.

وينزع العالم الغربي اليوم نحو تحطيم كل شيء والقضاء على البشرية باستبعاد الروح الإنسانية في الاقتصاد والسياسة والثقافة يقول غارودي: « **حوالي 600 مليار دولار من الإنفاق على التسلح وضع ما يعادل أربعة أطنان من المتفجرات على رأس كل ساكن من سكان الكوكب. ووزعت الموارد والثروات حيث مات في السنة نفسها(50) مليون نسمة في العالم بالمجاعة وسوء التغذية، فمن الصعب أن يسمى "تقدما" بلا تردد ذلك الشوط التاريخي الذي قطعته الحضارة الغربية التي جعلت من الممكن فنيا لأول مرة خلال مليوني سنة أو ثلاثة ملايين سنة من الملحمة البشرية تحطيم كل أثر من آثار الحياة الأرض**»[3].

---

[1]- غارودي روجيه، **الإسلام هو الحل الوحيد للأزمات المتصاعدة للغرب**، مطابع فتحي الصناعية، بورسعيد، بدون ذكر الطبعة، ص 15.

[2]- روجيه غارودي، وعود الإسلام، (م س)، ص 218.

[3]- غارودي روجيه، لماذا أسلمت.؟، نصف قرن من البحث عن الحقيقة، (م س)، ص 104.

يُشير هذا القول إلى أن الحضارة الغربية تسير في طريق مسدود، وإذا سارت بنفس المنهج والسبيل سوف يكون مآلها التهلكة والموت، لأنها حضارة ليست حكيمة، جاحدة وفارغة، لا تنتمي إلى الله، تفصل بين الغيب والطبيعة، كما أفحمت الإنسان بأنه هو المطلق في الأرض، لا يعجزه شيء في الدنيا، مما أفضى بها إلى توريط البشرية في حربين عالميتين حصدت ما يربو عن 60 مليون قتيل، ناهيك عن المفقودين والجرحى والمبتوري الأيدي والأرجل والمجانين، ولعل مناهضة الفلاسفة الوجوديين للعقل وعصر التنوير وللحضارة الغربية عموما دلالة صارخة على عبثية هذه الحضارة.

كما يعتبر غارودي أن عبادة السوق والتملك المطلق للأموال والأشياء ستقود الغرب إلى الانحطاط والموت[1]. وتأتي أمريكا في طليعة هذا الانحطاط بوصفها نظام إنتاج يطغى عليه المنطق التجاري والتكنولوجي، غاية كل فرد فيه الاستزادة من حجم الرفاه، أما الجانب الإيماني أو الديني فيعد مسألة ذاتية لا صلة لها في عمل النظام[2].

ويكشف فيلسوفنا عن الطريق الذي يقود إلى إنقاذ الحضارة الغربية مستقبلا **«فالإسلام هو تتويج للسلالة الإبراهيمية التي من خلال اليهودية وبعدها المسيحية خاتمة أن الإسلام يدعو الإنسان إلى أن يفتش ويبحث في نهايته العظمى، ومآله، كما يمكن للإسلام أن يعيد إحياء الأمل في مجتمعاتنا الغربية المتأثرة بالفردية، بطريقة من النمو تقود العالم بأجمعه إلى الانتحار ولكننا لن نحقق هذا الأمل بشكل كامل إلا إذا وعينا دائما ما كتبه(فوريس) بأننا لن نكون أوفياء للأجداد بالمحافظة على رفاتهم ولكن بنقل الشعلة التي أوقدوها»**[3].

ويبدو أن معنى الانحطاط و الانهيار أو السقوط لا يعني به غارودي السقوط المادي وإنما الضياع ضمن الحيرة وغياب الاستقرار والخلو من المعنى داخل الحياة، فالغرب غدا جسد بلا روح، يتيه في الحيرة ولا ينعم بالسكينة.

---

[1]- غارودي روجيه، **حفارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها**، تر: صبحي عزة، دار الشروق، القاهرة، ط 3، 2002، ص 69.

[2]- غارودي روجيه، **الولايات المتحدة طليعة الانحطاط: كيف نحضر للقرن الحادي والعشرين**، تر: مروان حموي، دار الكتاب، دمشق- سوريا، ط 1، 1998، ص ص 26- 27.

[3]- غارودي روجيه، الإسلام هو الحل الوحيد للأزمات المتصاعدة للغرب، (م س)، ص 28.

ويقدم الإسلام للغرب ما ينقصه، وهو نقص مُهلك وقاتل، إذ بإمكانه أن يُعلمه معنى الحياة والغاية الحقيقية منها، ويمكنه أن يصعد ويتجه نحو استخلاف الحضارة الغربية بعد موتها.

وينظر غارودي إلى الإسلام نظرة مستقبلية تفاؤلية وايجابية باعتباره مستقبل الجميع يقول: « **هذا الكتاب ليس كتابا في التاريخ، لكنه اقتراب جديد من الإسلام ومن وراء الإسلام...كقوة حية، ليس فحسب في ماضيه، وإنما في كل ما يستطيع أن يسهم به اليوم في ابتكار المستقبل**»[1].

ويُحذر غارودي العالم الإسلامي والعالم الغربي من الخطر الصهيوني بفاعليته وتنظيماته السرية الماكرة والمرعبة في الغرب، باعتباره يُمثل أحد أعظم العوائق أمام انفتاح وفهم الغرب للإسلام، مُشيرا إلى أهم الوسائل التي يُجندها في هذا المجال بدعوته المسلمين إلى إفهام الغرب أن التوسع الصهيوني يُهدد العالم قاطبة وليس العرب فقط[2].

وما يلفت انتباهنا في أطروحة روجيه غارودي، أنه أشاد بإنجازات المسلمين التاريخية والحضارية، واستكشف صدق رسالة الإسلام، كونه بعثه الله لأعراب لا خبرة لهم بالسياسة وفنون الحرب، ولما عظموه عظم شأنهم واشتدت شوكتهم وأقاموا حضارة متطورة.

كما أنه بين دور حضارة المسلمين في نهوض حضارة الغرب، ثم فكك وحلل الأسباب التي تُؤدي إلى هلاك وموت الحضارة الغربية وكيف يمكن للإسلام أن يمدها يد العون إذا هي استثمرت جانبه الروحي والإنساني، ومن تمام الأمر أن دعا من الطرفان إلى تغيير نظرتهم إلى بعضهما بعض ، وتوخي الحذر من الخطر الصهيوني باعتباره أعظم عائق إزاء فهم الغرب وانفتاحه على الإسلام من أجل عيش مشترك واعد.

ونتفق معه في دعوته الغرب إلى الربط بين القيم التي يرمي إليها الإسلام والعلم، وإلا سوف يجر الغرب نفسه والعالم إلى كارثة عارمة، بيد أننا نشك في أن الغرب

[1]- روجيه غارودي، وعود الإسلام، (م س)، ص 187.

[2]- غارودي روجيه، لماذا أسلمت.؟، نصف قرن من البحث عن الحقيقة، (م س)، ص 109.

سوف يحترم هذه الدعوة ويتصرف وفقها، كما نُثمن نظرته الإيجابية والتفاؤلية للإسلام باعتباره مستقبل الجميع، غير أن واقع المسلمين ينحدر يوما بعد يوم، ويسير من ضعف إلى ضعف، مما يحجب بريق الإسلام ويُقلل من جاذبيته.

ونتفق معه أيضا على أن إسرائيل تُسخر كل طاقاتها لافتعال التوترات بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، وتخويف أوروبا من تصاعد الإسلام الأوروبي، وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد طيبي:« **فإشكالية الإسلام الأوروبي ومستقبل المسلمين هناك تقلق وبحدة مراكز الدراسات الإسرائيلية، وتدفعها إلى التكفل بمتابعة حيثياته بغية توجيه تناقضاته وخنق إنجازاته. فالإسلام الأوروبي وأهله تحولا إلى عامل جيوسياسي مهم، قد يكون له الأثر الكبير وعلى المدى المتوسط على الصراع الفلسطيني/ الإسرائيلي، والإسلامي/ اليهودي**»[1]

ومن جهة أخرى لا نستسيغ دعوته للمسلمين أن يُفهموا الغرب خطر التهديد الصهيوني على العالم، ذلك أن الغرب صنو الصهاينة ولا يستقيم له حال إلا بالاتحاد والتعاون معهم للتآمر على العالم قاطبة والمسلمين خاصة؛ وليس بخفي علينا أن الصراع الغربي الإسرائيلي ضد الإسلام ظهر منذ أن استقرت خاتمة النبوة عند المسلمين، وحتى لو افترضنا بجريان حوار بين الغرب والمسلمين سوف يكون حوار ثقافات لا حوار أديان، ولعل هذا ما دفع بالدكتور بوعرفة عبد القادر إلى القول: « **لا يمكن للغرب كحمولة دينية وثقافية أن يعترف ويقبل بالإسلام كدين سماوي بعد المسيحية، لأن الإقرار بذلك معناه نفي الخاتمية عن المسيح والمسيحية... وعلى هذا الأساس فالحوار بين الغرب والإسلام يؤسس له الغرب من باب حوار الثقافات لا حوار الأديان، بينما المسلمون يطالبون بحوار الأديان لا حوار الثقافات، فالصراع في جوهره ليس بين الثقافات وإنما بين الأديان الثلاثة، ففي الدين الواحد تتنوع الثقافات دون أن تؤدي إلى تصادم كما هو الحال في الإسلام والمسيحية**»[2]

ومن خلال ما سلف يُمكن ترجيح إحداثيات العلاقة المستقبلية التي ستربط الغرب بالإسلام في الصراع والحوار على أن الصراع سوف يطغى على الحوار، ويمكن أن

[1]- الطيبي، محمد، وآخرون، الإسلام الأوروبي، (م س)، ص 59.

[2]- عبد القادر بوعرفة وآخرون، الإسلام الأوروبي، (م س)، ص ص 187- 188.

تتوجه العلاقة بينهما للحوار إذا بذل المسلمون مجهودات عظيمة، في شتى المجالات، وانفتحوا على المستقبل برؤية إيجابية وبدون تكرار أخطاء الماضي وحددوا المساحات التي يتفقون و يختلفون حولها، والمساحات التي يجتهدون فيها[1] بثقة وحزم.

كما يشير الأستاذ بوعرفة عبد القادر إلى أن مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب مرهونة بمدى رفع صعوبات التجاور والتحاور التي ينوء بها اللاشعور الغربي والشرقي معا بدون تلاعب أو استجابة لمصالح مشتركة بين الطرفين يقول:« **إن مستقبل العلاقة بين الغرب والإسلام لا يمكن أن يستقيم إلا من خلال رفع المعوقات عن طريق معرفة الغرب للشرق من دون استشراق، ومعرفة الشرق للغرب من دون استغراب. ولعل ظاهرة التنافر لا تنحل إلا من خلال التسلح بالنزعة الإنسانية المفتوحة، التي أطلقها محيي الدين بن عربي في " ترجمان الأشواق"**»[2]

[1]- ميلاد زكي، الربيعو تركي علي، **الإسلام والغرب:** الحاضر والمستقبل، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ط 2، ص 136.

[2]- بوعرفة عبد القادر وآخرون، الإسلام الأوروبي، المسبار، (م س)، ص209.

المبحث الثالث: الثابت والمتحول ومستقبل الإسلام بالغرب

****

يحتاج المسلمون المتواجدون في الشرق الإسلامي وبالخصوص الذين يستوطنون الغرب إلى توحيد فقه قانوني لأنهم يتساءلون عن كيفية التوفيق بين الثوابت والمتغيرات، بين الحياة الحديثة والإيمان حيث صار في المجتمعات العلمانية أمراً هامشيا؛ ومن هذا المنطلق نتساءل: كيف نميز بين النصوص الثابتة والنصوص القابلة للتغير؟ أو كيف نضع فقه عصري يتفق ووضعية المسلمين في الغرب، مما يتيح لهم تفاعل أفضل واندماج أحسن؟

ولمقاربة هذا الموضوع بسطنا تصورين لأهم من عالجوه في الغرب، أولا طارق رمضان، ثم صهيب بن الشيخ.

وإلى جانب ذلك تعتبر ظاهرة الإسلاموفوبيا من أهم العوائق التي تطفو على سطح التفاعل بين عالم الإسلام والغرب وتحديد معالم مستقبلهما، وكمحاولة لإذابة هذا العائق تطرقنا لأهم أسباب هذه الظاهرة، واقترحنا بعض الحلول الممكنة كسبيل لتداركها.

أولا: طارق رمضان

يدعو طارق رمضان المسلمين اليوم للعودة من جديد إلى أصول دينهم، وإعادة قراءة مصادرها الأساسية في السياق الأوروبي الجديد، وليس معنى ذلك تغيير النص، وإنما يعني قراءته بمنظور جديد، وهذا هو معنى التجديد وإعادة القراءة هذه مهمة لكثير من المفاهيم الإسلامية[1].

وينطلق طارق رمضان من قاعدة أساسية مفادها أنه ينبغي أن نحدد بدقة المصطلحات حتى تغدو واضحة وأكثر عقلانية، كما أنه لا بد من التشكيك في الافتراضات المسبقة والمنهجية وفي الخصومات التي تبديها بعض التيارات المعاصرة، مُقدمة افتراضاتها على أنها هي الوحيدة الصحيحة ولا يُساورها الشك، وهم ممثلوا التيار السلفي، ذلك أننا نجد عند هؤلاء مقولات منهجية جاهزة ترجع إلى العلماء والفقهاء الأوائل، إذ يريدون إضفاء الشرعية المطلقة عليها وتعميمها على كل عصر

[1]- طارق رمضان وآخرون، الإسلام الدين الثاني في أوروبا، (م س)، ص ص 338- 339.

ومصر، اعتقادا منهم أن القرآن وحي أزلي ثابت، فلذا يجب حسبهم تقليل الاختلاف بين طبيعة المبادئ ومستويات فهم الآيات والإرث النبوي والمنهجيات التفسيرية إلى الحد الأدنى[1].

و من المسلم به أن هناك مبادئ وممارسات أكثر أهمية من غيرها ، ولكن الحقيقة التاريخية والسياقية يتم تجاهلها، – وبالتالي تُؤثر على تفسير النصوص– أو حتى تكون غائبة تمامًا عن تطور وماهية معايير الممارسة والسلوك[2].

ويقترح طارق رمضان ثلاثة قواعد في المقاربة التأويلية المعاصرة لاجتناب اللبس والخلط اللذان يقيدان الهوامش التفسيرية ويحولان دون توفير إجابات مطابقة ومناسبة للتحديات المعاصرة.

الأولى أساسية تعتبر علة القاعدتين الآتيتين مفادها أنه لا يمكن الفصل مطلقا بين الثابت في القرآن عبر التاريخ الذي يكون موضوعاً للتغيير نسبة لتطور العصر أو تغير البيئة، وعدد من المبادئ و الممارسات تظل قارة ضمن الثوابت والأصول بصفة مطلقة وتبقى صحيحة وتُجسد بغض النظر عن زمان تواجد البشر ومكانهم.

وهذا هو الحال مع المبادئ الستة للعقيدة*وهم ركائز الإيمان، ومبادئ الممارسة، وأركان الإسلام الخمسة، والمسلمون يسعون دائما إلى احترام هذه المبادئ ويثبتون عليها لأنها تُمثل جوهر الإسلام، وكذا الالتزامات والفرائض والحدود والنواهي الأخلاقية والمحرمات الغذائية تبقى ثابتة وينبغي الامتثال لها مهما كان سياق الحياة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المبادئ تُأخذ بعين الاعتبار لتحديد النماذج والسياقات والشروط لتطبيقاتها عبر التاريخ، وهي ليست ضرورية في مجال العقيدة لأن المبادئ هنا تخضع لضمير الإنسان وإيمانه، وهي أيضا نادرة في ممارسات[3] الشعائر الدينية، وحتى وإن أصبح الإنسان مضطرا هناك رخص أجازها الدين وفقا للوضعيات والسياقات التي يتواجد فيها الإنسان، لكن مراعاة البيئة أمر ثابت فيما يتعلق بتطبيق

[1] – ramadan tariq, Islam la réforme radicale, p 35.

[2] – Ibid, p p35– 36.

* الإيمان بالله، الإيمان بالملائكة، الإيمان بكتب الله، الإيمان بالأنبياء والرسل، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالقضاء خيره وشره.

[3] – ramadan tariq, Islam la réforme radicale,p 36.

الالتزامات الأخلاقية في مجال الشؤون الاجتماعية وفي كل ما يتعلق بالثقافات والعادات المحلية.

ويمكن أن تكون الوصايا والنواهي في حد ذاتها مطلقة وثابتة، بيد أن تطبيقاتها وممارساتها المادية ينبغي أن تتخذ أشكالا مختلفة، وتتغير بتغير البيئة والمجتمع والعصر.

ولقد ذهب العلماء الأصوليون مؤسسو الحقوق والقوانين متبعين في ذلك محمد بن إدريس الشافعي في القرن التاسع الميلادي إلى حد جعل التمييز بين الثابت والمتغير في تطبيق الأحكام التكليفية* التي تحدد الالتزامات والواجبات التي يكون بموجبها الإنسان مسؤولا. مثلا الفرض في قوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَءَاتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[1]، أو قوله عز وجلّ: :﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[2].

وإن الزواج من الأحكام التكليفية وهو موصى به ومسموح ويقع ضمن المباح والمستحب بصفة مطلقة، لكن قد يتحول حسب وضعية الشخص إلى شبه التزام، وقد يغدو في وضعية أخرى مكروها أو حراما تبعا للوضعية التي يتموضع فيها المرء، ويمكن للظروف أو للسياق تمرير الفعل نفسه من خلال الفئات الخمسة–الواجب أو الفرض، الحرام، المستحب أو المندوب، المكروه، المباح–، لتحديد الواجبات والالتزامات وبالتالي فرض حكم أخلاقي مفصل وهذه هي القاعدة الثانية[3].

على مستوى تقني أقل، نجد التمييز نفسه في الشؤون الاجتماعية والثقافية، بين احترام مبدأ مطلق والصورة التي نطبقه بها، فالمبدأ والقواعد بالنسبة للرجال والنساء المسلمين محدد في الأخلاق الإسلامية، غير أن تطبيقاتها في مجتمع ما تأخذ في الحسبان الجوانب الثقافية والعادات المحلية مثل طريقة اللباس والألوان والأكل وغيرها.

ونجد بعض التيارات المعاصرة من خلال عدم التفريق بما فيه الكفاية ولا بشكل منهجي تنتهي إلى نتائج خطيرة وتعتقد أنها تحمل راية الحق، ذلك أنها لا تُحدد على

* تنقسم هذه الأحكام إلى خمسة فئات: الواجب أو الفرض، الحرام، المستحب أو المندوب، المكروه، المباح.

[1]– البقرة، آية 43.

[2]– الإسراء، آية 32.

[3] – Ramadan tariq, Islam la réforme radicale, p 37.

مستوى العلاقات الاجتماعية والإنسانية الفرق التام بين الثابت والمتحول الذي يُتيح لنا إدراك التباين الجوهري بين المبادئ والنماذج.

تكون المبادئ دوما ثابتة ومطلقة وأبدية، بيد أن تجسيدها وتطبيقها في الواقع عبر الزمان والمكان في التاريخ – النماذج التاريخية – تبقى نسبية ومتغيرة وفي طفرة مستمرة، وهكذا فالمبادئ من عدالة ومساواة وحقوق وأخوة إنسانية التي كانت وجهت نبي الإسلام تظل راسخة ومرجع من وراء التاريخ لكل البشر.

وإن نموذج المدينة التي أرسى أسسها النبي صلى الله عليه وسلم في القرن السابع الميلادي هي إنجاز تاريخي نسبة للواقع ومقتضيات ذلك الوقت، والمسلمون في مجرى التاريخ مُلزمون بالإخلاص لتلك المبادئ والبحث عن الطرق والنماذج لتجسيدها على أحسن وجه وفقا لمقتضيات عصرهم وواقعهم، ولكن من العبث أنمذجته–أي مجتمع المدينة– ومحاولة مجاراته وتقليده أو تقليد نموذج آخر من التاريخ وإعادة إنتاجه، لأن مقتضيات عصرنا تختلف اختلافا بيّنا عن مقتضيات أي عصر من العصور ولا تنسجم معه[1].

وإن أنمذجة لحظة تاريخية مثل مجتمع المدينة على سبيل المثال يُؤدي إلى نتيجة سلبية وغير معقولة وهي بمثابة ذنب نجترحه في حق تاريخنا ويُقلل من حلم عالمية مبادئ الإسلام والعودة المستحيلة إلى حنين غير مسؤول للأصول.

ونجد هذا الإغراء لدى بعض التيارات السلفية المعاصرة، حيث يُطالبون بالالتزام بالنموذج السياسي لدولة المدينة دون سواه، ويقلصون إخلاصهم للرسالة النبوية بتقليدهم لها والرجوع القهقري إلى بنية تاريخية محددة، وإلى نوع معطى من الدولة بمرجعية الخليفة ومناهضة أي نظام سياسي ممكن باعتباره جهلا ومُعارضا للإسلام(الجاهلية)[2].

ومعنى هذا أن التمييز بين المبادئ والنماذج هو نداء لوعي المسلمين ودعوتهم إلى التنافس واستخدام ذكائهم في كل لحظة تاريخية من وجودهم، ومهما كانت بيئتهم إلى إبداع وإنتاج نموذج اجتماعي يكون أكثر وفاء للمبادئ الأخلاقية والالتزام بها.

[1] – Ramadan tariq, Islam la réforme radicale , p 38.

[2]– Ibid, p 39.

ويلتزم التيار السلفي بالوفاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ولصحابته وللسلف عن طريق تقليدهم ومجاراتهم في سلوكهم ومحاولة إعادة إنتاج إنجازاتهم التاريخية المُؤرخة، بيد أن الإخلاص الحقيقي يقوم على تجديد قواهم الروحية وطاقاتهم العقلية لإنجاز أنموذج لمجتمع ممكن متماسك ينسجم مع عصرهم[1]، كما اجتهد في ذلك السلف الصالح وقتئذ.

وإذن فالأمر لا يتعلق بإعادة إنتاج شكل وصورة مجتمع المدينة، وإنما معاودة الاتصال بجوهره وروحه وأهدافه.

وإن عيب التيار السلفي هو مزجه بين منهجية مجال العقيدة (credo) والعبادة (cultes) من وجهة، ومنهجية مجال المعاملات أي الشؤون الاجتماعية(affaires sociales) من وجهة أخرى، وهذا التمييز منذ الأصل أساسي وجوهري، ففي مجال العقيدة والعبادات نطبق بدون تغيير ولا تبديل لأنها أحكام ثابتة ومحددة من طرف الوحي والإرث النبوي، ولا أحد يجرأ على الزيادة أو النقصان فيها، ذلك أن أي فعل لازم على المسلم أن يستند فيه إلى آية أو حديث، وإن غيَّر حكما أو أمرا يعد ذلك بدعة(blâmable)، ومن يجترح ذلك فهو مُدان وآثم.

أما في مجال المعاملات التي تتعلق بالشؤون الاجتماعية حدد العلماء منذ البواكير الأولى للفقه قواعد تختلف وتتقابل مع الأحكام التي تعني العقيدة والعبادات، وفي هذا المجال كل شيء مباح مالم يوجد نص واضح يدل على عدم جوازه، والإنسان هنا يفسح المجال لأبحاثه وإبداعاته العلمية والفنية والاقتصادية والسياسية وهذه كلها ليست ما صدق للبدعة، وإنما إنجازات مُرحبٌ بها لرفاهية البشرية وسعادتها وهي القاعدة الثالثة[2].

ويأسف طارق رمضان جدا من الاختزالات التي تُمارسها التيارات الإسلامية المعاصرة وتعقيداتها، مما يُبقي هذه المقاربات التي يطرحها العلماء ضمن المجال النظري، ولا يتوقف الأمر عن عدم اتفاقهم مع هؤلاء العلماء، بل يمتد إلى بزوغ سلطة دوغمائية تعتبر نفسها وصية على الإسلام والمسلمين، تُحدد ما هو إسلامي وما هو

[1] - Ramadan tariq, Mon intime conviction, ,p.145

[2] - Ramadan tariq, Islam la réforme radicale, p p 40 - 41.

غير ذلك وتُضخم الاتهامات وتُروج لما تخاله بأنه بدعة، وتُضعف من حدة التوترات بين المسلمين[1].

وإن الخلط بين الثابت والمتحول، المبادئ والنماذج، العقيدة والعبادة والمعاملات، يلوح كنتيجة جوهرية في الفكر الإسلامي المعاصر والراهن، مما يفضي إلى عرقلة الإصلاح في قراءة النصوص وفهمها وتطبيقها وفقا لروح العصر والسياق التاريخي الجديد.

هذا الخلط يختزل الإخلاص لرسالة السلف والإسلام في قراءة جامدة للنصوص؛ يُحاكي ويُكرر الماضي وتاريخ أسلافنا تكرارا أعمى.

ويعتبر هذا الصنيع تبسيط مفرط لرسالة الإسلام ولتطبيق تعاليمه بحجة الإخلاص لصورته التاريخية، إلا أنه إخلاص سطحي وظاهري؛ يُناقض رسالة الإسلام الأبدية[2].

يشير طارق رمضان إلى أن قضية المرأة والمساواة والإرث وغيرها من القضايا خضعت طوال قرون إلى سلطة الرجل ، حيث أن التأويلات الذكورية للقرآن هي رأس المشكلة[3]

ويحذو الباحث الألماني مهند خورشيد من أصل لبناني الحذو نفسه لطارق رمضان، ذلك أنه يدعو إلى ضرورة تفسير القرآن من زاوية معاصرة، غير أن ذلك لا يعني إرساء أسس حديثة للعقيدة الإسلامية، فالمبادئ والثوابت التي يرتكز عليها الإسلام بالنسبة له غير خاضعة للتقلبات الزمنية. ومن أهم تلك الثوابت على سبيل المثال صفة "الرحمن الرحيم" في وصف القرآن لله عز وجل[4].

ويدلف مهند خورشيد أن بعض الآيات القرآنية ينبغي أن تفسر من خلال الممارسات التي تتناسب زمنيا مع النظام الاجتماعي لفترات تاريخية محددة، فلما يتعلق الموضوع بالعقاب الجسدي الذي يتعارض مع مفهومنا الراهن لحقوق الإنسان، فلا

[1] – ramadan tariq, Islam la réforme radicale, p 42.

[2] – Ibid , p 42.

[3]- أنظر: Islam la réforme radicale، من صفحة 376 إلى 393.

[4]- أولريكه هومل/ عبد الحي العلمي، **باحث ألماني في الدراسات الإسلامية يدعو إلى تفسير القرآن بمنظور معاصر**، أطلع عليه: يوم 2020/04/11، على 12سا و05 د، من موقع الإنترنت:https://p.dw.com/p/16WhH

ينبغي تطبيق ذلك الأمر حرفيا، بل يجب الغوص في أغواره وقراءة ما خلف السطور من أفكار بدقة بالغة، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار أن القرآن تتخلله 6236 آية منها 80 آية فقط تختص بالعقاب، ولذلك ينبغي العدول عن فكرة اعتبار القرآن مجرد كتاب ضخم لتوضيح القوانين وتحديد حجم العقاب[1].

وفي السياق نفسه تدعو الباحثة الألمانية كرستينه شيرماخر Christine Schirrmacher* (1962) إلى أنه من المستحيل القيام بإصلاحات دون قناعة داخلية لدى المؤمنين حيث إن كل إصلاح في الإسلام لا يمكن أن ينطلق من أوروبا بل من مراكز الفقه الإسلامي في الدول الإسلامية مثل مصر والمملكة السعودية ولا يمكن أخذ الإصلاحات التي قامت بها الكنيسة الكاثوليكية من خلال مجمع الفاتيكان أنموذجاً للقيام بإصلاحات داخل الإسلام[2].

ولذلك أشاطر طارق رمضان في ما ذهب إليه حين أكد أن ثوابت الإسلام ومبادئه قارة وأبدية لا يعتريها التحول والتبدل، لكن يمكننا قراءتها بروح العصر حتى نستكشف النماذج والبراديغمات التي تُواكب السياقات والوضعيات التي نتواجد فيها، دون اجترار نماذج أسلافنا والعيش بشخصياتهم ونحسب أننا نُحسن صنعا، ومن ضمن ما أقره أننا لا نُبطل حكما قرآنيا أو نستسيغه إلا بتوفر نص يدل على ذلك سواءً أكان له سند في القرآن أو في السنة الشريفة.

وقد صرح طارق رمضان في مناظرة جرت وقائعها مع نيكولا ساركوزي عام 2003 في قضية العقوبات البدنية وتأييده(أي طارق رمضان) وقف تطبيقها كخطوة نحو إلغائها، غير أن هذه النصوص صارمة وثابتة، فقد ورد نص قطع يد السارق مطلقا غير مقيد يقول عزّ وجلّ: :﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءَ بِمَا كَسَبَا﴾[3].

ورغم ذلك اجتهد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقض به في الحروب، واجتهد فيه عمر بن الخطاب فلم يطبقه في عام الجوع، وهي استثناءات لم ترد في

[1]- الموقع الإكتروني نفسه.https://p.dw.com/p/16WhH

* مديرة بمعهد القضايا الإسلامية في الرابطة الإنجيلية الألمانية

[2]- الموقع الإكتروني نفسه.https://p.dw.com/p/16WhH .

[3]– المائدة، آية 38.

القرآن[1]، أما ما خلا ذلك، فنص قطع يد السارق ثابتٌ فرضاً ووجوباً يبقى إلا بتوافر نص من القرآن أو السنة ينسخه ويعطل سريانه، وهو المنطق الذي سار على دربه السيد طارق رمضان، لكنه لم يكن وفيا له.

ويعيب المفكر عبد القادر عوده على المسلمين الليبيراليين الذين استوطنوا الغرب وتأثروا بقوانينه حتى لاح لهم أن بعض أحكام الشريعة لا تواتي العصر الحاضر، وليس لها ما يعضدها في القوانين الوضعية، يقول: « **وبعض المثقفين ثقافة أوربية يرون أن الشريعة تصلح للعصر الحاضر، إلا أن بعض أحكامها جاء مؤقتا، وهم يقصدون بعض الأحكام الجنائية، وبصفة خاصة العقوبات التي لا مثيل لها في القوانين الوضعية، كالرجم والقطع وتسألهم الحجة على ادعائهم، فلا تجد لهم حجة، وإنما هو الظن الذي لا يغني من الحق شيئا**»[2].

ويعزو عبد القادر عوده سبب ادعاء هؤلاء إلى عوزهم الفكري وضحالة فهمهم، يقول: « **ولوكان هؤلاء المسلمون يفهمون الإسلام على وجهه لما قالوا مثل هذا القول، لأن أحكام الإسلام دائمة لا مؤقتة، ولأن ما لم ينسخ منها قبل موت الرسول صلى الله عليه وسلم فلا نسخ له إلى يوم النشور، وقد صرح القرآن قبيل موت الرسول بأن صرح الدين قد تم بناؤه، ولم يعد قابلا للزيادة أو النسخ، وذلك قوله تعالى:" اِلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ اِلإِسْلاَمَ دِينًا"**[3]»[4].

كما يرى الشهيد عبد القادر عوده أن هناك دواعي حملت هؤلاء إلى هذا الادعاء « **يرون أن بعض عقوبات الشريعة، وهي القطع والرجم لا يمكن تطبيقها اليوم. لضعف الدول الإسلامية، ووجود عدد من الأجانب في بلادها لا يقبلون أن تطبق عليهم هذه العقوبات، أو ترضى دولهم بأن تطبق عليهم. فأصحاب هذا الرأي لا يرون تطبيق الشريعة؟ خشية إغضاب الدول الأجنبية**»[5]

---

[1]- محمود مصطفى، **الإسلام السياسي والمعركة القادمة**، مطبوعات أخبار اليوم، بدون ذكر سنة الطبع، ص kutub-pdf.net.pdf.12

[2]- عوده عبد القادر، **الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه**، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، السالمية الكويت، ط 5، 1985، ص 56.

[3]- المائدة، آية 3.

[4]- عوده عبد القادر، الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، ص ص 56- 57.

[5]- المرجع نفسه، 57.

ولذا نتساءل هل الإصلاح الجذريla Réforme Radicale الذي ينادي به طارق رمضان بإمكانه أن يرسم إحداثيات التفاعل الإيجابي بين الإسلام والغرب؟ أم إن الفجوة بين الطرفين عميقة إلى حد أن الإصلاح الجذري الذي يدعو إليه طارق رمضان يعجز عن رأبها؟

هب أننا قمنا بإصلاح جذري للإسلام، و ألغينا العقوبات البدنية من رجم وإعدام وقطع يد السارق ونسفنا نظام تعدد الزوجات وأعلنّا المساواة بين المرأة والرجل في الإرث وغيرها من القضايا، هل ستتحسن علاقاتنا مع الغرب؟ هل سيُحبّنا الغرب ويمحي أحقاده المتجذرة في ذاكرته حيالنا؟ هل سندوّن تاريخا جديدا مع بعضنا بعض؟ أم سينتهي التاريخ إلى الأبد؟

ثانيا: صهيب بن الشيخ

ينطلق مفتي مرسيليا سابقا المفكر صهيب بن الشيخSoheib Bencheikh (1961) من مسلمة مفادها أننا بحاجة لإعادة قراءة للخطاب الديني وإصلاحه والنظر فيه من جديد، يقول:« **المطلوب منا سواء كنا في فرنسا أو في غيرها، في العالم الإسلامي أو خارجه، هو النظر بجدية والتأهب بشجاعة وحزم لإصلاح الخطاب الديني وترقيته وتخليصه من المفاهيم التي تدعو إلى الانغلاق المذهبي أو إلى كراهة الآخر أو إقصائه، أي إنتاج قراءة حداثية للنصوص الإسلامية في ضوء الحريات الأساسية المُجمع عليها، كالحرية الفردية وحرية التعبير والتعددية والمساواة، فهذا هو المعروف الذي أمرنا به القرآن وهذا هو المنطق الذي أوصلتنا إليه عقولنا، ولا ضير إن خالفنا مفهوم أسلافنا أو أزلنا القداسة عن تفسيراتهم لدينهم ودنياهم**»[1].

ونفهم من قوله أن ليس هناك تعارض بين الهوية الإسلامية ومبادئ العولمة، ولهذا يجب أن نبادر بإصلاح الخطاب الديني الإسلامي حتى يتساوق مع العلمانية، ذلك أن هذه الأخيرة حسب تصوره منحت الإسلام الحقوق نفسها التي تتمتع بها الديانات الأخرى البروتستانتية أو الكاثوليكية، أي إنها كرست مبدأ المساواة، وفي الوقت نفسه

[1]- مقابلة أجرتها آيت حسين لويزة، صهيب بن الشيخ، "إصلاح الخطاب الديني ضروري"، جريدة العربي الجديد، لندن: عدد 718 السنة الثانية، 19أوت 2016، ص ص 6-7.

يتعين علينا الاضطلاع بنفس الواجبات التي تستوجب على الديانات الأخرى حتى نكون جديرين بالاحترام ونتمكن من بناء مستقبل أكثر ازدهارا.

وإن الدولة العلمانية ليس لها دين معين، فهي دولة حيادية، إنها لا تناوئ الدين وبالمقابل لا تسانده[1]، لذلك من واجب الإسلام الأقلياتي اليوم هوالبحث عن نماذج وسبل جديدة تتناغم وتنسجم مع السياقات التي يتموضع فيها، ولا يتحقق هدفنا إلا بإنشاء فقه يتوافق مع الوضعيات والمستجدات التي تطرأ على المسلمين في بيئتهم الجديدة.

وفي السياق نفسه يُؤلف بن الشيخ كتابه الموسوم " ماريان والنبي: الإسلام في فرنسا العلمانية" "Marianne et le Prophète : L'islam dans la France laïque". وترمز ماريان إلى فرنسا العلمانية والنبي يرمز إلى الإسلام، وتركيب الكلمتين يُحيل إلى: "الإسلام في كنف العلمانية". وجوهر الكتاب يحوي « **أبحاثا في شؤون القانون والفلسفة من شأنها مساعدة الإسلام على إيجاد موقع له في ظل مناخ سياسي مستجد، كما أنه يقدم إجابات غير متوفرة في كتبنا التقليدية حسب رأي مؤلفه**»[2].

و نفهم من قوله أيضا أنه يدين الانغلاق الفكري الذي تُكرسه المذاهب والفرق الإسلامية، لأنها تصدر من فكر ناقص ومبتور وتنأى عن معين الإسلام العذب، وتسعى في جلب المفاسد ودفع المصالح وبدل أن تُفكر فهي تُكفر وتتخذ من الدعوة مطية للحكم والعمل السياسي.

وينعى صهيب بن الشيخ الحركات الإسلامية وقياداتها التي تُقر بشرعية القتل والسبي وإجبار الناس على الإسلام عنوة أو دفع الجزية، هذه المذاهب تستلهم شرعيتها من كتب الصحاح وبعض فتاوي الفقهاء التكفيريين التي أضحت الطريق الملكي للإرهاب.

واستنادا لما سبق بات من الواجب علينا حسب بن الشيخ تنقية تراثنا وتعقيمه من العدوى التي انتقلت إليه من هؤلاء المرتزقة بالمراجعة والنقد، والعدول عن تلقين هذه

[1]- René Nouilhat – Jean Joncheray, **Histoire des religions :Enseingner les religions au collège et au lyceé**,24 séquences pedagogiques, edition de l'attelier, Paris 1999, p 88.

[2]- ملفات خاصة من موقع قنطرة، " **الإسلام والعلمانية**"، أطلع عليه يوم: 2020/03/11، على: 5سا و11 د، من الموقع التالي: https://ar.qantara.de/content/lslm-wllmny-hl-hnk-tdrb-byn-lhwy-lslmy-wmbd-llmny-lfrnsy

المفاهيم في مدارسنا وجامعاتنا وبدل أن نُخرّج مثقفين مستنيرين، نُنتج متطرفين متعطشين للتكفير والقتل.

ولعل هذا ما أفضى به إلى شجب أفكار السيد قطب وهجوها، يقول: « **لقد بالغ سيد قطب في طرح أفكاره المتطرفة في كتابه "معالم على الطريق". وهذا يسري خاصة على موقفه تجاه "الجاهلية" في القرن العشرين والقانون الإلهي وفقدان الحكام للإيمان. لقد دفعت تلك الأفكار بعض المسلمين إلى التطرف وجعلتهم ينقادون تماما لآرائه** »[1].

كما يهيب في قوله المسلمين اليوم إلى رفع القداسة والهالة الضخمة عن التفسيرات الفقهية العتيقة، لأنها لم تعد تُساير ضرورات وروح عصرنا، وليس من الحصافة والحكمة التهويل ودوي الأصوات لما يُبدي شخص ما نظره في أمور الشريعة، فالاجتهاد ليس حكرا على فئة دون أخرى أو عصر دون آخر.

ولهذا يستنكر صهيب بن الشيخ على مسلمي اليوم استكانتهم للماضي وتقديسهم لأسلافهم وبكائهم على الأطلال يقول:« **يخرج الإسلام من تراجع لعدة قرون. أو إن ذكائه الخلاق وتفسيره قد تبخر بعمق لعدة قرون؛ ويجد المسلمون أنفسهم أمام تراث لاهوتي يتجاوز عتبة فهمهم في حين يجب عليهم تغذيته أو حتى التشكيك فيه، وفجأة قدسوا الإسلام والعمل اللاهوتي لأجدادهم المجيدين**»[2].

والمشكلة تكمن في أن هذا اللاهوت الجامد الذي نزل علينا صُمم من أجل أغلبية وإسلام سيادي على أراضيه، علاوة على ذلك لمجتمع قبلي وعشائري، إنه لاهوت يأتي من حقبة لم تلتقي فيها الأمم، إن لم يكن متحركًا بروح التنافس الإمبراطوري الذي يعارض بعضه بعضا، وإنه لا يهتم بالعيش المشترك، وليس له أدنى فكرة عن التعددية التي تديرها القواعد العالمية والكونية مثل العلمانية والحرية الدينية التي تنطبق على جميع الطوائف الدينية[3].

---

[1]- ملفات خاصة من موقع قنطرة، " **الإسلام والعلمانية**"، أطلع عليه يوم: 2020/03/11، على: 5سا و11 د، من الموقع التالي: https://ar.qantara.de/content/lslm-wllmny-hl-hnk-tdrb-byn-lhwy-lslmy-wmbd-llmny-lfrnsy-

[2] - René Nouilhat – Jean Joncheray, Histoire des religions , p 87.

[3] - Ibid, p87.

وهذا يعني أن اللاهوت الإسلامي- الفقه الإسلامي-، أو الإمبريالي قد ولى واندثر خاصة في الدول العلمانية، لأنه حبيس فكر سياسي مُتخلف، وانبعثت معه تصورات جديدة حول الحقوق الذاتية وسبل حديثة لاستيعاب الدور الذي يلعبه الدين في المجتمع.

وينزع العالم اليوم قاطبة نحو الكونية، وكوكبنا المكتظ بالبشر يُصبح يوما بعد يوم أصغر فأصغر، وكل الأفكار حتى التي تعتبر غير مقبولة وتظهر أكثر تناقضا، بدأت تتعايش مع بعضها بعض، ولا أحد أجنبي في عالمنا اليوم، وليست هناك ثقافة غريبة أو بعيدة؛ والحقائق المطلقة ليست حقيقية إلا عند أولئك الذين اقتنعوا بها بكل حرية ولا تلزم إلا الذين يدافعون عنها[1].

وإن حضور الإسلام في فرنسا يتيح للمسلمين فرصة غير متوقعة لتجربة وتحضير فقه أقلية ضمن عدة أقليات، هذه الفرصة لا تنم من كون فرنسا دولة عالمية تأوي داخلها مجتمع إسلامي قوي، ولكن لأن فرنسا دولة علمانية إلى جانب عدم وجود ضغط اجتماعي الذي تُعانيه المجتمعات الإسلامية والذي يسمح بظهور ميول إصلاحية وليبرالية داخل الإسلام في فرنسا[2].

هذا الفقه الأقلياتي ليس مفيدا ومُهما للمسلمين في فرنسا فقط، بل يضمن التعايش السلمي والأخوي مع المجتمعات الأخرى، والربح العظيم يكون عندما يشمل هذا الخير المجتمعات الإسلامية ذاتها[3].

وينصح صهيب بن الشيخ الإسلام قائلا: « **إذا كان الإسلام لا يريد أن يُستبعد من النظام الدولي الجديد الذي ينشأ ويعلن نفسه، يجب أن يستعد للعالمية، حتى في عقر داره، ويوافق على أن يكون على مستوى الكوكب أقلية وليس خصما غازيا**»[4]

وعلى صعيد آخر يوضح صهيب بن الشيخ أن حجاب المرأة قد يكون راعيا ومحافظا لها، لكن ليس في كل الأحوال والظروف، يقول: « **المفارقة الراهنة أن ما يحافظ على شخصية الفتاة ويضمن مستقبلها هي المدرسة. فعندما تتعلم الفتاة تتمكن من**

[1]- René Nouilhat – Jean Joncheray, Histoire des religions, p 87.

[2] - Ibid, p p 87- 88.

[3] - Ibid, p88.

[4] -Ibid, p88.

الدفاع عن نفسها ضد كل تطاول على أنوثتها وعلى كرامتها. حجاب المسلمة اليوم، في فرنسا، يعني: المدرسة العلمانية والمجانية والإلزامية»[1].

ويقصد بن الشيخ في مقولته أن العلم والتربية هما الحافظان الحقيقيان لكرامة المرأة، كما أن العلمانية بقوانينها التي تخولها لها من مواطنة وحرية ومساواة تضمن لها مستقبلها و ترفع مكانتها.

نحن لا نختلف مع صهيب بن الشيخ في أن تجديد الخطاب الديني ضرورة عصرية مُلحة لا غنى لنا عنها، غير أن السؤال الذي يتعين على بن الشيخ تفكيكه وتوضيحه هو ماذا يقصد بتجديد الخطاب الديني؟ هل التجديد يعني تغيير الوسائل القديمة واستحداثها بآليات جديدة تتماشى مع روح العصر للوصول إلى الأهداف؟ أم يقصد بالتجديد تصويب الأفكار المغلوطة عن الدين؟ أم تغيير الأهداف ونسف الثوابت التي رصها الدين وقدسها؟

إن كان التجديد يُقصد به تحيين الوسائل للوصول إلى الأهداف أو تصحيح الأفكار الخاطئة التي يعتمد عليها المتطرفون وشبه الفقهاء في فهم الدين، فأهلا وسهلا بهذا التجديد، أما إن كان يُراد به ضرب الثوابت وتقويضها فهذا جهل فاضح وادعاء غريب ومردود.

لا شك في أن الصحاح يحوي أحاديث صحيحة وأخرى سقيمة، ولذا بات حريّا على المجددين تطهير تراثنا من كل هذه الشوائب حتى لا يختلط الحابل بالنابل، وبالخصوص تلك الأحاديث التي تخالف كتاب الله.

وإذا عاودنا النظر فى قضية الحجاب فهل بحكم التطور وتغير البيئة نُبدّل شيئا جوهريا قضى به نصا مُقدسا والمُسْلِمَاتْ تواترن على ارتدائه منذ 1400 سنة وبالنصوص القطعية الدلالة ولماذا؟، لأن العلمانية الغربية لا ترغب فيه ونزعم أن الحجاب الحقيقي هو العلم والعلمانية اللذان ينبغي للمرأة المسلمة ارتداءهما.

---

[1]-كارولين فوريست، فياميتا فينر، " **استخدام الحجاب كأداة**"، أطلع عليه يوم: 2020/03/13، على: 15سا و5 د. من الموقع التالي:

http://www.ahl-alquran.com/arabic/document.php?main_id=257

أجل العلم والتربية يُفضيان إلى سمو المرأة وصون كرامتها وإنعاش الأسرة والمجتمع ولكن هذا موضوع آخر لا يرتبط بقضية الحجاب التي تعالت أصواتها وتباينت أبعادها، كما أن الإسلام منذ بواكيره الأولى منح المرأة حقوقا ومزايا وحماية لا نجدها في أي نظام من الأنظمة التي عرفها العالم حتى اليوم.

والعلمانية التي يُحاجج بها اللبيراليون اليوم لا تصون كرامة الإنسان عموما والمرأة خصوصا، لأنها عاملت المرأة كشيء أو سلعة أو عبارة عن رقم في السينما والمسرح والدعاية أو تشييء جنسي أو صورة في لباس أو نادلة في حانة أو مطعم حتى تجذب الرجال والزبائن كي يُحقق بها النظام الاقتصادي مآربه واستثماراته، ولعل هذا ما دفع بالفلسفة الشخصانية إلى مناهضة القيم الغربية والمطالبة باستعادة كرامة الإنسان وشخصيته بعدما حولته البراغماتية الغربية إلى مجرد كائن ينزع نحو المردودية والاستهلاك.

وبقطع النظر عن المعركة الشرسة التي دارت رحاها في فرنسا وعن قانون 1905 الذي قضى بحظر الرموز الدينية وعن الفتاوي ووجهات النظر المتشعبة حول الحجاب وعن الاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان التي جاء فيها: الحق لكل إنسان الحرية في إظهار الدين أو الاعتقاد في المجال الخاص والعام[1] ، يبدو لي أن المشكلة ليست في حجاب المرأة بقدر ما توجد في الأفكار التي يُنظر من خلالها إلى الحجاب، ذلك أن الحجاب كزي تستتر وتتلحف به المرأة عادة قديمة وُجدت في عدة حضارات وبلدان إسلامية وغير إسلامية ولم يسبق لها البتة أن أحدث ضجة هستيرية كما تحدث اليوم؛ فهناك من ينظر إلى الحجاب على أنه دلالة هويّاتية ثقافية وهناك من ينظر إليه على أنه شكل من أشكال الهيمنة الذكورية وفي المجتمعات الغربية يُعتبر منافسا للموضة وناسفا للأرباح وقد نعثر من يعده عبادة تلتزم بها المرأة أمام خالقها لا أقل ولا أكثر.

وقد أشار الدكتور الحسين الزاوي أن مشكلة الحجاب في فرنسا تفصح عن فشل السلطات الفرنسية في إدماج الجالية المسلمة داخل المجتمع الفرنسي، لكنها تتمظهر

[1]– بزيان سعدي، **معركة الحجاب الإسلامي في فرنسا أصولها وفصولها: صور عن معاناة المسلمين في المهجر**، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، طبع عام 2005، ص 94.

بمظهر مُغاير يقول:« **ولعل أزمة الحجاب في المدارس الفرنسية لا تعدو في كثير من تفاصيلها، أن تكون فصلا جديدا من فصول لعبة شد الحبل التي تجري بين السلطات الفرنسية ومواطنيها المسلمين، بعد عجز المجتمع عن الإيفاء بمختلف التزاماته اتجاههم**»[1]

ولما سُئل طارق رمضان عن موقفه من الرموز الدينية وفي طليعتها الحجاب في فرنسا أجاب قائلا: « **إن هذا القانون الذي أصدرته الحكومة الفرنسية وصادق عليه البرلمان الفرنسي والمتعلق بالرموز الدينية وفي مقدمتها الحجاب هو قانون لا يغير من الأمر شيئا فهو قانون سياسي وضجيج إعلامي**»[2].

كما أن رفض الحجاب أظهر العلمانية في موقف حرج وضعيف، يقول السيد محمد حسين فضل الله:« **الحجاب في الإسلام التزام ديني، كما هي الفريضة الدينية، وعدم الالتزام به يمثل خطيئة ككل الخطايا، وهل بلغت العلمانية مستوى من الضعف، ليخاف القائمون عليها قطعة قماش، أو قلنسوة توضع على الرأس، أو صليبا يعلق على الرأس**»[3]

ولذلك نؤاخذ صهيب بن الشيخ اتهامه الإسلام بالتحجر وتعطشه نحو الغزو والتنافس والهيمنة ونعته التاريخ الإسلامي بأنه كان مجرد لاهوت سياسي يخدم أطراف معينة، لهذا بات من اللازم إصلاحه وتجديده؛ ونحن نقول حتى وإن ألفينا مصادق لما طرحه في بعض الكيانات السياسية التاريخية ، فهذا لا يخوّل له المصداقية كي يعمم ذلك على كل فترات التاريخ الإسلامي، كما أن الإسلام جاء لينشر السلام والحق ويرفع الجور والظلم عن البشرية لا لكي يبسط قهره وقبضته عليها.

ويتضح لنا أن بن الشيخ يقدم النصيحة والمشورة للإسلام[4] ، حتى يكون في المستوى ولا يستبعد من العالمية، وكأن الإسلام اليوم لم يعد في المستوى وينتظر من مفكرنا ابن الشيخ إسداء النصيحة حتى يظفر بالعالمية، والسؤال الذي يتعين علينا

---

[1]- الزاوي حسين، وآخرون، الإسلام الأوروبي، (م س)، ص ص148- 149.

[2]- بزيان سعدي، معركة الحجاب الإسلامي في فرنسا أصولها وفصولها: صور عن معاناة المسلمين في المهجر، (م س)، ص 95.

[3]- نقلا: بولعوالي التيجاني، **المسلمون في الغرب: بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط 1 2006، ص 183.

[4]-«l'islam, s'il ne veut pas être exclut du nouvelle ordre international qui se dessine et s'annonce, doit se préparer pour l'universel, même chez lui, et accepter d'être à l'échelle planétaire une minorité et non adversaire conquérant»

الإجابة عليه، هل جاء الإسلام لكي ينصح الرجال ويُصلحهم؟ أم إنه جاء لكي ينتظر النصيحة والإصلاح منهم حتى لا يقصى و يُستبعد من كوكبنا؟

ثالثا: الإسلاموفوبيا عائق لرأب الصدع بين الإسلام والغرب

أصبحت ظاهرة الإسلاموفوبيا –الخواف من الإسلام– تُثير جدلا واسعا وحقلا معرفيا في السوسيولوجيا والعلوم الإنسانية المعاصرة، حيث أضحت ظاهرة عالمية، نتيجة لما يكنه الغرب من عداء ونفور من الإسلام والمسلمين، ظاهرة غدت تطرح في كل وقت وحين في المحافل الغربية والأوساط الإسلامية.

ولا يمر يوم إلا وتنوه وسائل الإعلام الغربية بهذه الظاهرة –التخويف من الإسلام– متخذة منها حجة لضرب الإسلام والمسلمين، ومن هذا المنطلق يحق لنا أن نتساءل: هل يحمل الإسلام سمات وصفات تدعو إلى هذا الإفراط من الخوف؟ أم إن ظاهرة الخواف من الإسلام مجرد اختراع غربي واستراتيجية يُمارس من خلالها الضغط على العالم الإسلامي والدول العربية لاستنزاف مقدراتها وامتصاص ثرواتها؟

مما لا شك فيه أن الإسلاموفوبيا لا تقترن بأحداث أيلول 2001 وإنما تعود جذورها إلى آلاف السنين، فالغرب يبطن في لا شعوره التاريخي تجارب الرهاب والفزع عندما تصارع مع الدولة الإسلامية مذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم رسالته إلى الملك هرقل يدعوه فيها إلى الإسلام وتأججت صورتها بشدة مع بروز هذه الأحداث في الفترة الراهنة.

1- لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟

يخاف الغرب من الإسلام لدواعي كثيرة منها ما يرجع إلى الغرب نفسه ومنها أسباب تعود إلى المسلمين ذاتهم، فأما التي تتعلق بالغرب فأهمها إدراكه بعظمة الإسلام وقوة حضارته وإمكانية نهوض أمته متى اجتمعت الأسباب لذلك وجهل الغرب بالإسلام وعدائهم التاريخي وتأتي في طليعتها الحروب الصليبية وكذا إلى دور الصهيونية في تأجيج هذا العداء الغربي ووسائل الإعلام ولوبياته التي تصطنع هذه المخاوف، إلى جانب التوجس من الخطر الإسلامي الداهم. أما ما تعلق بالمسلمين فيؤول إلى تيقّن

الغرب برغبة المسلمين في الانتقام؛ متى سنحت الفرصة لذلك[1] وفشل المسلمين في أن يكونوا سفراء الإسلام بالمعنى الحقيقي.

ويشهد شاهد من أهل الغرب على دواعي خواف الغرب من الإسلام المهتدي إلى الإسلام محمد أسد ليوبوند فايس، حيث يعزو توجس الغرب من الإسلام إلى إمكانية استفاقة المسلمين وجعل الكفة لصالحهم من جديد، يقول:« **وتحت تأثير الذكريات التاريخية المتعلقة بالحروب التي التحم فيها العالم الإسلامي مع أوروبا خلال قرون، ينسب الغربيون للإسلام تهمة عدائه لكل ما هو غير مسلم، ولهذا يخشون أن يؤدي بعث الروح الإسلامية من جديد إلى إيقاظ القوة الغافية في العالم الإسلامي بحيث تدفعه إلى القيام بمغامرات عدوانية على الغرب. وكيما يدرأ الغربيون هذا الخطر المحتمل فإنهم يبذلون كل ما في وسعهم للحيلولة دون بعث القوة السياسية للمسلمين ومنع الإسلام من احتلال المكانة التي كان يحتلها في السابق في حياة المسلمين الاجتماعية والثقافية** »[2].

كما تعتبر واقعة 11 أيلول 2001 بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس وغيرت مسار العالم وفاقمت من تأزم الوضع كما يشير إلى ذلك فريد هاليداي في قوله: «**الأزمة التي أثارتها أحداث 11 سبتمبر أزمة عالمية وشاملة. وهي أزمة عالمية بمعنى أنها تُقحم بلدانا مختلفة عديدة في النزاع، على رأسها، بطبيعة الحال، الولايات المتحدة الأمريكية ومناطق من العالم الإسلامي. وهي شاملة بكونها تؤثر، أكثر من أي أزمة عالمية عرفت حتى الآن، في مستويات متعددة من الحياة، سياسية واقتصادية وثقافية ونفسية** »[3].

ونجم عن هذه الحادثة هبوط في سعر الدولار وانحدار في أسعار الأسهم وصعود في أثمان النفط وتغيير في القوانين يصدرها الكونغرس الأمريكي وانتشار عارم للرعب في العالم الغربي، باختصار 11 سبتمبر يوم لن تنساه أمريكا والعالم.

---

[1]- فلاح محمد العربي، **الإسلاموفوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام**، دار هومة للنشر، الجزائر، 2007، ص ص 53- 54.

[2]- أسد محمد، **منهاج الإسلام في الحكم**، تر: منصور محمد ماضي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، 1978، ص 170.

[3]- هاليداي، فريد، **ساعتان هزتا العالم**، إعداد مركز الحرمين للإعلام الإسلامي، ذي الحجة 1422ه، ص 9. www.pdffactory.com

ويُكن المستشرقون العداء والكراهة للعالم الإسلامي وظهر الاستشراق نتيجة إحساس الغرب بتفوق المسلمين ثقافيا وسياسيا واجتماعيا وهدفه رسم صورة نمطية عن المسلمين والانتقاص من قيمتهم وإفحام الغرب بأنهم مجرمون ومتوحشون مما يُعطي صورة مشوهة للإسلام والمسلمين، كما أن هناك أسباب أخر مؤدلجة تُوهم الغرب بالخوف المرضي من الإسلام أهمها ما يلي:

1-1الإسلام آت إلى الغرب

لما بدأ يتحول الكثير من الغرب إلى الإسلام، تعالت أصوات بعض العلماء الغربيين إلى الجزم بأن الإسلام هو الترياق لأزمة الغرب الذي أخفق إخفاقا صارخا في حل مشاكله، وبشر الكثير ببداية عهد جديد هو عصر الإيمان كما تنبأ بذلك المفكر الفرنسي أندري مالرو André Malraux (1901– 1976) بقولته الشهيرة « أن الألفية الثالثة ستكون دينية أو لا تكون»، وانتشرت إشراقات وتباشير مؤداها أن الرجل الأبيض آيل للزوال والإسلام قادم[1]، مما بعث الرعب في نفسية الغرب؛ يقول الدكتور بومدين بوزيد:« **لقد شكل الإعلام الغربي من كل ذلك مادة إعلامية مضمونها:" الإسلام قادم"، وكانت العبارة في السبعينات " حذاري، الصين قادمة"، أما آخرون فكان لسان حالهم يقول:" إن الإسلام والصين قادمان"، وهو التحالف الحضاري، في نظرهم، الذي سيدمّر الليبيرالية**»[2].

وإن الخطر الداهم للغرب ليس الروس أو الجنس الأصفر أو اليهود وإنما الإسلام، يقول لورانس براون:« **كان قاداتنا يخوّفوننا بشعوب مختلفة، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لتلك المخاوف. كانوا يخوّفوننا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الأصفر، والخطر البلشفي. لكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أما اليابانيون، فإن هناك دولا ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم. لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته المدهشة**»[3].

---

[1]– فلاح محمد العربي، الإسلاموفوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام، (م س)، ص 122.

[2]– بومدين بوزيد وآخرون، الإسلام الأوروبي، (م س)، ص 115.

[3]– العالم جلال، **قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أبيدوا أهله**، بدون ذكر طبعة ولا دار النشر، ص 37.

ويعتقد برنارد لويس Bernard Lewis(1916– 2018) أن المسلمين أكثر الشعوب دموية وخطرا على العالم، يقول: « **إن جل الإرهابيين في العالم اليوم ينحدرون من العالم الإسلامي، ويفتخرون بأنهم كذلك**»[1].

ويتدفق سيل هائل من التحقيقات والمقالات والدراسات والمؤتمرات التي تعضدها المراكز والمعاهد والجامعات والمؤسسات العلمية والعديد من المكاتب والإدارات واللجان المتخصصة التي أنشأتها أو نشطتها وزارة الخارجية الأمريكية والدفاع وأجهزة الأمن القومي والاستخبارات[2]؛ لغاية التصدي للإسلام القادم.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تجتهد الدول الغربية وبالخصوص أمريكا على إنشاء عشرات المراكز في داخل البلدان العربية تحت مسميات مختلفة لتتولى مهمة البحث والرصد وحشد المعلومات المباشرة لتنقل هناك في مراكز التخطيط والقرار، هذا فضلا عن جامعات ومدارس أجنبية تقوم بالمهمة نفسها [3].

1- 2 الإسلام السياسي(الحركات الإسلامية)

لا شك في أن مصطلح الإسلام السياسي ليس مفهوما محايدا، إذ لا يخل من انحياز، فهو ذو طابع إيديولوجي أو نتاج لصراع فكري ما[4]، ذلك أن المفاهيم والمقاصد تتشعب وتتنوع بتنوع أصحابها وانشغالاتهم الفكرية والمنهجية والسياسية والإيديولوجية[5].

ونفهم من هذا أن تسمية الإسلام السياسي لا تلاقي إجماعا لدى الباحثين، لأن هناك من يطلق عليه اسم الحركات الأصولية أو الحركات الإسلامية أو الإسلاميين، بيد أن الغرب يُؤثر عبارة إسلامي بدل إسلاموي الذي تعني المتطرف والمتشدد، بخلاف الإسلامي الذي يدل على الاعتدال والمرونة وعدم التشدد[6].

وعندما يعرب الساسة بأنهم ليسوا ضد الإسلام كدين يُمكن فهم ذلك، فهم لا يعترضون على العبادة والانعزال وإبقاء الإسلام في المساجد، لكنهم يناهضون الإسلام الذي

---

[1]- Bernard Lewis, **l'islam en crise**, Editions Gallimard, 2003, p151.

[2]- دكمجيان ريتشارد هرير، **الأصولية في العالم العربي**، تر: عبد الوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة- مصر، الطبعة الأولى 1989، ص 9 (المقدمة).

[3]- المرجع نفسه، ص ص 10- 11.

[4]- حيدر إبراهيم علي، **التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، (ط 1) 1996، ص ص 23- 24.

[5]- أعراب إبراهيم، **الإسلام السياسي والحداثة**، إفريقيا الشرق- المغرب، 2000، بدون ذكر الطبعة، ص9.

[6]- المرجع نفسه، ص ص 9- 10.

يتجاوز الإصلاح الفردي إلى الإصلاح الجماعي والإصلاح الحضاري والتغيير الكوني أي الإسلام السياسي[1].

ويجب أن يعدل الغرب عن فكرة المزج بين الإسلام السياسي والإرهاب **«فالإسلام يقوم كله على الحرية ويرفض الإكراه بجميع صوره. والمناظر التي نراها من خطف الرهائن إلى تفجير العربات إلى نسف الطائرات إلى إطلاق النار على مخفر شرطة، ليست إسلاما ولا أصولية، بل جرائم يرتكبها مجرمون قتلة»**[2].

أما وصم الغرب الإسلام السياسي بالحركات الأصولية فهو تجنّ على أصول الإسلام الحقيقة، ذلك أن الأصولية معناها العودة إلى الجذر أو المصدر أي تدل على المسلم الذي يرجع إلى الجذور إلى الإسلام الطازج إسلام الرسول والصحابة والتابعين.

وينسى الغرب أو يتناسى أنه منبت ومرعى للأصوليات من الأصولية الفاتيكانية والإنجيلية الأمريكية والأصولية النازية والأصولية الماركسية والأصولية الصهيونية؛ وتوّجت هذه الأصوليات بما يسمى اليوم الأصولية العلموية؛ يقول روجي غارودي: **«إن هذا التصور للعلمانية المصابة بعدوى الوضعية والحداثة المختلطة مع نفي التعالي والمجتمع، قد أدى إلى هزيمة الغرب أخلاقيا. إن كل مذاهب هذه العلموية التوتاليتارية قديمة، مثل الأصوليات كلها»**[3].

1- 3 الانفجار الديمغرافي الإسلامي

يتفاقم هلع الغرب يوما بعد يوم بتفاقم عدد المسلمين في البلدان الغربية وبالخصوص في أوروبا الغربية، يقول بيتر بي ماندفل:« **فأعداد البريطانيين ذوي الأصول الباكستانية والبنجالية قد تضاعفت من عام(1981) إلى (1991)، وكان نصفهم مولوداً في المملكة المتحدة، والتنوع بينهم المتصل بالسن أمرٌ مذهل مقارنة بالبريطانيين؛ إذ تبلغ شريحة من سِنُّه دون الستة عشرة عاما، من سكان آسيا الجنوبية، ضعفَ البريطانيين البيض، واثنان بالمئة فقط من هذا المجتمع يربو على سن الخامسة**

[1]- محمود مصطفى، الإسلام السياسي والمعركة القادمة، (م س)، ص 17.

[2]-المرجع نفسه، ص ص21- 22.

[3]- غارودي روجيه، **الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها**، تر: خليل أحمد خليل، دار عام ألفين- باريس، الطبعة 2000م، ص 23.

والستين مقارنا بسبعة عشرة بالمئة من سكان بريطانيا البيض. وهذه الصورة متكررة في بلدان المسلمين في معظم أجزاء أوروبا الغربية»[1].

وإن إزياد المسلمين بشكل مطرد يخيف الغرب ويُؤرقه موازاة مع انحدار ووهن في الساكنة الغربية، وسوف تتضاعف أعداد أفراد الجاليات الإسلامية في العقود اللاحقة « **وإن الجالية الإسلامية في أوروبا تنمو بمعدل غير عادي. ففي فرنسا فقط تفيد التوقعات بأن عدد المسلمين فيها– ويمثل العرب الغالبية منهم– سيرتفع إلى ما بين 6– 8 مليون نسمة خلال ال15 سنة القادمة»**[2].

4-1 الخوف من أسلمة الغرب

إن ارتداء الحجاب وغطاء الرأس في الغرب، وانتشار المساجد وما تحمله من طقوس ورموز دينية تتعلق بالمسلمين، وسؤال الهوية الذي يتداوله الشباب المسلم من الجيلين الثاني والثالث ورفضهم الانصهار الكامل في السياق الثقافي الأوروبي، فضلا عن ارتفاع عدد المسلمين، كل ذلك أفضى إلى استفحال ظاهرة الخوف من الإسلام اعتقادا من الغرب أن هذه العوامل هي علامات وملامح تحيل إلى أسلمة أوروبا، يقول بيتر بي ماندفل: « **فمسألة غطاء الرأس(الحجاب) في فرنسا، التي انتهت بمنع الفتيات من ارتداء الحجاب، قد أوضحت المدى الذي وصلت إليه ملامح التمييز والتحامل، ضد من يُنظر إليهم كمهدد للنظام الفرنسي العلماني»**[3].

وكما يعزو توماس دلتومب Thomas Delthombe (1980)هاجس أسلمة أوروبا إلى وسائل الإعلام الغربية باعتبارها هي من أشعل فتيل النار، بحكم استفحال ظاهرة النمو الديمغرافي للمسلمين الذي بات يُهدد الغرب، وفي العقود اللاحقة تتضاعف أعداد المسلمين، ما يجعل الأوروبيين أقلية في أوطانهم وتتحول أوروبا إلى "أورابيا" Eurabia، بسبب انتشار المساجد ودخول الناس إلى الإسلام أفواجا[4].

---

[1]– بيتربي. ماندفل وآخرون، الإسلام الدين الثاني في أوروبا، (م س)، ص 352.

[2]– مجلة المجتمع، عدد 1160، 01/أغسطس/1995، ص 28.

[3]– بيتربي. ماندفل وآخرون، الإسلام الدين الثاني في أوروبا، (م س)، ص 351.

[4]– Delthombe Thomas, **L'islam imaginaire la construction médiatique de l'islamophobie en france**(1975- 2005), édition la découverte , p 45.

بيد أن هذا التوجس من أسلمة أوروبا هو مجرد كذب وتدليس، يزرعه اليمين المتطرف في أوروبا بمؤازرة الإعلام مُدعيا أنه يسعى سعيا حثيثا من أجل أوروبا مسيحية؛ يقول الدكتور بوعرفة عبد القادر في هذا الصدد:« **ويبدو أن الأمر مجرد تخويف كاذب، فنسبة الإسلام في أوروبا ليست بتلك الضخامة التي يصورها اليمين المتطرف، لكون هجرة المسيحيين إلى أوروبا لا تختلف كثيرا عن هجرة المسلمين. كما أن التنصير في إفريقيا والعالم الإسلامي نسبته لا تقلق مقارنة مع انتشار الإسلام ذاته في المنطقة نفسها**»[1]

2- توخي الحذر في التعاطي مع مصطلح الإسلاموفوبيا

لما أفل نجم الاتحاد السوفياتي إثر ذلك سارعت أمريكا ومن يحدو حدوها إلى البحث عن عدو جديد، ومن ثمّ بدأ يلوح الإسلام كمشروع مُغري بما يوجد في رصيد أراضيه من تريليونات الدولارات، وجاء الدور لافتعال السيناريوهات لتأمين أكبر عدد ممكن من الأموال.

ولا يخفى علينا أن أمريكا بعقيدتها الإمبريالية تقتات من إشعال الحروب بين الأعداء والأصحاب والطوائف وهو ما يشهد عليه واقع المواجهات بين السنة والشيعة على سبيل المثال في العراق ولبنان وسورية، فضلا عن الاتجار في الأسلحة وتكريس الهيمنة على العالم وبالخصوص العالم الإسلامي، يقول نعوم تشومسكي:« **ولعله من الخداع أن نسارع في البحث الدؤوب عن أعداء جدد منذ تراجع قوة [السوفيات] في الثمانينات، وقد وجدنا ما نبحث عنه في الإرهاب الدولي، والتجارة الدولية للمخدرات، والأصولية الإسلامية، و«عدم الاستقرار» في العالم الثالث، والفساد بشكل عام. هكذا تم العمل بشهية واسعة مع الأعداد الجدد وإن كان مفهوم «الإرهاب الدولي» لم يشر فيه بعد لدور الولايات المتحدة وزبنائها**»[2].

وتتلاعب أمريكا بالجميع وهي من تحرس الإسلام السياسي في الدول العربية والإسلامية وتدعم الإرهاب في الحرب ضد سوريا وفي أفغانستان، واستعملت الإخوان

[1]- بوعرفة عبد القادر وآخرون، الإسلام الأوروبي، (م س)، ص 157.

[2]– تشومسكي نعوم، **النظام العالمي القديم والجديد**، تر: عاطف معتمد عبد الحميد، نهضة مصر للطباعة والنشر، (ط 1) 2007، ص 9.

المسلمين ضد جمال عبد الناصر لإخماد القومية العربية وعقدت صفقات سرية مع الخميني للإطاحة بالزعيم محمد مصدق، كما دعمت اليمين الإسلامي في العراق[1].

ونستفيد من شهادة أشهر النخبة الأمريكية السالفين أن أمريكا تُتقن لعبة الشيطان، ولها دور طلائعي في صناعة الإسلاموفوبيا وما يسمى أيضا بالإكزينوفوبيا Xénophobie*، وترمي به زيفا وباطلا المسلمين، والغرب عموما يتخذ من الإسلاموفوبيا حيلة إيديولوجية للسيطرة على ثروات الشرق، عبر استراتيجية هدفها تفتيت الأمة الإسلامية وبعث صراع بين الملل والنحل (سنّة- شيعة)[2].

3- هل من سبيل لتجاوز الإسلاموفوبيا؟

رغم أن حياة البشر لا يتم إصلاحها بالطروحات واستشراف الحلول، إلا أنه بات من الواجب بذل الجهد والسعي النظري وإثارة التصورات مع الاعتراف بقصور ومحدودية ما يقترحه الإنسان من أفكار وآراء.

ويتعين على المسلمين اليوم أن يجنّدوا كل طاقاتهم للذود عن الإسلام ببذل الأموال والأبحاث وإنشاء مراكز متخصصة تُجيد اللغات الأجنبية وتبحث في كل صغيرة وكبيرة تخص ظاهرة الإسلاموفوبيا وتُشيِّد قنوات إعلامية متطورة ومجهزة بأحدث تكنولوجيات الإعلام وبعدة لغات، وتغطية الإسلام تغطية موضوعية وتتصدى لكل شائعة تُسوقها قنوات الإعلام الغربي عن الإسلام والمسلمين بالحجة والبرهان والإقناع، وتنفتح على قنوات الإعلام الغربية الموضوعية الراغبة في تقديم صورة منصفة عن الإسلام.

كما يجدر بالمسلمين الذين يستوطنون الديار الغربية تمثيل الإسلام أحسن تمثيل والعدول عن فكرة "دار الحرب" وترك جانبا الأحقاد القديمة والتحلي بالخلال الإسلامية الأصيلة بدون تعصب أو شطط. والتخلي عن ظاهرة التحايل على المؤسسات الغربية برسم علماء الإسلام كما يجب العدول عن فكرة المطالبة بالحقوق فقط وإهمال الواجبات.

---

[1]- دريفوس روبرت، **لعبة الشيطان دور الولايات المتحدة في نشأة التطرف الإسلامي**، تر: أشرف رفيق، مركز دراسات الإسلام والغرب، (ط1) 2010، الصفحات، 11- 12- 13.

* كحال كل أنواع الرهاب، المصاب برهاب الأجانب يميل إلى خوف وعدم ثقة تصل إلى كراهية الأجنبي.

[2]- مصطفى بن تمسك وآخرون، مجلة الدراسات الدينية، **الإسلام في الغرب**، إشراف بسام الجمل، بدون ذكر العدد، 15 فبراير2017، ص 39.

أما الحوار الحضاري الذي يدعو إليه مثقفينا ومفكرنا مع الغرب، لن يتأتى إلا بعد حوار جاد وفعال بين المسلمين أنفسهم، إذ كيف نُحاور الغرب وعلاقتنا مع بعضنا بعض مسكونة بالتوجس والقلق والشكوك.

ولما يُؤتي الحوار مع بعضنا بعض أكله، وقتئذ نتوجه نحو الحوار الكوني، ولكن علينا « **أن نتخلى عما يسمى حوار المركز والأطراف أو حوار الشمال والجنوب أو حوار الشرق والغرب...، فمثل هذه التقسيمات الثنائية تخفي تفاضلا سلبيا بين الطرف الأول والثاني...، وعليه فطالما تظل التمييزات قائمة على خلفيات قومية أو عرقية أو دينية أو حضارية...فأنى لحوار الحضارات أن يكون؟ وكيف سيكون أصلا بين أطراف تدخل في حوار شكلي وهي مشحونة بأحكام مسبقة وبميراث عدائي مستحكم لم تحدث معه القطيعة المنتظرة؟**»[1].

خلاصة الفصل

بناءً على ما تم تناوله في ثنايا هذا الفصل يمكن استنتاج ما يلي:

إن تفاعل الإسلام مع الغرب هو خلاصة تجارب تاريخية معقدة ومركبة ولا يمكن أن تُعزى لعامل دون آخر والدراسات التي سلطت الضوء حيالها تتفاوت باختلاف الباحث والمنهجية التي يسلكها كل منهم، ولهذا نُلفي قراءات متفائلة وأخرى متشائمة مع الإصرار أن هذه القراءات منها ما يُميز بين الإسلام كمبادئ وشرائع وواقع المسلمين المتردي ومنها من لا يُميز.

ونستفيد من موقف هوفمان في أن علاقة الإسلام بالغرب طوال 1400 سنة كانت إيجابية، ولهذا لا ينبغي الخشية من الإسلام في حين أن الغرب كانت علاقته مع الإسلام ولا تزال سلبية، ولهذا ينبغي للإسلام أن يخشى منه؛ و يتوجس جيفري لانغ من سوء فهم الإسلام في صورته النقية من قبل الجيل الأول ومزجه مع العادات والتقاليد التي أخذوها من بلدانهم، مما يؤول إلى تفاعل سلبي بينهم وبين الجيل الثاني والمعتنقين الجدد للإسلام؛ أما محمد أسد نظر إلى التفاعل بين الإسلام والغرب نظرة سلبية استمدها من الواقع المعاش الذي يجمع بين العالمين.

[1]– مصطفى بن تمسك وآخرون، مجلة الدراسات الدينية، الإسلام في الغرب (م س)، ص ص 50- 51.

وفيما يخص سيناريو مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب، فيعزو هوفمان أمر مصير الإسلام وتطوره إلى المسلمين الغربيين لعلة عدم خلطهم بين الدين والحضارة، وينظر غارودي إلى الإسلام نظرة مستقبلية؛ تفاؤلية؛ إيجابية، باعتباره مستقبل الجميع ومُخلص الغرب من غياب الاستقرار والمعنى.

أما ما يتعلق بإشكالية الأصالة والمعاصرة، أكد طارق رمضان على أن ثوابت ومبادئ الإسلام قارة وأبدية لا يعتريها التحول والتبدل، لكن يمكننا قراءتها بروح العصر حتى نستكشف النماذج والبراديغمات التي تُواكب السياقات والوضعيات التي نتواجد فيها، في حين يرى صهيب بن الشيخ بأن ليس هناك تعارض بين الهوية الإسلامية ومبادئ العلمانية، لهذا يجب أن نبادر بإصلاح الخطاب الديني الإسلامي حتى يتساوق مع العلمانية.

ولتفاعل أفضل ومستقبل واعد بين الإسلام والغرب، يتعين على العالمين الإسلامي والغربي التصدي لظاهرة الإسلاموفوبيا بتجنيد كل طاقاتهم بغية تغطية الإسلام تغطية موضوعية وعلى المسلمين تمثيل الإسلام أحسن تمثيل وتكريس حوار كوني لا مركزي ولا شكلي غير مشحون بأحكام مسبقة وبميراث عدائي مستحكم.

خاتمة

من أول وهلة راهنا على أن نعطي رؤية تقريبية عن التمثلات الدينية للمسلمين في الغرب ولا نزعم أبدا الفهم المطلق والكامل لهذه التمثلات، لأن أي بحث يعتريه العوز ويتخلله النقصان، سواءً أكان على مستوى الاستيعاب أم على مستوى الآليات، وذلك أننا اعتمدنا أولا على مختلف المصادر والمراجع النظرية التي تُعنى بالموضوع وثانيا نزلنا عند ثقافتنا المتواضعة بحكم انتمائنا إلى العالم الإسلامي واهتمامنا بقضايا الإسلام والمسلمين.

وبما أن موضوع بحثنا اتخذ شخصية الدكتور مراد ألفريد هوفمان أنموذجا، كان حريّا بنا أن ننظم لقاءًا معه في مكان إقامته بتركيا، لكن الحظ لم يُسعفنا، وحاولنا أن نتصل به إلكترونيا لكننا لم نحظى بأي رد، وكان يجدر بنا على الأقل أن نشد الرحال إلى بلد من بلاد أوروبا حتى نكون أقرب من المسلمين ونتتبع عن كثب تمثلاتهم الدينية ونبني أحكاما لا تتكئ على الجانب النظري فحسب بل تمتد إلى الجانب الواقعي العملي، خاصة وأن التمثلات يعنى بها التجسيدات الواقعية وتأثيرها على حياة الإنسان؛ ليغدو البحث أكثر إفادة وغنى، وعلى رغم ذلك حالفنا الحظ في أن نستجلي جملة من النتائج نختزلها فيما يأتي:

نلفي شريحة اجتماعية كبرى في الغرب من المسلمين، يُثمنون أوضاعهم بوصفهم مواطنين غربيين يدعون إلى التعايش بين شتى الطوائف والديانات والحضارات، غير متعاطفين مع مرتكبي أعمال العنف الإرهابية التي تلصق بالإسلام جورا وينصاعون للقانون ومسالمون ومخلصون لأوطانهم رغم التحرشات التي طالتهم بعد أحداث أيلول2001؛ ويبقى الدور للمجتمعات الغربية لفهمهم وقبولهم، حيث نال هؤلاء بتمثلاتهم الإيجابية إعجاب العديد من المسؤولين والحكام الغربيين.

وهناك أنتلجنسيا تسترشد بالتاريخ ومرجعياته، يديرون النقاش بصلابة ولهم وعي بمبادئهم ولا يخشون الآخر، يُميزون بين المنهج المستخدم في العبادات والمنهج المستعمل في المعاملات، ولا يخلطون بين المبادئ والنماذج، يرعون ويحترمون عقيدتهم ويتولون في الوقت نفسه ثقافتهم الغربية بتنوعها واختلافها ، فيكون إسلامهم مقبولا بالنسبة إلى مبادئ الدين، ويكونون في الوقت نفسه غربيين أو أوروبيين بالتمام

نسبة إلى ثقافتهم الغربية أو الأوروبية. فمثلا لما يتعلق الموضوع بالعقاب الجسدي الذي يتعارض مع مفهومنا الراهن لحقوق الإنسان، فلا ينبغي تطبيق ذلك الأمر حرفيا، بل يجب الغوص في أغواره وقراءة ما خلف السطور من أفكار بدقة بالغة حتى تُستكشف الحلول الناجعة، وهؤلاء أمثال الدكتور مالك شبل وطارق رمضان ويوسف صديق وروجي غارودي وجيفري لانغ وديتريش فون دنفر وغيرهم كثير.

لكن في الوقت نفسه نلفي شريحة من المسلمين في الغرب تُسيئ إلى الإسلام وثمة خللا في وعيهم الديني يُقزمون الدين في العبادات ويوسمون بسفراء الإسلام الرديئين، تفاعلهم سلبي مُعادين للغرب ويرفضونه، رغم أنهم جزءٌ من نسيجه؛ يجتمعون في شكل طوائف وقيتوهات، وجودهم اعتباطي بلا هدف في الغرب، لا يتجاوز الجانب المادي أو الحصول على الجنسية؛ وهذا ناهيك عن احتيالهم وتعصبهم وتطرفهم، ومنهم من ينتمي إلى الإسلام عرقيا ليس إلا، والسبب اعتقادهم أن الغرب مجرد محتل قديم، نكّل بأسلافهم وشيد حضارته على أكتافهم ونهب ثرواتهم وطمس هويتهم.

أما الاتجاه القائل إن الإسلام وحدة لا تتجزأ ولا يوجد هناك إسلام أوروبي أو غربي مقابل لإسلام محلي أو تقليدي، حيث إن هذا التوجه بالغرب سيسيء إلى الإسلام ويمسخه، وسيحدث خللا في الوعي الديني للمسلمين، ويُقزم الدين ويختزله في ممارسة فردية منعزلة عن البعد الكلي للإسلام، وهو مجرد توهم، لأن الإسلام لطالما انتشر في القارات وتفاعل مع ثقافاتها وعادات شعوبها، ما دامت متناغمة مع مبادئه ومخلصة لتعاليمه، وأقبل الناس عليه زرافات وفرادى لما أدركوا قيمته وآمنوا بأحقيته، من هنا ندرك إسلاما إفريقيا وإسلاما آسيويا وإسلاما أمريكيا.

ولم يُكون مراد هوفمان تمثلاته الدينية بين عشية وضحاها، بل أمضى عقودا من حياته يبحث ويدرس الإسلام ويقارنه مع المسيحية، ويستقرئ سلوكات المسلمين ويحللها، وبعد رحلة روحية طويلة انتقل من الشك إلى اليقين، من المسيحية إلى الإسلام.

وأدرك هوفمان بأن لا قيمة لدين المرء بعيدا عن التدين، ولا يكفي أن يكون المرء مسلما بأفكاره، بل يصير مسلما من خلال سلوكاته، هكذا كان حاله قبل أن

يتحّول جذريا ويستجيب لنداء القرآن ويُغذي نهمه الروحي. وترجم ذلك من خلال الصلاة والصوم والحج والزكاة والأضحية وذم المسكر وترك لحم الخنزير والإيمان بالقضاء والقدر.

وإسلامه كان متميزا إلى حد تأديته زكاة ماله من أجل إعلاء شأن الإسلام، ناهيك عن تنازله عن حقوقه كمؤلف لدور النشر في العالم، وهذا التمثل يكاد ينعدم اليوم في العالم الإسلامي ولا نلمسه عند الكثير من النخبة المسلمة في الغرب.

ولم يتوقف هوفمان عند هذا الحد بل كرس جزءا كبيرا من حياته يدعو إلى الإسلام ويعرف به لمن لا يعرفه، فألقى محاضرات لا تعد ولا تحصى يشرح فيها مبادئ الإسلام والإيمان، وسافر من قارة إلى أخرى يشارك في المؤتمرات والندوات مبينا حقيقة الإسلام والإيمان ليدحض الخرافات والأباطيل التي كانت ولازالت تشوب العقل الغربي عن الإسلام والمسلمين، فذاد عن القرآن وعن المرأة المسلمة وأشاد بحقوق الإنسان التي جاد بها القرآن... وكان همزة وصل بين الإسلام والغرب ليمحو الخلاف والتنافر والعداوة والحروب وسوء الفهم ويُحل محلها الحوار والتفاهم والتعاون، إلى جانب تأليفه ما يفوق عشرة كتب في سبيل ذلك.

ودعا هوفمان المسلمين في الغرب بأن يصححوا تمثلاتهم، كأن يتغاضوا عن الموروث الثقافي من أجل اندماج أفضل وتعايش ممكن، لكن بدون انصهار وذوبان كامل؛ وللظفر بذلك على المسلمين أن يغيروا من أسلوب حياتهم في الأكل وفي الهندام وذلك باستخدام أدوات الأكل وغسل أسنانهم بالمعجون عوضا عن استعمال السواك وارتداء ربطة العنق...، هذا كله يصب في مصلحتهم ويُيسر أمر تقبل الغرب لهم.

وليس معنى هذا أن تمثلات هوفمان لم تتخللها ثغرات ونقائص، لهذا لا نُجاريه في بعضها، لكن ذلك لا يجعلنا نشك في صدق نيته وإخلاصه في دعوته. ولو قارنا بينه وبين محمد أسد، يمكننا أن نستشف بأنه أيضا جاهد خير جهاد في نصرة الإسلام وخدمته، فألف الكتب ونشر المقالات ابتغاء ذلك، حيث كان مفكرا إسلاميا ملتزما، وشارك مع عمر المختار في الجهاد ضد إيطاليا، بيد أنه لم يكن متفائلا مثل هوفمان الذي سعى جاهدا يبحث عن السبل التي ترأب الصدع بين الغرب والإسلام، في حين

نظر محمد أسد إلى التفاعل بين الإسلام والغرب نظرة سلبية، استمدها من الواقع المعاش الذي يجمع بين العالمين.

وفي نهاية الألفية الثانية عقب وفاة محمد أسد، شهدت العلاقة بين الإسلام والغرب تصدعا لم يسبق له مثيل، فضلا عن ذلك عرض هوفمان بالبحث والدراسة لجل القضايا التي شغلت العلاقة بين الإسلام والغرب من حجاب ومرأة وحقوق الإنسان ومشاكل المسلمين في الغرب، ولا يملك الواحد منا إلا أن يقدم له الشكر على صنيعه هذا.

أضف إلى ذلك كان هوفمان سياسي ودبلوماسي وأكاديمي مما سمح له أن يكون محاورا جيدا للغرب وداعيا المسلمين إلى تصحيح نظراتهم إلى الإسلام ليناسب العصر، ولم يُمانع أبدا من أن يكون هناك إسلام ذو طراز أوروبي وأمريكي، كل هذا يجعله بحق أنموذجا متميزا على مستوى التمثل والتدين.

فهرس المصطلحات

إسلام آسيوي 204
إسلام إفريقي 204
إسلام أمريكي 204
أسلمة الغرب 198
الأتنولوجيا 41
الآخر 35
الإسلام الأقلياتي 21
الإسلام الأوروبي 11
الإسلام السياسي 196
الإسلام الليبيرالي 127
الإسلاموفوبيا 193
الإصلاح الجذري 186
الأصولية الجديدة 21
الإكزينوفوبيا 200
الأنا 35
الأنتلجنسيا 37
الاندماج 31
الاندماج الديني والفلسفي 31
الأوتار الفائقة 81
الإيمان 89
التدين 55
التصوف 94
التفاعل 117
التفرد في التدين 56
التمازج الثقافي 21
التمثلات 6, 7
الثالوث 77
الجهل المقدس 57
الحجاب 91
الحداثة 29
الحداثة الإسلامية 33
الحركات الإسلاموية 21
الحروب الصليبية 156
الحرية الدينية 52
الحقل 4
الخطر الأحمر 36
الخطر الأخضر 36
الدّنيوية 20
الدوغمائية 28
الرموز الدينية 192
الزمان 4
الشيوعية 79
العبادات 27
العصر الفيكتوري 92
العولمة 162

الغرب الاقتصادي 18
الغرب الجغرافي 15
الغرب جغرافية ثقافية 16
الفقه الأقلياتي 189
الفن الإسلامي 95
الفولكلور الديني 61
القيتوهات 30
اللاأدرية 62
اللاهوت الإسلامي 189
المحو الثقافي 55
المستشرقين 14
المسلمون الغربيون 168
المسيحية 51
المعاملات 27
المكان 4
المنطق الغائم 81
المنهج 5
اليورو إسلام 127
انتماء عرقي 67
أنمذجة 181
أورابيا 199
أوربة الإسلام 69
براكسيس 22
تصاعد الإسلام 166
تعالي الغرب 156
تغطية الإسلام 200
ثورة الجنس 83
حوار الحضارات 201
دار الإسلام 12
دار الحرب 12
دار العهد 12
شيطنة 48
صدام الحضارات 48
عبادة السوق 174
علمانية 23
لائكية 28
مجال العقيدة 182
مجال المعاملات 182
مستقبل الإسلام 141
مصير الإسلام 167
وسائل الإعلام 117

فهرس الأعلام

ا

ابن تيمية 160

ابن سينا 86

إ

إدوارد سعيد 44

إدوارد ويتن..... 81

أ

أرسطو..... 86

أرنست رينان..... 41

إ

إسماعيل راجي الفاروقي..... 45

أ

أفلاطون 86

ا

السيد قطب 188

الشافعي..... 33

الفارابي..... 86

أ

ألفريد س كينزي..... 83

ألفريد مراد هوفمان 48

ألفونس إيتيان دينيه 124

ا

الكسندرا براون 131

آ

آنا ماري شيميل 124

أ

أولفييه روا..... 20

ب

برنارد لويس 196

بول إيسر..... 118

بولانفيليه 40
بولكستاين 38
ت
توماس دلتومب.....198
ج
جاك أتالي.....16
جوسلين سيزاري.....65
جون اسبوزيتو 119
جون نيكسون.....120
جوناثن لاينز 13
جيرهارد كنزلمان 143
جيفري لانغ.....149
جيمس كلارك ماكسويل 164
ح
حامد الغزالي 160
حنبل.....33
خ
خوزيه كازانوفا.....70
د
ديتريش فون دنفر 204
ديكارت 4
ر
روجي غارودي.....159
رودني ستارك.....70
ز
زيغريد هونكه.....91
ش
شاتوبريان.....41
شبينغلر 42
ص
صهيب بن الشيخ.....186

ط

طارق رمضان.....24

ع

عبد القادر عوده.....185

عبد المجيد الشرفي.....165

غ

غوستاف لوبون.....52

غوستاف يونغ.....77

ف

فريش بيتر.....118

فولتير.....40

فولني.....41

ك

كارل بوبر.....70

كانط.....161

كرستينه شيرماخر.....184

كلود ليفي ستراوس.....41

ل

لالاند.....5

لامارتين.....41

لدفيج فتجنشتين.....73

لورانس براون.....195

لينين.....79

م

مارتن لوثر.....73

محمد أركون.....13

محمد أسد.....153

محمد عابد الجابري.....35

محمد عبد الوهاب.....160

مرتضى مطّهري.....131

مهند خورشيد.....183

موريس بوكاي.....124

ه

هارتز 164
هتنغتون 48
هربرت جورج ويلز 164
هشام جعيط 39
هشام جعيّط 19
هيغل 42

و

ولفجانج تيرزا 146
ويل ديورانت 49
ويلهيم ريتش 83
ويهيم ديلت 143

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، القرآن الكريم برواية ورش، حراء للطباعة والنشر، مملكة البحرين، ط 1، 2008.

الأحاديث النبوية

ثانيا: مصادر ومراجع مراد هوفمان باللغة العربية

1) هوفمان مراد ويلفريد، الإسلام عام 2000، تر: عادل المعلم، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى 2003.

2) ـــــــــــــــــ، الإسلام كبديل، تر: عادل المعلم، دار الشروق، الطبعة الأولى 1997 .

3) ـــــــــــــــــ، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، تر: عادل المعلم ونشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الثانية 2011.

4) ـــــــــــــــــ، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، تر: عادل المعلم ويسن إبراهيم، مكتبة الشروق، (ط 1) 2000.

5) ـــــــــــــــــ، يوميات ألماني مسلم، ت، د.عباس رشدي العماري، الناشر مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى 1993.

6) ـــــــــــــــــ، وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، تر: ابراهيم يحيى الشهابي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008.

7) ـــــــــــــــــ، الطريق إلى مكة، بدون مترجم، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1998.

8) ـــــــــــــــــ، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، الرياض السعودية، مكتبة العبيكان، 2003.

ثالثا: مصادر ومراجع هوفمان باللغة الأجنبية

1) Anis Mahomed Karodia, Arabian Journal of Business and Management Review (Nigerian Chapter) Vol. 2, No. 5, 2014.

2) **Hofmann marad Wilfried, Promoting Islam and Uplifting Muslims, Islamic Horizons(september, october1998) 18-20 quotion at 18.**
3) **Hofmann murad Wilfried, Islam : the Alternative, Reading. UR, Garnet,1993.**
4) **_____, Journal d'un musulman allemand. Ed. la porte.rabat.maroc. 1992.**
5) **_____, "Backwadness and the rationality of the Muslim World", Encounter, UK. March1966.**
6) **_____, Den Islam verstehen. Vorträge 1996–2006 (Istanbul: Çağri Yayinlari, 2007).**
7) **_____, American Journal of Islamic Social Sciences, volume 19, number3, summer 2002.**

رابعا:المصادر والمراجع باللغة العربية

1) أبو زكريا يحيا، الإسلام والغرب، نشر إلكتروني يونيو 2004، www.nashiri.net، ص 45.
2) أبوزهرة محمد، العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون ذكر الطبعة، 1995.
3) إدوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى 2006 .
4) ــــــــــ، تغطية الإسلام، تر، د.محمد عناني، رؤية للنشر والتوريع 2006، الطبعة الأولى 2005.
5) أركون محمد، الإسلام، أوروبا، الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، تر هاشم صالح، دار الساقي، ط 2.
6) ــــــــــ، قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم؟، تر: هاشم صالح، دار الطليعة بيروت، 1999.

7) أسد محمد، الإسلام على مفترق الطرق، تر: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت 1987، بدون ذكر الطبعة.
8) ـــــــــ، منهاج الإسلام في الحكم، تر: منصور محمد ماضي، دار العلم للم-لايين، بيروت، الطبعة الخامسة، 1978.
9) الإسلام الأوروبي، المسبار، تأليف مجموعة باحثين، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، ط1 2008.
10) الإسلام في أوروبا :التنوع والهوية والتأثير، تحرير وتقديم عزيز العظمة وايفي فوكاس، تر: أحمد الشيمي، القاهرة، ط1، 2011.
11) الأصور خالد محمد، الجاليات الإسلامية في أوروبا، دار الاعتصام للنشر، – القاهرة 1998.
12) أعراب إبراهيم، الإسلام السياسي والحداثة، إفريقيا الشرق- المغرب، 2000، بدون ذكر الطبعة.
13) أمين سمير، ما بعد الرأسمالية المتهالكة، تر: فهيمة شرف الدين وسناء أبوشقرا، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 2003 .
14) أوليفييه روا، الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة، تر: صالح الأشمر، دار الساقي- بيروت، الطبعة الأولى 2012.
15) ـــــــــ، نحو إسلام أوروبي، تر: خليل أحمد خليل، دار المعارف الحكمية، ط1، 2011.
16) ـــــــــ، تجربة الإسلام السياسي، ترجمة نصير مروة، دار الساقي، بيروت- لبنات، الطبعة الثانية.
17) ـــــــــ، عولمة الاسلام، تر: لارا معلوف، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية،2016.
18) برنارد لويس، إدوارد سعيد، الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1994.

19) بزيان سعدي، معركة الحجاب الإسلامي في فرنسا أصولها وفصولها: *صور عن معاناة المسلمين في المهجر، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، طبع عام 2005.

20) بوفرة عبد الكريم، من قضايا الإسلام والإعلام في الغرب، روافد، الكويت، الطبعة الأولي2008 rawafed@islam.govkw.

21) بولعوالي التيجاني، المسلمون في الغرب: بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط 1 2006.

22) البيومي غانم إبراهيم، صورة الغرب عند الحركات الإسلامية المعاصرة، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، عدد 1115 ، شهر سبتمبر1994.

23) تشومسكي نعوم، النظام العالمي القديم والجديد، تر: عاطف معتمد عبد الحميد، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2007.

24) الجابري محمد عابد، مسألة الهوية العروبة الإسلام..الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الرابعة 2012 .

25) جعَيط هشام، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 2001 .

26) جيفري لانغ، حتى الملائكة تسأل، رحلة إلى الإسلام في أمريكا، تر: منذر العبسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الخامسة، 2013.

27) ـــــــــــ، ضياع ديني، صرخة المسلمين في الغرب !! تر: إبراهيم يحيى الشهابي، دار الفكر، دمشق 2008.

28) جيل دولوز، فليكس غتاري، ماهي الفلسفة، تر:مطاع صفدي، مركزالانماء القومي، بيروت، ط 1، 1997.

29) حلمي محمد، علماء الغرب يدخلون الإسلام، النهضة العربية للصحافة والإعلان، الطبعة الأولى، 1994 http://kotob.has.it .

30) الشيخ خالد بن تونس وبرونو سولت، الإسلام والغرب الدعوة للعيش معا، تر: عصام طوالبي الثعالبي، دار القصبة للنشر، الجزائر 2019.

31) حيدر إبراهيم علي، التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى 1996.
32) الخضري أنور قاسم، ظاهرة التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ط1، 2008.
33) خليلوفيتش صفوت مصطفى، الإسلام والغرب؛ رؤية محمد أسد، تر: هدير أبو النجا، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط1 2007.
34) دريفوس روبرت، لعبة الشيطان دور الولايات المتحدة في نشأة التطرف الإسلامي، تر: أشرف رفيق، مركز دراسات الإسلام والغرب، الطبعة الأولى 2010.
35) دكمجيان ريتشارد هرير، الأصولية في العالم العربي، تر: عبد الوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة– م*صر، الطبعة الأولى 1989.
36) الديري علي أحمد، إله التوحش: التكفير والسياسة الوهابية، مكتبة الفكر الجديد للنشر، بيروت، ط1 2017.
37) السيد أبو غضة زكي علي ، الحجاب والختان والعفة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر، بدون ذكر الطبعة ودار النشر، ص htt://kotob.has.it/151.
38) السيوطي جلال الدين، أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2002.
39) الشعائر الدينية، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ط 1، 2011.
40) شلبي عبد الودود، قضايا إسلامية معاصرة، هل انتشر الإسلام بالسيف؟، دار الفتح للإعلام العربي، الطبعة الأولى 2005.
41) طاش عبد القادر، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط 2، 1993.
42) العالم جلال، قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أبيدوا أهله، بدون ذكر طبعة ولا دار النشر.
43) عمارة محمد، أزمة الفكر الإسلامي الحديث، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، 1998.

44) عوده عبد القادر، الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، السالمية الكويت، ط 5، 1985 .

45) غارودي روجيه ، وعود الإسلام، تر: قرقوط ذوقان، دارالرقي، بيروت، الطبعة الثانية.

46) ـــــــــــــ، الإسلام هو الحل الوحيد للأزمات المتصاعدة للغرب، مطابع فتحي الصناعية، بورسعيد، بدون ذكر الطبعة.

47) ـــــــــــــ، الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، تر: خليل أحمد خليل، دار عام ألفين– باريس، الطبعة 2000م.

48) ـــــــــــــ، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط: كيف نحضر للقرن الحادي والعشرين، تر: مروان حموي، دار الكتاب، دمشق– سوريا، الطبعة الأولي 1998.

49) ـــــــــــــ، حفارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، تر: صبحي عزة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2002.

50) ـــــــــــــ، لماذا أسلمت؟، نصف قرن من البحث عن الحقيقة، دراسة أعدها محمد عثمان الغشت، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، بدون ذكر طبعة.

51) فلاح محمد العربي، الإسلاموفوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام، دار هومة للنشر، الجزائر، 2007.

52) القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1940، الجزء العاشر.

53) قرم جورج، تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب، تر: رلا دبيان، دار الفارابي بيروت– لبنان، ط1، 2011.

54) القسي مروان إبراهيم، المرأة المسلمة بين اجتهادات الفقهاء وممارسات المسلمين، دار الفضيلة، الطبعة الثانية 2000.

55) القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الجبل بيروت، الطبعة الثانية.

56) كازانوفا خوزيه، الأديان العامة في العالم الحديث، تر: قسم اللغات الحية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى 2005.

57) لوبون غوستاف، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة 2013، بدون ذكر الطبعة.

58) مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى 2002.

59) مبروك محمد إبراهيم، الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار، نظرية في دوافع الصدام واحتمالات المستقبل، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط 1، 2002.

60) محمود مصطفى، الإسلام السياسي والمعركة القادمة، مطبوعات أخبار اليوم، بدون ذكر سنة الطبعkutub-pdf.net.pdf.

61) مطهري مرتضى، نظام حقوق المرأة في الإسلام، دار الكتاب الإسلامي ستار، إيران، الطبعة الأولى، 2005.

62) المعطي عبد العظيم إبراهيم محمد، استدراكات مراد هوفمان على الإسلام: عرض وتقويم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ،1 2005.

63) ميلاد زكي، الربيعو تركي علي، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان، ط 2.

64) نايتون أندريه، ويند إدغار، غوستاف يونغ كارل، الأصول الوثنية للمسيحية، تر: سميرة عزمي الزّين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الانسانية، بدون ذكر الطبعة.

65) نصر حامد أبوزيد، التجديد والتحريم والتأويل بين المعرفة العلمية والخوف من التكفير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2010.

66) هارون فرغلي، الإرهاب العولمي وانهيار الامبراطورية الأمريكية، دار الوافي للنشر، القاهرة، ط1، 2006.

67) هاليداي، فريد، ساعتان هزتا العالم، إعداد مركز الحرمين للإعلام الإسلامي، ذي الحجة 1422هـwww.pdffactory.com.

68) هوفمان مراد ويلفريد، الإسلام عام 2000، تر: عادل المعلم، مكتبة العبيكان، الرياض الطبعة الأولى 2003.

69) ـــــــــــــــــــ، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، تر: عادل المعلم ويسن إبراهيم، مكتبة الشروق، (ط 1) 2000.

70) ـــــــــــــــــــ، الإسلام كبديل، تر: عادل المعلم، دار الشروق، الطبعة الأولى 1997.

71) ـــــــــــــــــــ، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، الرياض السعودية، مكتبة العبيكان، 2003.

72) ـــــــــــــــــــ، وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، تر: إبراهيم يحيى الشهابي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008.

73) ـــــــــــــــــــ، يوميات ألماني مسلم، ت، د.عباس رشدي العماري، الناشر مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى 1993.

74) ـــــــــــــــــــ، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، تر: عادل المعلم ونشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الثانية 2011.

75) ـــــــــــــــــــ، الطريق إلى مكة، بدون مترجم، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1998.

76) هونكه زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون و كمال دسوقي، دار الجيل بيروت، الطبعة الثامنة 1993.

77) وصفي محمد، المسيح والتثليث، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون ذكر سنة الطبع.

78) اليعقوبي محمد بن أحمد مسكة بن العتيق، فتاوي ابن تيمية في الميزان، مركز أهل السنة بركات رضا للنشر، إعداد مركز بحوث والدراسات، تاريخ الطبع ذي الحجة 1423ه– 2003م.

خامسا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

1) Anis Mahomed Karodia, Arabian Journal of Business and Management Review (Nigerian Chapter) Vol. 2, No. 5, 2014.

2) Bernard Lewis, l’islam en crise, Editions Gallimard, 2003.

3) Bucaille Maurice, La bible le Coran et la science, les Ecritures saintes examinées à la lumière des connaissances modernes, Editions seghers, paris.
4) Delthombe Thomas, L'islam imaginaire la construction médiatique de l'islamophobie en france(1975- 2005), édition la découverte .
5) Hofmann marad Wilfried, Promoting Islam and Uplifting Muslims, Islamic Horizons(september, october1998) 18-20 quotion at 18.
6) ——————————, Islam : the Alternative, Reading. UR, Garnet,1993.
7) ——————————, "Backwadness and the rationality of the Muslim World", Encounter, UK. March1966.
8) ——————————, American Journal of Islamic Social Sciences, volume 19, number3, summer 2002.
9) ——————————, Den Islam verstehen. Vorträge 1996–2006 (Istanbul: Çağri Yayinlari, 2007).
10) ——————————, Journal d'un musulman allemand. Ed. la porte.rabat.maroc. 1992.
11) Ramadan tariq, conférence3, quelle laïcité pour le monde musulman, Mitidja impression, Alger, 2015.
12) ——————, Mon intime conviction, edition Archipoche, France,2011.
13) ——————, tariq, Islam la réforme radicale : Ethique et libération, dition Archipoche, paris 2015.
14) René Nouilhat – Jean Joncheray, Histoire des religions :Enseingner les religions au collège et au lyceé,24 séquences pedagogiques, edition de l'attelier, Paris 1999.

سادسا: المجلات والدوريات

1) الاستغراب، الميديا إمبريالية الصوت والصورة والصدى، العدد 11، السنة الرابعة، ربيع 2018.
2) الاستغراب، ما بعد العلمانية الحدث والمفهوم، العدد الثامن، بيروت، صيف 2017.
3) البيومي غانم إبراهيم، صورة الغرب عند الحركات الإسلامية المعاصرة، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، عدد 1115 ، شهر سبتمبر1994.
4) عفيف عثمان، إخفاق الإسلام السياسي، مجلة منبر الحوار، السنة التاسعة، عدد31، 1994.
5) مجلة الدراسات الدينية /الإسلام في الغرب، إشراف بسام الجمل، بدون ذكر العدد، 15 فبراير2017.
6) مجلة المجتمع، عدد 1160، 01/أغسطس/1995.
7) ولفجانج تيرزا، مجلة العربي الكويتية، عدد 513، آب 2001.

سابعا: الموسوعات والقواميس باللغة العربية

1) أتالي جاك، معجم القرن الحادي والعشرين، تر: يوسف ضومط، دار الجيل للنشر والطباعة، القاهرة،ط1، 2001.
2) أندريه لالاند ، الموسوعة الفلسفية ،ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2،2001.
3) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، المجلد1، ط4، 2004.

ثامنا: الموسوعات والقواميس باللغة الأجنبية

1)Dictionnaire Hachette, Hachette livre, paris, France, édition2009.

تاسعا: مقالات على شبكة الأنترنت

1) يوسف النملة، **كيف ينظر الغرب إلى الإسلام**، أطلع عليه يوم: 2020/04/24، على: 7 سا و15 د من الموقع التالي:
https://yousefalnamlah.wordpress.com/2012/10/02

2) أولريكه هومل/ عبد الحي العلمي، **باحث ألماني في الدراسات الإسلامية يدعو إلى تفسير القرآن بمنظور معاصر**، أطلع عليه: يوم 2020/04/11، على: 12سا و05 د، من الموقع التالي: https://p.dw.com/p/16WhH

3) محمد عابد الجابري، **الغرب والإسلام .. بأي معنى؟** أطلع عليه: يوم 2019/09/16، على : 8سا و20 د، من الموقع التالي:
http://www.aljabriabed.net/sensoccidentislam.htm

4) د. محمود الحاج قاسم محمد، **تاريخ الختان عبر العصور**، أطلع عليه يوم: 2019/10/16، على: 7سا و16 د، من الموقع التالي:
https://www.baytalmosul.com/

5) خالد بن سعود البليهد، **كيفية توزيع الأضحية**، أطلع عليه يوم: 2020/03/01، على: 13 سا و45 د، من الموقع التالي:
https://saaid.net/Doat/binbulihed/f/445.htm

6) أنيس محمد صالح، **النبي لا يحلل ولا يحرم ولا يفتي من عنده في مسائل التشريع**، أطلع عليه، يوم:2020/03/17، على6 سا و12 د، من الموقع التالي:
htt://www.ahlalquran.com/arabic/show_article.php?main_id=16969

7) محمد إبراهيم منصور، "**الدراسات المستقبلية ماهيتها وأهمية توطينها عربيا**"، أطلع عليه يوم 2020/03/25، على: 17سا و02 د، من الموقع التالي:
https://archive.org/details/montlq330_gmail_20190331/page/n19/mode/2up

8)) ملفات خاصة من موقع قنطرة، " **الإسلام والعلمانية**"، أطلع عليه يوم: 2020/03/11، على: 5سا و11 د، من الموقع التالي:
https://ar.qantara.de/content/lslm-wllmny-hl-hnk-tdrb-byn-lhwy-lslmy-wmbd-llmny-lfrnsy

9) كارولين فوريست، فياميتا فينر، " **استخدام الحجاب كأداة"**، أطلع عليه يوم: أطلع عليه يوم: 2020/03/13، على: 15سا و5 د. من الموقع التالي:
http://www.ahl-alquran.com/arabic/document.php?main_id=257

عاشرا: الجرائد

1) مقابلة أجرتها آيت حسين لويزة، **صهيب بن الشيخ، إصلاح الخطاب الديني ضروري**، العربي الجديد، لندن: عدد 718 السنة الثانية، 19أوت 2016، ص 6–7.

فهرس الموضوعات

مقدمة 1

الفصل الأول: الإسلام الأوروبي 11

توطئة 11

المبحث الأول: الإسلام الأوروبي 12

أولا: الإسلام والغرب.. مقاربات مفاهيمية 12

1- الإسلام: المفهوم والاسقاطات 12

2- الغرب: الرؤية والتداعيات 15

2-1 الغرب الجغرافي 15

2-2 الغرب جغرافية ثقافية 16

2-3 الغرب الاقتصادي 18

ثانيا: الإسلام الأوروبي 20

1- أطروحة أوليفييه روا 20

2- أطروحة طارق رمضان 24

2-1 الإسلام الأوروبي: دين أم ثقافة 24

2-2 الإسلام والعلمانية 26

2-3 الاندماج 30

المبحث الثاني: الأنا والآخر 35

أولا: أطروحة محمد عابد الجابري 35

ثانيا: أطروحة محمد أركون 37

ثالثا: أطروحة هشام جعيط 39

1- المثقف الفرنسي 40

2- الفكر الألماني 42

رابعا: أطروحة إدوارد سعيد 43
خامسا: أطروحة ألفريد مراد هوفمان 48
المبحث الثالث: التدين في أوروبا 55
أولا: أوليفييه روا 55
ثانيا: مراد ألفريد هوفمان 59
ثالثا: جوسلين سيزاري 65
خلاصة الفصل 70
الفصل الثاني: التمثلات الدينية عند هوفمان 73
توطئة 73
المبحث الأول: التمثلات الدينية من منظر هوفمان 73
أولا: تهافت المسيحية 73
ثانيا: فراغ مبادئ الحضارة الغربية 77
1- زيف الشيوعية 77
2- زيف الحداثة 80
ثالثا: الإيمان بالله 84
1- الإيمان بالرسالة 88
2- الإيمان بالقرآن 89
رابعا: الختان 91
خامسا: الحجاب 91
سادسا: التصوف 94
سابعا: الفن الإسلامي 95
ثامنا: المرأة في الإسلام 96
تاسعا: الإسلام والديمقراطية 97
عاشرا: الإسلام وحقوق الإنسان 98

المبحث الثاني: التدين وجدلية النظري والعملي 100
أولا: الصلاة 100
ثانيا: الصوم 105
ثالثا: الحج 107
رابعا: الزكاة 109
خامسا: الأضحية 111
سادسا: ذم المسكر 112
سابعا: القضاء والقدر 114
ثامنا: التقزز من لحم الخنزير 116
المبحث الثالث: التفاعل بين الأنا والآخر 117
أولا: معوقات التفاعل بين الأنا والآخر 117
1- وسائل الإعلام 117
2- الذاكرة الغربية مشحونة بالعداء والحقد 121
3-المستشرقون 123
4- تحميل المسلمين وزر غيرهم 124
5- انتشار الحركات المعارضة للإسلام 125
6- اعتقاد الغرب الخاطئ أن الإسلام ديانة عربية 126
ثانيا: عوائق سببها المسلمون 127
1- المسلمون الليبيراليون 127
2- تشتت المسلمين الطائفي والمذهبي 128
3- عدم وجود شكل دولة إسلامية نموذجية بالفعل 129
4- وضع المرأة 130
ثالثا: قواعد التفاعل بين الأنا والآخر 132
1- محاولة تقليل حيز الاختلافات والنزاعات 132
2- مراجعة التراث وضبط السنة الصحيحة 135

3- تجديد علوم الشريعة 137
خلاصة الفصل 138
الفصل الثالث: مستقبل الإسلام بين الشرق والغرب..... 141
توطئة..... 141
المبحث الأول: إيجابيات وسلبيات التفاعل بين الأنا والآخر 142
أولا: موقف مراد ألفريد هوفمان 142
ثانيا: موقف جيفري لانغ..... 149
ثالثا: موقف محمد أسد 153
المبحث الثاني: مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب 159
أولا: مراد ألفريد هوفمان 159
ثانيا: روجيه غارودي..... 170
المبحث الثالث: الثابت والمتحول ومستقبل الإسلام بالغرب..... 178
أولا: طارق رمضان 178
ثانيا: صهيب بن الشيخ..... 186
ثالثا: الإسلاموفوبيا عائق لرأب الصدع بين الإسلام والغرب..... 193
1- لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟ 193
1-1الإسلام آت إلى الغرب 195
1- 2 الإسلام السياسي(الحركات الإسلامية)..... 196
1- 3 الانفجار الديمغرافي الإسلامي 197
1-4 الخوف من أسلمة الغرب 198
2- توخي الحذر في التعاطي مع مصطلح الإسلاموفوبيا..... 199
3- هل من سبيل لتجاوز الإسلاموفوبيا؟..... 200
خلاصة الفصل 201

خاتمة 203
فهرس المصطلحات 207
فهرس الأعلام 209
قائمة المصادر والمراجع 213
ملخص 230
ABSTRACT 231
RESUME 232

ملخص:

يعتبر موضوع التمثلات الدينية واحدا من أهم المواضيع التي حظيت باهتمام واسع على الصعيد العلمي الأكاديمي والإعلامي والسياسي في الفترة المعاصرة والراهنة.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل الوعي الديني ونقده عند المسلمين المستوطنين بلاد الغرب وإدراك تداعياته على مستقبلهم بصفة خاصة ومستقبل الإسلام بصفة عامة في الغرب، مع إمكانية تمثل إسلام معتدل، حداثي، نيّر، ومتسامح.

وقد ألفينا شريحة اجتماعية كبرى في الغرب من المسلمين بوصفهم مواطنين غربيين يدعون إلى التعايش بين شتى الطوائف والديانات والحضارات؛ وطبقة الأنتلجنسيا لها وعي يميز بين المبادئ والنماذج، وإسلامهم مقبولا يتناسب وثقافتهم الغربية.

ونجد فئة أخرى من المسلمين في الغرب تُسيء إلى الإسلام وتفاعلهم سلبي مُعادين للغرب يرفضونه، ويشكلون طوائف وقيتوهات؛ أما الاتجاه القائل إن الإسلام وحدة لا تتجزأ ولا يوجد هناك إسلام أوروبي أو غربي مقابل لإسلام محلي أو تقليدي هو مجرد توهم، لانتشار الإسلام في القارات وتفاعله مع ثقافاتها، مما يجعلنا ندرك إسلاما متنوعا: إفريقيا وآسيويا وأمريكيا.

وأمضى مراد هوفمان عقودا من حياته يدرس الإسلام ويقارنه مع المسيحية، ليعتنقه بعد ذلك، وأدرك أن لا قيمة لدين المرء بعيدا عن التدين، كما كرس جزءا كبيرا من حياته يدعو فيه إلى الإسلام، يشرح مبادئه، لدحض الخرافات والأباطيل المزعومة من الغرب عن الإسلام والمسلمين، وكان محاورا جيدا للغرب وداعيا المسلمين إلى تصحيح تمثلاهم عن الإسلام ليناسب العصر ويحققوا اندماجا جيدا وتعايشا ممكنا دون انصهار، ودون أن يختلف مع إسلام ذي طراز أوروبي وأمريكي.

Abstract:

The topic of religious representations is one of the most important topics that have received wide attention in the academic, media and political spheres in the contemporary and current period.

This study aims to analyze the religious awareness and criticism of settler Muslims in the countries of the West and to understand its implications for their future in particular and the future of Islam in general in the West, with the possibility of representing a moderate, modern, enlightened and tolerant Islam.

We have formed a major social segment in the West of Muslims as Western citizens who call for coexistence between different denominations, religions and civilizations; The intelligentsia has an awareness that distinguishes between principles and models, and their Islam is acceptable to their Western culture.

We find another group of Muslims in the West that offends Islam and their negative anti-Western reaction they reject, forming sects and cults. As for the trend that Islam is an indivisible unity and there is no European or Western Islam in exchange for a local or traditional Islam, it is just a delusion, because Islam spread in continents and its interaction with its cultures, which makes us realize a diverse Islam: Africa, Asia and America.

Murad Hoffman spent decades of his life studying Islam and comparing it with Christianity, to convert to it after that, and he realized that there is no value to one's religion far from religion, as he devoted a large part of his life to calling for Islam, explaining his principles, to refute the myths and falsehoods alleged from the West about Islam and Muslims, He was a good interlocutor for the West and called on Muslims to correct their representation of Islam to suit the times and achieve good integration and possible coexistence without fusion, and without differing with Islam of European and American style.

Résumé :

Le sujet des représentations religieuses est considéré comme l'un des sujets les plus importants qui ont reçu une large attention dans les domaines académique, médiatique et politique dans la période contemporaine et actuelle.

Cette étude vise à analyser la conscience religieuse et la critique des colons musulmans dans les pays occidentaux et à comprendre ses implications pour leur avenir en particulier et l'avenir de l'islam en général en occident, avec la possibilité de représenter un islam modéré, moderne, éclairé et tolérant.

Nous avons formé un segment social majeur à l'ouest des musulmans en tant que citoyens occidentaux qui appellent à la coexistence entre différentes confessions, religions et civilisations; L'intelligentsia a une conscience qui distingue les principes et les modèles, et leur islam est acceptable pour leur culture occidentale.

Nous trouvons un autre groupe de musulmans en Occident qui offense l'islam et leur réaction anti-occidentale négative qu'ils rejettent, formant des sectes et des ghettos. Quant à la tendance que l'islam est une unité indivisible et qu'il n'y a pas d'islam européen ou occidental contrairement à un islam local ou traditionnel, ce n'est qu'une illusion, la propagation de l'islam sur les continents et son interaction avec leurs cultures, ce qui nous fait réaliser un islam diversifié: l'Afrique, l'Asie et l'Amérique.

Murad Hoffman a passé des décennies de sa vie à étudier l'islam et à le comparer avec le christianisme, pour s'y convertir par la suite, et il s'est rendu compte qu'il n'y avait aucune valeur pour sa religion loin de la religiosité, car il a consacré une grande partie de sa vie à appeler à l'islam, à expliquer ses principes, à réfuter les mythes et les mensonges allégués de l'Occident à propos de l'islam et des musulmans, Il était un bon interlocuteur pour l'Occident et a appelé les musulmans à corriger leur représentation de l'islam en fonction de l'époque et à réaliser une bonne intégration et une possible coexistence sans fusion, et sans différer avec l'islam de style européen et américain.